

محمد كامل حبيب

في أرض المعجزات

الكتاب الفائز
بجائزة الرحلات
في مسابقة
الشفافة العامة

اهداءات ٢٠٠٢

الشيخ/ محمد العزيز توفيق جاويد
شيخ المترجمين - القاهرة

مكتبة

شيخ المترجمين

عبد العزيز توفيق جاويها

محمد كامل حنة

في أرض المعجزات

الكتاب الفائز
بجائزة الرحلات
في مسابقة
الثقافة العامة

دار الكتاب المصري
٨٢ شارع النصر أسيوط

أقرته لجنة من الاسانذة
الركنور محمد عوصمه محمد
الركنور سليمان هزيع
الركنور محمد محمود الصبياد





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في مهد العرب

هذه الجزيرة العربية ، التي انبثقت منها أعظم رسالة عرفتها البشرية ، وأخلد أمانة تقوم عليها خلافة الإنسان في الأرض ، وتعتمد بها الإنسانية كلما دهمها طوفان الفتن وزلزلت كيانها أحداث الحياة
هذه الجزيرة ، مهد العرب ، ومنجم الفضائل البشرية ، الذي أمد العالم بأكرم عناصر الحرية ، والكرامة ، والحق ، والعدل ، والإصلاح . . .

هذه الجزيرة كانت — وما تزال — تدخر في صحاريها ونجودها ، وفي سهولها ووديانها . . هذه العناصر التي تجود بها طبيعتها الحرة القوية ، التي تغالب بها الحياة ، وتتجدد بها على الزمن ، وتتوئب بين الفينة والفينة لتؤدي رسالتها الخالدة ، وتستأنف دورها التاريخي المتجدد على مر العصور . . .

ولقد جعل الله أول بيت وضع للناس بمكة المكرمة ، تهوى إليه القلوب وتشخص الأبصار ، وتتمثل فيه وحدة العبادة ، وتجمع حوله وحدة المشاعر والغايات ، وتتفاعل على أرضه الطيبة حياة الملايين

بالأخذ والعطاء ، تأخذ من هذه الأرض المهمة ما تفيض به من معاني القوة والتحرر ومغالبة الحياة ، وتعطي بعض ما في أعناقها من دين هيئات أن تبلغ منه أدنى مراتب الوفاء . .

جعل الله هذا البلد قبلة ومثابة للناس ، ليظل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على صلة موصولة بمنابع القوة والحرية والهداية والنور التي تفيض بها هذه الأرض الطيبة ، وليظل أرض القملة بما تعطي وما تأخذ ، موطن المعجزات التي تتجدد على مر العصور والأزمان ...

والآن . . . ماذا تعرف عن هذه البلاد التي تربطها بالعالم العربي والإسلامي وشائج الابوة والعقيدة الممتدة إلى أعماق التاريخ ، وروابط الجهاد المشترك في سبيل دعم كيان العروبة والإسلام ، وتأمين مستقبل العرب والمسلمين ، واستئناف الرسالة الخالدة لخير الإنسانية جمعاء ؟

إن هذه المعرفة التي تحقق هذه الأهداف ، فرضها الدين في صورته الحج إلى تلك الأرض الطيبة .

ولكن فريضة الحج بما تستهدفه من « منافع » ، إنما يقتصر أداؤها على القادرين ، وهم قلة بين مئات الملايين من أبناء العالم العربي والإسلامي ...

وحق هذه القلة القليلة التي يتاح لها أداء فريضة الحج ، لا تقيها لا كثرتها من الدوافع القومية والفهم البصير لحكمة هذه الفريضة ، ما يمكنها من الانتفاع بما وراء هذه الرحلة من ثمرات المعرفة والنجاب الاجتماعي ، وما يفعل به الوجدان القومي من مشاعر وأحاسيس . . .



ثم إن طبيعة موسم الحج وما تفرضه من قيود في الحل والترحال ،
تضييق معها فرص الدراسة والتجربة والاتصال المباشر بالحياة في
ميادينها المختلفة .

ومن هنا كانت رحلة الحج لا تغني في هذه الناحية كل الغناء ، وكان
لا بد من رحلات أخرى في جو يكون أكثر انفساحاً وأخف قيوداً ،
تقوم بها الطوائف والأفراد في فترات غير محدودة ، تتصل فيها بالحياة
في تلك البلاد عن كثب ، ثم تعود وقد توافر لها من عناصر المعرفة
والتجربة محصول وفير .

وقد أتيح لي أن أسر بالتجارب التي تؤكد هذه الحقيقة ، فقد كانت
زيارتي الأولى للمملكة العربية السعودية في موسم الحج عام ١٩٥٢ ،
وفي هذه الزيارة — رغم حرصى على أن أنتفع بها إلى أبعد مدى —
لم أستطع أن أحقق من ذلك بعض ما أريد ، فقد استغرقنى مشاعر
العبادة وما يبهز القلب والروح في جو المشاهد المقدسة لأول العهد
بتلك المشاهد ؛ ولم يتح لي إلا حظ يسير خاطف من الاتصال بجوانب
الحياة المختلفة ، والتعرف على المعالم والأعلام . . .

ثم كانت رحلتي الثانية عام ١٩٥٤ حيث كنت معاراً من الحكومة
المصرية للعمل بمؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة ، وفي هذه الرحلة
قضيت خمسة أشهر كاملة ، وأتيح لي بحكم عملي الصحفي هناك أن أعيش
في صميم الحياة العامة ، وأن أنتقل في مختلف أنحاء البلاد ، وأقف على

معالمها القديمة والحديثة ، وأتعرّف إلى شخصياتها البارزة والمغمورة ،
وأستوعب مظاهر التطور في حياة الدولة والمجتمع ...

ثم كانت رحلتي الثالثة عام ١٩٥٦ ، حين أوفدتني وزارة التربية
والتعليم للإشراف على الرحلة التي نظمها إدارة الشؤون العامة بالاشتراك
مع نقابة المهن التعليمية . وفي هذه الرحلة القصيرة التي استغرقت نحو سبعة
أسابيع ، كان محصولي من المعرفة والتجارب كبيراً في مادته والإحساس
به ؛ لأن هذا المحصول كان موصولاً بالروافد الأولى التي أمدتني في
الرحلتين السابقتين بكثير من المعارف والمشاعر ...

وأنا إذ أقدم في هذه الرسالة صوراً من التجارب التي عشتها في المملكة
العربية السعودية ، وألواناً من الحياة التي تمثلتها في رحلتي الثلاث إلى
تلك البلاد ، أستطيع أن أزعم أن هذه الرسالة تعطي قراءها حصيلة من
المعرفة والتجارب ، يجد فيها من لا تتاح لهم زيارة هذه البلاد كل الغناء
أو بعض الغناء ، كما يجد فيها من تتاح لهم تلك الزيارة ، دليلاً يكشف
الطريق ، ويحدد المعالم ، ويرتاد بهم المظاهر والأعماق ...

محمد كل هته

الفاخرة

٢٧ ربيع الأول ١٣٧٧

٢١ أكتوبر ١٩٥٧

حدود ومقالم

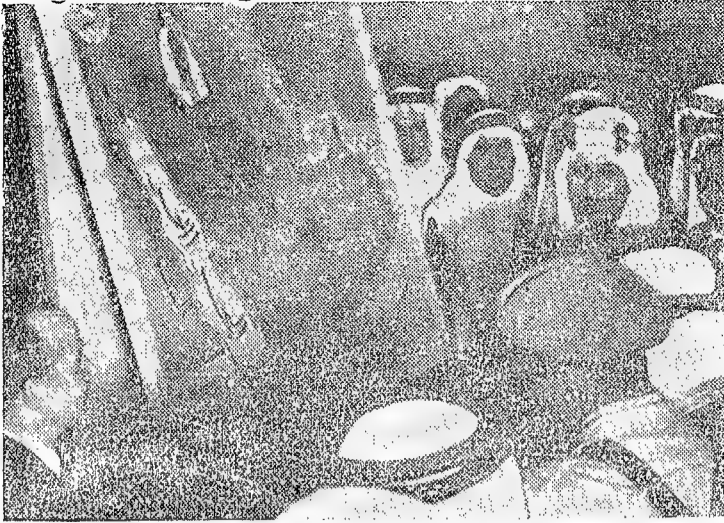
والمملكة العربية السعودية تشمل أكبر مساحة من الجزيرة العربية ؛
إذ تمتد من ساحل البحر الأحمر غربا ، إلى الخليج العربي في الشرق ،
وتمتد من مشارف العراق والأردن في الشمال إلى حضرموت وعمان
والين في الجنوب .

وتقدر مساحتها بنحو ٨٩٥ ألف ميل مربع . ويبلغ تعداد سكانها
نحو ستة ملايين نسمة ، وذلك على متوسط التقديرات المختلفة إذ أن
الإحصاء الدقيق لم يتوافر وسائله حتى الآن .

وتختلف طبيعة المملكة العربية السعودية في تكوينها الجيولوجي
والطوبوغرافي ، وفي مناخها وفي حيائها الاجتماعية ، اختلافا كبيرا بين
منطقة وأخرى ، وهذه المناطق هي :

١ - الهجاز

وهي منطقة تقع بين سلسلة من الجبال يتراوح ارتفاعها من أربعة
آلاف قدم إلى عشرة آلاف ، وبين ساحل البحر الأحمر . وتراوح
هذه المسافة بين عشرة أميال وأربعين ميلا . وتمتد من الجنوب إلى
الشمال نحو ٧٠٠ ميل .



ومناخ الحجاز بالقرب من ساحل البحر رطب حار في الصيف ،
إذا تبلغ درجة الرطوبة فيه ٨٥٪ ودرجة الحرارة ٩٩ فهرنهايت ،
ثم تنخفض هذه النسبة تدريجياً بنسبة البعد عن الساحل حتى تتحول في
الجهات الجبلية إلى جو جاف منعش .

وتكثر بالحجاز الاودية التي تنساب فيها مياه السيول ، والعيون
التي تحيا عليها بعض الواحات ، والتي تمتد مدن الحجاز بالماء ، مثل عين
زبيدة وعين حنين وعيون وادي فاطمة .

وأهم مدن الحجاز : مكة المكرمة ، وجدة ، والطائف ، والمدينة
المنورة . وتكثر بين سكان هذه المدن سلالات العناصر المختلفة الوافدة
من مختلف البلاد الإسلامية . ولهذا كانت الحياة الاجتماعية فيها مزيجاً

من ألوان الحياة في تلك البلاد ، يظهر ذلك في طرز العمارات وأساليب
المعيشة والأزياء واللهجات والتقاليد ، على أن البيئة المحلية صهرت ذلك
كله في صورة ذات طابع عام ، وإن لم تفقد مميزاتها الخاصة .

أما في البادية ، فما زالت القبائل العربية تحتفظ بعنصرها الاصيل
وتقاليدها الموروثة وأساليبها الخاصة في الحياة .



مكة ، في بطن الوادي تحيط بها الجبال

٢ - نجد

وهي المنطقة التي تلي سلسلة الجبال من جهة الشرق ، وتتكون من مرتفعات « رسوبية » وهي نوع من الصخور التي تصبح تحت تأثير حالات معينة مسنقرا صالحا لرواسب الزيت والفحم الحجري ، كما تشمل أيضاً كتلة من الجبال النارية وبمجموعة من التلال العالية . وتمتد مساحتها فيما وراء جبال الحجاز إلى نحو ٣٠٠ ميل ، وفيما بين الشمال والجنوب إلى ما يقرب من ٩٠٠ ميل ، ويتراوح ارتفاع هذه المنطقة ما بين أربعة آلاف قدم وستة آلاف .

وفي نجد كثير من الأودية والأنهار الجوفية والعيون . وهي مشهورة بمراعيها الخصبة ، وواحاتها الغنية بالنخيل ومزارعها الواسعة ، ومراعيها الجميلة الساحرة .

وقد خلد الأدب العربي نجداً بما تروى به شعراؤها أمثال امرئ القيس وطرفة والحارث بن حلزة وزهير وعنترة ومجنون ليلى والفرزدق وجريز . . . وتتألف نجد من عشر مقاطعات هي :

● العارض — وهي مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، وفد مستتها يد التعمير فتحولت في عهد الملك سعود إلى حاضرة كبيرة ، وإن تمضي بضع سنوات تتم فيها المشروعات العمرانية الجبارة التي تغمرها الآن — حتى تصبح من أكبر عواصم الشرق العربي .

ومن بلاد العارض الهامة بلدة « الدرعية » التي انبثقت منها دعوة

التوحيد التي نادى بها الإمام محمد بن عبد الوهاب ، واحمضنها الإمام سعود الكبير جد الاسرة السعودية .

• الخرج — وتلى العارض في الجنوب الغربى ، وهى أغنى مقاطعات نجد وأوفرها خصوبة . وتعتبر الآن منطقة زراعية نموذجية ، تتوافر فيها وسائل الرى الحديثة ، وتنتج أجود المحاصيل ومختلف أنواع الفاكهة والخضروات ، وتقوم بها مزارع خاصة لتربية الماشية والدواجن على أحدث الأساليب العلمية . وقد أقيم بها إلى جانب ذلك مصنع للخزيرة والسلاح ، وأهم بلدانها : الدلم ، ومنفوحة ، ونعيجان ، والسلمية ، واليامة ، والمناصف ، والبدع ، وفرزان .

• القصيم — وهى أكبر مقاطعات نجد ، وفى موقع ممتاز إذ تمر بها القوافل القادمة من مكة المكرمة ، وترتبط عن طريقها كثير من بلاد نجد ، وتنتج محصولا وافرا من التمر ، وتضم هذه المقاطعة خمسين قرية أهمها : بريدة ، وعنيزة ، والرس ، والخبرا ، والعيون ، وفصيلة .

• جبال شمر — وهى مشهورة بخيولها الأصيلة ، التي تصدر منها عددا كبيرا ، كما تصدر كثيرا من الجمال والغنم التي تنتج أجود أنواع الوبر والصوف ، وترتفع هذه المقاطعة عن سطح البحر بنحو ٢٢٠٠ قدم ، وتهطل عليها الأمطار بغزارة ، وبها كثير من المياه الجوفية .

• الجوف — وتقع فى حدود نجد الشمالية ، وهى حلقة الاتصال بين سوريا وقلب الجزيرة ، وتسكن بها الواحات وأهم إنتاجها التمر .

• سدير — وبها وديان خصبة ومزارع تستخدم فيها الآلات .

الحديثة التي أمدتهم بها الحكومة للنهوض بمستوى الزراعة والإنتاج ،
وأهم بلادها : المجمعة ، والزلفي ، والفاط ، وجلاجل .

وهناك أيضاً مقاطعات : لحريق ، والأفلاق . ووادي الدواسر ،
والوشم . وهي مشهورة بمياهها ، ونخيلها ، وزراعتها المختلفة .

وتتمثل في حواضر نجد وبواديها الحياة العربية العريقة ، بما تمتاز
به من تقاليد الفروسية والفتوة والنجدة والمروءة . وقد ظلت محتفظة
بهذه التقاليد نظراً لموقعها المنيع في قلب الجزيرة ، وامتناعها على المؤثرات
الخارجية التي نفسد خصائص الشعوب حين تتعرض للغزوات الأجنبية
في الحرب والسلم على السواء . .

٣ — الرساء

وتقع هذه المنطقة فيما يلي نجد شرقاً حتى الخليج الفارسي ، وتكون
تربتها من الصحور الرسوبية ، التي تفجر منها الزيت عام ١٩٣٤ وكان
ذلك بداية عهد جديد للمملكة العربية السعودية . . .

ولهذه المنطقة أهمية أخرى حتى قبل اكتشاف حقول الزيت فيها ،
إذ تشمل واحات شاسعة في «الطهوف» تثمر فيها أكثر من مليون نخلة
أطيب أنواع التمر ، وتجري فيها سبعة عيون هائلة يتدفق منها ٢٢٥٠٠
جالون من الماء في الدقيقة الواحدة .

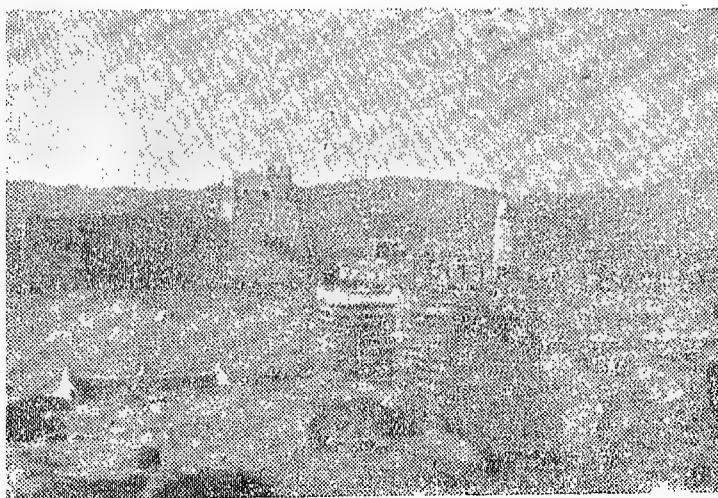
٤ - عسير

وتقع منطقة عسير جنوبي الحجاز إلى حدود اليمن ، في مساحة طولها ٢٠٠ ميل وعرضها ٤٥ ميلا . ولهذه المنطقة من اسمها نصيب ، لوعورة مسالكها الجبلية ، ولكنها مع ذلك عامرة بالسهول التي تغمرها السيول ، ولهذا كانت غنية بالمزارع والبساتين ، وبالمناظر الطبيعية الساحرة ، التي جعلتها أجمل مناطق المملكة العربية السعودية .

وأهم بلاد عسير : أبها ، وبيشة ، وتربة ، ومحail ، وخميس مشيط ، وأبوعريش ، وصنبيا ، وجيزان .

وأهل عسير ينتسبون إلى عدة قبائل عربية ، وتجمع حياتهم بين ألوان الحضارة والبداءة ، على أن لهم تقاليد خاصة ينفردون بها دون سائر البدو والحضر في هذه البلاد .

ومن أبرز ما يدهش له الزائر في عسير أنواع الزى المستعملة هناك ، ولعل أشدها غرابة أن النساء يلبسن القبعات ١١



أبها : حاضرة إقليم عسير

قيام دولة

١

اقترن تاريخ الدولة السعودية بدعوة المجدد العظيم محمد بن عبد الوهاب .
التي انتشرت في بلاد العرب وفي الهند ، والتي تعتبر إحدى انتفاضات
ثلاث كان لها في تاريخ الإسلام الحديث آثار بعيدة المدى : الوهابية
في جزيرة العرب وشمالى الهند ، والسنوسية في شمالى أفريقيا ، والمهدية
في السودان . . .

وهي انتفاضات دينية كانت منبعثة من صميم الإحساس بما وصلت
إليه حال المسلمين من الجهل بحقيقة الإسلام ، وتدهور العقيدة وتحلل
مقوماتها في النفوس ؛ مما تخلف بهم عن مكانهم الطبيعي في الصدارة ،
وجعلهم خولا الأجنبي، يظأ بلادهم ، ويستذل أعناقهم ، ويبتر خيراتهم،
ويسلبهم ما بقى من مقومات حياتهم وميراث تاريخهم . . .

ويرى لوثروب ستودارد في كتابه « حاضر العالم الإسلامى » أن
الدعوة الوهابية تعتبر أساس اليقظة الإسلامية في العصر الحديث ،
وإليها يعزو حركات التحرير التي انبثقت في مختلف الأقطار الإسلامية

للتحرر من أغلال الجهل، والثورة على الاستعمار : في الهند ، وأفغانستان ،
وجزيرة العرب ، وشمال أفريقيا ، ومصر والسودان . . .

أما صاحب الدعوة الوهابية - محمد بن عبد الوهاب - فقد ولد في
مطلع القرن الثامن عشر في « العيينة » شمال الرياض . وقضى صدر
شبابه مرتحلاً إلى الأحساء والحجاز والبصرة وبلاد فارس . وتلمذ
على ما كتبه ابن تيمية وأتباعه وخاصة ابن القيم وابن كثير ، وهم من
الائمة السلفيين الذين كان لهم في تاريخ الفقه الإسلامي جهود ضخمة ،
ردت إليه اعتباره وجددت شريعته السمحة البيضاء .

إذن فقد اجتمع الرجل في اتصاله بحياة المسلمين في كثير من
الأقطار ، وفي فقهه لأسرار الشريعة ، ما ملأ قلبه غيرة على حال المسلمين ،
وحسرة على ما وصلوا إليه من جهالة وضعف وانحلال ، وحفره ذلك
إلى الجهاد في سبيل تجديد إيمان هذه الأمة ، وتسديد عزائمها إلى
مواطن العزة والقوة والاتحاد . .

وكانت الجزيرة العربية لذلك العهد ممزقة الأوصال ، متعددة
الولايات والولاء ، لا تهدأ بينهم نار الحرب ، ولا تخبو الإحن والتارات .
وكذلك كان الشأن بين البدو والحضر ، وبين القبائل بعضها وبعض ،
بل بين أبناء البيت الواحد ممن يتنافسون على المناصب والمغانم ، حتى
أن أحد أشراف مكة لم يتورع عن قتل أخيه ، ثم طمح لثمه وقدمه إلى
بيعة إخوته في وليمة ساهرة . . .

وكانت الخرافات والعقائد الضالة قد استحوذت على العقول ، حتى

لا وشكوا أن يرتكسوا في جاهلية عمياء ، هي شر من الجاهلية الأولى ؛
لأن أهلها يزعمون مع ذلك أنهم مسلمون ...
وبدأت دعوة محمد بن عبد الوهاب بالعمل على إصلاح العقيدة
الدينية ؛ وهل إلى ذلك من سبيل غير الرجوع إلى منابعها الصافية
الأولى : الكتاب والسنة .

٢

ومن خصائص العرب في جميع العصور أن طبيعتهم السمحة القوية ،
وبينتهم البادية المتصلة بالكون ، المتفاعلة فيه ، هي أقرب الطباع
البشرية إلى روح الإسلام وطبيعته . وليست كذلك طبيعة الأمم التي
أغرقها الحضارة واستغرقها العقائد المادية ، وأنهم كما الترف العقل ،
وخدرتها تهاويل الفنون ...

ولذلك استطاع الإسلام أن يحقق بأوثق العرب بعد أن زالت عن
طبيعتهم السمحة القوية أدران الجاهلية ، وتطهر جوهرها النقي بما شابه
من عقائد وأفكار — استطاع أن يحقق بهم أروع وأسرع معجزة في
ففتح الأمصار ونشر كلمة الله ...

فلما اتصلت حياتهم بتلك الأمصار ، وتذوقوا ما فيها من ألوان
الحياة الحضارية ، وهرتهم دنياهم الجديدة بما فيها من زينة وزخرف
ومتاع ، تأثروا بذلك كله فضعفت قواهم المبدعة الغالبة ، ولم يستطيعوا
أن يتابعوا جهادهم بعد الفتح في تطوير عقائد تلك الأمصار ، وابتعات
صور جديدة للحياة في شتى مناحيها العقلية والاجتماعية ، يتصل إلهامها

بروح الإسلام وطبيعته . فكان أن ذرّت العقائد الموروثة التي حاربها الإسلام بقرونها من جديد ، في صور موشاة بألوان تخيل للرأى أنها صور إسلامية ، وإن كانت في مادتها ووحيا بعيدة كل البعد أو بعضه عن مادة الإسلام ووحيه . . .

ذلك لأن هذا الميراث الضخم الذى خلفته العصور الإسلامية منذ انحسر عنها مد العروبة المسلمة أو غاض ، ومنذ انطلقت تلك العصور تبني للإسلام حضارته العمرانية والعقلية في مصر وفارس والهند وتركيا وغيرها من الأمصار ، فتشيع العبارة ، ونتج للعلم والفلسفة ، وتصوغ فنون الحياة . . .

إن هذا التراث الضخم لا يمكن القول بأنه تراث إسلامي صرف بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ولكنه صور متعددة لحيات مختلفة تمتد جذورها إلى أعماق الأمم التي صنعت هذا التراث في مصر ، وفارس ، والهند ، وتركيا وغيرها من الأمصار .

ولم يكن هذا التعدد في ألوان التراث الإسلامي قاصراً على مظاهره وبالقدر الذى تختلف به طبيعة كل أمة ومؤثراتها الخاصة ، ولكنه أعمق من ذلك جذوراً وأبعد أسساً ، لأن هذا الاختلاف في المظاهر لا يقاس إلى ما بين العقائد والمشاعر التي تسكن وراءها من تباعد واختلاف ، وبالقدر الذى يباعد بين هذه العقائد والأفكار والمشاعر الموروثة ، وبين الإسلام في حقيقته الأولى ، وتمثله للكون والحياة ، باعتباره ديناً يقوم على « التوحيد » في كل شيء : التوحيد الذى يسمو

بالإنسان عن كل عبودية إلا لله ، ويجعل المسلم قوًاً على الحياة والكون ،
يسيطر عليهما ويسجرهما لتحقيق الرسالة التي جاء بها الإسلام لخير
الفرد والمجتمع ، لأن يكون عبداً للكون والحياة ، تستخدم مواهبه
في الفنون حتى يكاد يعبد ما خلق ، وتستغرق عقله بالفلسفة حتى تصرفه
عن العمل . . .

ولا أظن أنني أبعدت كثيراً وأنا أمهد للحديث عن بواعث الدعوة
الوهابية وأهدافها ، فإن هذه هي نقطة الابتداء لسكل دعوة إسلامية
تقوم على تجديد الإسلام في حياة المسلمين ، بتقنية عناصره الأولى
ولإحياء معالمة الأصيلة ، والاحتكام إلى معايير في الحياة .

وما أحوجنا — ونحن الآن في مطلع نقطة إسلامية قوية — أن نتدر
هذه الحقائق ، لتصفية التراث الإسلامي بما شابه من مؤثرات العوامل
الوراثية الدخيلة ، وحمائمه من مؤثرات المذاهب الفنية والاجتماعية
الأجنبية ، التي تستمد أصولها من مبادئ تغاير مبادئ الإسلام ونظرته
إلى الكون والحياة ، حتى نكفل لليقظة الإسلامية الحاضرة عناصر
القوة والذاتية ، باعتبار أن الإسلام نظام اجتماعي كامل له خصائصه
وأهدافه ورسائله في الحياة . . .

٣

ولنعد إلى الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب ...
أراد هذا الامام أن ينهض بدعوته تلك .. وهل لها إلا تلك
« الخانات » العربية التي تنطوى على عناصر الحرية ، والاتصال المباشر

بالكون ، والاستواء على أقطار الحياة ، يبرئها مما أصابها من غشاوة الجهالة ، ويردها إلى فطرتها السمجة ، ويغذيها بوحى الكتاب والسنة ، ثم ينطلق بها خفيفة مؤمنة صابرة ، تحمل أعباء الدعوة ، فتنتشر الهدى المحمدي ، وتقر الأمن المضطرب ، وتحمي البيت الذى يتخطف الناس فيه ، ثم تمضى برسالتها إلى أبعد الآفاق ..

ولقد نجح هذا الامام فى المرحلة الاولى للدعوة ، مرحلة الانتماء على أهواء الجماهيرية ، وأدواء الجمالة ، واستنفار « الاخوان » للدعوة إلى شريعة الله ، نجاحا كاد أن يتجاوز حده فيقع بهم فى السرف ، أو كأن قد كان ...

وكانت دعوة محمد بن عبد الوهاب تسير جنباً إلى جنب مع مراحل الدولة السعودية ، فلما دانت الجزيرة العربية لآل سعود فى مطلع القرن التاسع عشر ، كانت هذه الدعوة تزلزل قلوب كثير من السلاطين والولاة فى البلاد الإسلامية ، ويرون فيها خطراً حاثاً يحشى أن تمتد آثاره فنقضى على الأوضاع الظالمة والعقائد الفاسدة التى يقوم عليها كثير من العروش والتيجان ...

أحس هذا الخطر سلطان تركيا ، وكان يعيس فى تلك الأسطورة التى تقول بأنه ظل الله فى أرضه ، وأحس به محمد على فى مصر ... وكان إحساس سلطان تركيا بخطر الدعوة الوهابية مزدوجاً ، لأنه كان يحس فى الوقت نفسه بخطر محمد على فى مصر ، فأراد أن يضرب الضربة يصيب بها الاثنين معاً ، فطلب إلى محمد على أن يغزو الحجاز ، وأن يقضى على أولئك المتمردين العصاة ...

ورآها محمد على فرصة يضرب بها ضربته ، باسم خليفة المسلمين :
ظل الله في أرضه ...

ثم كانت الغزوات والحروب التي ذهب وقودها مئات الآلاف
من أبناء مصر وعشرات الآلاف من أبناء الجزيرة العربية ، وكتب
التاريخ الزائف قصص البطولة والنصر لجيوش الخليفة وولاته في مصر ،
على الدعوة الثائرة المتمردة في جزيرة العرب .

٤

وقد كانت الحركة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب خطوة
أولى في سبيل تحقيق دعوته ، ولكن الدعوة وقفت عند هذه الخطوة
ولم تمض إلى ما وراءها من خطوات تبلغ بها الغاية . ويبدو أن للحروب
التي حدثت أثراً كبيراً في توقف هذه الدعوة عند خطواتها تلك ، وهي
المناداة بالشريعة الإسلامية لتسكون أساس الحكم ، والرجوع إلى
الكتاب والسنة في كل أمر ، واستنفار أهل البادية ذوى الحمية والبأس
للاضطلاع بأعباء هذه الدعوة ...

أما ما وراء ذلك من خطوات تتصل بدعم هذه الدعوة بالعلم ،
وتخريج أفواج الدعاة الذين لا يقتصرون على سورة الجاس الديني ، دون
البصر بشريعة الإسلام في الحياة ، وتعبئة قوى الأمة جميعاً لهذه
الدعوة ، والعمل على تحقيق الجامعة الإسلامية — فذلك ما قصرت
عنه الأسباب ، وما انتهى بالدعوة في الجزيرة العربية إلى أضيق الحدود ،

ولإن ظلت آثارها تتفاعل وتقوى وتتطور في كثير من البلاد العربية والإسلامية . . .

ولقد كان من أثر ذلك أن الملك عبد العزيز آل سعود ذاته ، حين أراد أن يخرج قليلا من نطاق تلك الحياة الجامدة الراكدة ، وأن يدفع بلاده خطوات يسيرة في سبيل الحياة ، انقلب عليه أشد أعضاده وأبصاره من «الإخوان» أعداء الداء ، ووقعت بينه وبينهم فتنة دامية ، انتهت بغلبته عليهم ، ووقوع زعيمهم «فيصل الدويش» أسيراً في يده ، وعندئذ تنفس الملك عبد العزيز الصعداء وقال : من اليوم سننجحاً حياة جديدة . . .

وما ظنك في أن تقوم بينه وبين علماء نجد مشكلة ظل يجاهدون فيها عشر سنوات ، بسبب التليفون والتلغراف ؟

وما ظنك في أن يعقدوا مؤتمرا يحضره زعماءهم ، يشكرون عليه فيه أن بعث بابنه سعود إلى مصر بلد الشرك !

وان في هذين المثليين ، وهما قل من كثير ، لشاهدٌ على مبلغ ما أصاب الدعوة الوهابية من جمود ، وقعودها عن الانطلاق في مراحلها المتوالية إلى غاياتها البعيدة ، باعتبارها انتفاضة دينية تهدف إلى تحرير العقول من أثر الجهالة والاهتمام ، وتحرير المسلمين من رقة الذل والاستعمار .

وتعاقبت على آل سعود ألوان من الرخاء والشدّة والهزيمة والانتصار ، ثم صار الأمر في نجد لابن الرشيد ، بعد أن دالت دولة آل سعود لتنازعهم فيما بينهم ، وما كان يقع بين الأخوة منهم من تنافس على الامارة تسيل فيه الدماء .

وكان الصبي د عبد العزيز بن عبد الرحمن ، الذي لم يشهد من تاريخ أسرته التي امتد سلطانها على الجزيرة العربية ، إلا اطلاعا من الذكريات ينطوي عليها قلبه المفتود ، يربض إلى جوار أبيه في منفاه بأرض الكويت وظلت ذكريات المجد الذاهب تلهب عاطفة الصبي وهو في منفاه ، حتى إذا استوى عوده فصار شابا جليدا ، كانت فكرة الثأر قد استولت على جميع مشاعره ، وأقسم ليستردن ملك آباءه وأجداده ، وليعودن بأبيه وأهله إلى عاصمة ملكهم تلك مظفراً منصوراً . وأطلع أباه الشيخ على ما انتوى من أمره ، فحذره العاقبة وأشفق عليه من المصير ...

ولكنه أصر على رأيه ، والحف على أبيه في أن يأذن له فأذن ... وانطلق تحت جناح الظلام في أربعين رجلاً من أهله وأصحابه ، يضرب بهم في مهامه الصحراء ، ويحتاز بهم دروباً موحشة غير مطروقة حتى لا يلقاه أحد من الرعاة أو السابلة فينكشف أمره وتحبط خطته . وما زال يدب بالليل ويستخفي بالنهار ، حتى بلغ مشارف الرياض ، فترك من جماعته ثلاثين رجلاً تحت إمرة أخيه محمد بن عبد الرحمن ، ثم تقدم بالباقيين فتساق سور البلد ، وخف إلى دار مجاورة لقصر الأمير عجلان — عامل ابن الرشيد — فطرق الباب ...

وأجابت امرأة من داخل الدار : من الطارق ؟

قال : رجل من خدم الأمير عجلان يريد زوجك لغرض . .
قالت : اذهب لابارك الله فيك؛ ماجئت تبغى إلا النساء ، وهل يطرق
باب الناس في الليل إلا فاسد . .

قال : لا والله ياخاله ، ماجئت لهذا ، ولكنى أخشى على زوجك
من القتل غداً إذا لم يلب نداء الأمير حالا . .
وكان زوجها قد استيقظ ففتح الباب ليرى جليلة الأمر ، وكان
القي عبد العزيز يعرف الرجل وأهل بيته ، فنهى من كن في خدمة
بيوت آل سعود . فما خرج الرجل حتى قبض عليه عبد العزيز وهدده
بالقتل إن هو تسكلم . ثم دحرج البيت فلما رآته النسوة صحن :
عنما عبد العزيز . .

قال : اسكنين ولا بأس عليكم . ثم أغلق عليهن بابا . .
وتساق الجدار تم هبط إلى القصر . وكان قد بعث إلى بقية رجاله
فلحقوا به ، ودخل إحدى الغرف فإذا بها زوجة الأمير فصاحت به :

— أنت عبد العزيز ؟

قال : نعم أنا هو . .

قالت : من تبغى ، وما مأربك هنا ؟

قال : أريد عجلان لاسواه . .

قالت : يا بنى لا تغرر بنفسك ، انج بنفسك في هذا الليل وإلا فتاك !

قال : ماجئت لنسمع منك نصيحة ، ولكن لنعرف متى يخرج
عجلان من القصر الداخلى . .



ولم تستطع المرأة ، وقد رأت الموت يطل من عينيه ويهترى يمينه ،
إلا أن تقول :

— بعد شروق الشمس ساعة ..

قال : هذا كل ما نريد . وانسكن إذا لزمتن السكوت والسكون فلا
بأس عليكن . وإلا فال موت لا محالة ..

ثم أغلق على المرأة وصواحبها بابا ... وظل ينتظر شروق الشمس ...
وانفتح باب القصر الداخلى مع الصباح ، وعبد العزيز ورجاله قد
كنسوا على مقربة منه يتربصون ..

ثم أهلّ الأمير فباغتوه ، وهم يحاول الفرار فعاجله عبد العزيز
بطائفة لم تدرك منه مقتلا ، فتبعه يعدو وراءه حتى أدركه ، ونشب بين
الرجلين صراع عنيف اشتبك فيه رجال الأمير بإطلاق النار من فوق
الاسوار فقتلوا اثنين وجرحوا أربعة ، وافلت الأمير فانطلق وراءه
عبد الله بن جلوى — ابن عم عبد العزيز — فأرداه قتيلا ...

ونشب معركة بين حرس الأمير ورجال عبد العزيز لم تلبث أن
انتهت باستسلام الحرس ، وسقطت القلعة في يد عبد العزيز ،
ودانت له العاصمة .

ثم عاد الشيخ وأهله من منفاه في أرض الكويت . واستقبله الفارس
الشاب المظفر مترجلا عن جواده خارج الرياض ، وقد بر بقسمه :
ليردن ملك آبائه وأجداده وليعودن بأبيه وأهله إلى عاصمة ملكهم
مظفراً منصوراً ..

على أن الأمر لم يستتب للأمير عبد العزيز ، فما زال في صراع دام
وجلاد مرير مدة عشرين عاما ، تارة مع ابن الرشيد حتى دحره ،
وطورا مع « الإخوان » ، الثائرين حتى قضى على ثورتهم ، وأخرى مع
الاشراف والأتراك حتى انتصر عليهم ، ثم دانت له الجزيرة نجدها
وحجازها بعد ذلك الصراع الدامى المرير ...
ومنذ ذلك اليوم ، توحدت الجزيرة العربية بعد فرقة وانقسام ،
وقامت دولة ، وبدأ تاريخ ...



قصر عجلان بالرياض ... شهد الفصل الأول في تاريخ المملكة

نظام الحكم

١

نظام الحكم القائم في هذه البلاد هو النظام الملكي ، وقد يكون لهذا النظام عيوبه في بلاد أخرى يقوم فيها على الاستعلاء والظلم والاستغلال ، بما مكنت له عوامل التاريخ وظروف الحياة السياسية والاجتماعية من أسباب الغلبة والقهر ، وانفساح هوة سحبة بين الحاكم والمحكومين .

ولكن النظام الملكي في المملكة العربية السعودية أقرب الأنظمة إلى طبيعة هذه البلاد ، فهو نظام دقلى ، على صورة مكبرة ، وكان أول ملك فيها وهو الملك عبد العزيز — يعتبر زعيم القبيلة الكبرى التى تتألف منها هذه المملكة . وقد كان رحمه الله — يحكم تسكويته وبهئته لا تنجافى به مظاهر الملك عن التقاليد القبلية العامة ، ولا يجد غضاضة فى أن يقتحم عليه مجلسه ، أو يستوقفه فى الطريق أعرابى لمعه وهو يناديه : يا عبد العزيز . وإذا تلمط هذا الأعرابى قال له : يا طويل العمر !

فيقف الملك ويستمع إليه فى سماحة ورحابة صدر ، منبعثة من إحساسه العميق بالحرية والمساواة

وقد ضرب الملك عبد العزيز في ذلك أروع الأمثال .

قال لي السيد بشير السعداوي^(١) رحمه الله :

— إن رجلاً من أهل الرياض شكوا إلى الملك عبد العزيز ابنه الأمير ناصر - وكان أميراً للرياض وقتئذ - من أنه احتجز ماء السيل فروى به بساينته ، وحال دون وصول هذا الماء إلى بساين الرجل .
وأمر الملك أن يحاكم ابنه أمير الرياض على صورة فذة ، وذلك بأن يساق إلى مجلسه بحضور القضاة مقبوضاً عليه ، وسار رجال الشرطة بأمير الرياض على هذه الصورة في شوارع المدينة حتى أدخلوه إلى مجلس الملك .. ووقف الأمير إلى جانب غريمه وتولى القضاة التحقيق . ولم يفرج عنه إلا بعد أن ثبتت براءته .

ومثل آخر يرويه السيد أحمد عبيد :

كان الأمير خالد بن عبد العزيز - وهو في التاسعة من عمره - يلعب بالنبلة ويتدرب على إحسانة الهدف ، فأصاب أحد الصبية في جبهته ، وانطلق الصبي إلى الملك عبد العزيز يشكو إليه ابنه الأمير .

صبي لا يتهيب الدخول على ملك ، ولا يتهيب أن يشكو إليه ابنه !
وأستدعى الملك عبد العزيز ابنه فاعترف بما حدث .

فقال الملك للصبي :

— إذن خذ هذه النبلة واضرب بها خالداً كما ضربك .

(١) الزعم اللبي الكبير ، وقد كان مستشاراً للملك عبد العزيز ، ثم مستشاراً للملك سعود .

وأخذ الصبي النبله وصوبها إلى جهة الأمير . ولكنه لم يطلق قذيفتها
بل اتجه إلى الملك قائلاً :

.. الآن يكفيني هذا !

قال : وما يرضيك ؟

قال : يرضيني أنك عدلت ...

وهناك عشرات الامثلة التي تروى في هذا المقام ، وهي أمثلة أراد
الملك عبد العزيز أن يحقق بها هدهين كبيرين في وقت معاً .

أما الهدف الأول فهو أن ينشئ أولاده الامراء وأفراد أسرته
نشأة تشعرهم بأنهم لا يمتازون عن بقية أفراد الشعب في الحقوق ، ولا
ينبهم عن المساواة المطلقة بأفراد الشعب جاء الملك والإمارة ، وبذلك
تمتلىء قلوبهم ونفوسهم بهذه المعاني ويمارسونها في حياتهم ممارسة عملية .
وأما الهدف الآخر فهو أن يؤمن هذه المعاني في نفوس الشعب ،
ويحفظ عليهم تقاليد الحرية والمساواة التي تنبض بها دماؤهم الحرة في
بيئتهم التي لا تعرف إلا هذه التقاليد .

وبهذهن الهدفين معاً يكفل قيام الدولة على أسس سليمة من العدل
والمساواة في الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكومين .. الحاكم الذي
ينبت من صميم الشعب ، والذي يؤهله للحكم أنه أوفر مواطنيه نصيباً من
الفضائل والتقاليد الصالحة ، وأقدرهم على حمل تبعاتها نحو مواطنيه .

والمحكومين الذين تمدهم طبيعتهم الحرة البادية بالمناعة الكافية ضد
الظلم والاستعلاء ، ولا يرون في النظام المملكي القائم على هذه الصورة

إلا صورة مكبرة لشيخ القبيلة ؛ ولهذا يطلقون على الملك لقب : الشيخ ؛
وعلى هذه التقاليد التي أرسى دعائمها الملك عبد العزيز ، نشأ الملك
سعود وأفراد أسرته ، وبصور العلاقة التي تربط الملك بأفراد الشعب
قول الملك سعود :

— إننا والله لا ننظر إلى الناس إلا بعين المحبة والتقدير والمساواة ؛
فكبيرهم عندنا في مرتبة الوالد ، ومتوسطهم في مرتبة الأخ ، وصغيرهم
في مرتبة الابن !

ولقد بدأ نظام الحكم في المملكة العربية السعودية بتوحيد السلطة
في يد مؤسس الدولة الملك عبد العزيز ، لأن طبيعة هذه البلاد وقيام
دولة موحدة تجمع شتاتها لأول مرة بعد تاريخ طويل من التفكك
والفتن والحروب ، اقتضى أن يمسك الملك عبد العزيز بقمضته القوية
على أزمة الأمور جميعاً ، حتى تستقر الأوضاع وترسخ قواعد الأمن
والولاء للعهد الجديد ...

على أن الملك عبد العزيز — رحمه الله — لم يفتنه النصر الذي حققه
والجاءه العريض الذي تمتع به ، ولم ينزع به ذلك إلى الاستئثار بتشئون
الحكم والانفراد بحرية التصرف في مقادير البلاد ، بل أشرك معه
طائفة من العلماء ورجال الجهاد وخبراء السياسة يستشيرهم في سياسة
الدولة وشئونها الداخلية والخارجية .

ثم أخذ نظام الحكم يتطور شيئاً فشيئاً ، كلما تطورت شئون الحياة
في هذه البلاد نحو الاستقرار والحضارة ، وكلما ازدادت تبعاً لذلك أعباء

الحكم ومسئوليته . وبدأ الملك عبد العزيز فأشرك معه في الحكم بعض أبنائه ، فأناوب عنه « الأمير ، سعود في حكم نجد ، والأمير فيصل في حكم الحجاز ، وأقام الأمير محمد أميراً على المدينة... »

وأنشئ مجلس الوكلاء الذي يمثل الهيئة التنفيذية ، كما أنشئ مجلس للشورى يضم صفوة من رجال المملكة ويتبر هيئة نيابية على صورة مصغرة ، وتولى معالي الشيخ عبد الله السليمان منصب أول وزير في المملكة العربية السعودية .

ثم توالى إنشاء الإدارات التي تشرف على مرافق الدولة ، وتطورت هذه الإدارات فتحول بعضها إلى وزارات ، وأنشئ أول مجلس للوزراء برئاسة « الأمير ، سعود ولي العهد .

واستكمل جهاز الحكم كيانه وصورته في عهد الملك سعود ، إذ أنشئ عدد آخر من الوزارات وأسند جلالته رئاسة الوزارة إلى الأمير فيصل ولي العهد . ويتكون مجلس الوزراء الآن من ستة عشر عضواً ، منهم تسعة وزراء عاملين وسبعة من المستشارين ووزراء الدولة ، وذلك على الوجه الآتي :

الأمير فيصل رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية .

- عبد الله الفيصل وزير الداخلية .
- فهد بن عبد العزيز وزير المعارف .
- سلطان بن عبد العزيز وزير المواصلات .
- فهد بن سعود وزير الدفاع والطيران .



الملك سعود وعمه الأمير عبد الله بن عبد الرحمن كبير المستشارين
معالي الشيخ محمد سرور الصبان وزير المالية والاقتصاد الوطني
د محمد علي رضا وزير التجارة
د الدكتور رشاد فرعون وزير الصحة
د الشيخ السديري وزير الزراعة
الأمير عبد الله بن عبد الرحمن كبير مستشاري الملك
د مساعد بن عبد الرحمن مستشار الملك
د مشعل بن عبد العزيز مستشار الملك
د سعادة الشيخ خالد أبو الوليد مستشار الملك
د جمال الحسيني مستشار الملك
د يوسف ياسين وزير دولة ونائب وزير الخارجية
د إبراهيم بن معمر من كبار رجال القصر

وللمجلس الوزراء ديوان تتبعه الهيئات الآتية :

١ - ديوان الأمانة العامة وهو يختص بشئون سكرتارية مجلس الوزراء .

٢ - ديوان المراقبة العامة ويختص بالإشراف على تنفيذ ميزانية الدولة .

٣ - ديوان الخبراء لتقديم التقارير الفنية في مختلف الشئون .

٤ - ديوان المظالم وهو أشبه ما يكون بمجلس الدولة .

وتنقسم المملكة من الناحية الإدارية إلى تسع مقاطعات وبكل مقاطعة عدة ملحقات ، وعلى كل مقاطعة وملحقه أمير . وهؤلاء الأمراء من أبناء الشعب الذين شاركوا الملك عبد العزيز في تكوين الدولة ، وقد نبتهم الملك سعود في مناصبهم عندما خلف والده الملك الراحل في ولاية العرش .

وهناك هيئات تبشر أعمال بعض الوزارات التي لم تنشأ بعد وهي :

رياسة القضاء ، ومديرية الانشاء والتعمير ، والمديرية العامة للحج ، ومديرية الأوقاف ، ومديرية المعاهد الدينية ، ومديرية الشئون البلدية ، ومديرية الجمارك العامة ، ومديرية الإذاعة والصحافة والنشر .

الرحلة الأولى

دعوة من وراء الفيض

لبيك اللهم لبيك!

١

حين ورغ ابراهيم من بناء البيت العتيق ، توجه ببصره
إلى السماء وهو يقول : يا رب ، قد فرغت ...
فتلقى الوحي أن أذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى
كل صامر ...

قال في ضعف وإشفاق : يارب ، وما يبلغ صوتي !
فقال : إنما عليك الأذان وعلى البلاغ ...
وصدع الشيخ الواهن بأمر ربه ، وأرسل صوته الضعيف
بالأذان لا يكاد يسمع رجع صدهاء . — لكن كلمة الله
نفخت في هذا الصوت الضعيف الواهن ، فاذا به يبلع من
وراء العيب مسنقر الأرواح في أصلاب الرجال وأرحام
النساء ، ولذا من بين هذه الأرواح من تضحج بالهتاف :
— لبيك اللهم لبيك .

فليس حاج يهيج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من
أجاب دعوة ابراهيم من وراء القيب البعيد .

ذكرت هذه القصة وأنا أستمع إلى السيد بشير السعداوى ، مستشار
الملك عبد العزيز آل سعود ، وهو يقول لى في التليفون (١) :

(١) كان ذلك في أواخر يولية سنة ١٩٥٢ .

— أنت مدعو لأداء فريضة الحج هذا العام ...

قلت ، وأنا في غمرة الدهشة والسرور : كيف ولم يبق على موعد
الحج إلا بضعة أيام ؟

قال : نعم ، وإنك لرفيق في هذه الرحلة المباركة ، فخذ لها أهبتك
العاجلة ..

قلت : إذن ، هي دعوة إبراهيم .. عرفت اليوم أن روحى
قد استجاب لها من وراء الغيب البعيد .

وأخذت أعد العدة لهذه الرحلة المباركة . ولم أكن أفكر وقتئذ
في نفسى ، وفى الأحاذ بأسباب هذه الرحلة ، بقدر ما كنت أفكر فى
أن أقضى حقوق الأمومة لتلك السيدة التى تقيم فى موطن الأسرة
بأقصى الصعيد ..

إن للحج هنالك أفراداً وتقاليد ، لابد من أن أهىء لتلك الأم أن
تحي هذه التقاليد وتعيش فى جوها المبارك السعيد ، وإن من البر أن
ألقاها قبل السفر فأقضى لها بعض الحقوق ، ثم لأهتبل هذه الفرصة ،
فأستروح تحت قدميها نسائم الجنة ، وأنزود من دعائها المستجاب ..

٢

ثم شغلت نفسى بالرجوع إلى كتب الفقه والسنة ، أنحرى فيها
أحكام الحج وما كان يفعله الرسول عند أداء هذه الفريضة . ولقد
لقيت فى ذلك كثيراً من الجهد — لا أدرى أكان ذلك بسبب ضيق

الوقت ، أم لاتساع ميادين البحث وحرصى على أن أستجمع مختلف أطرافه ، وأستخلص من خضمه الزاخر خلاصة عملية موجزة ، أتمثلها فيما أنا مقدم عليه لأول عهدى بأداء هذه الفريضة . . .

وأراد بعض الاصدقاء أن يهونوا على الأمر ، فقدموا الى بعض الكتيب الحديثة الموجزة فى شؤون الحج ، فاذا كثير منها يتضمن توجيهات ومأثورات معينة ، يتوهم قارئها أنها الصورة التوقيفية ، التى يجب أن يلتزمها عند أداء هذه الفريضة ، ففهمها مثلاً لكل شوط من أشواط الطواف بالكعبة ، أو السعى بين الصفا والمروة ، دعاء خاص . . . ولم أجد شيئاً من ذلك فيما رجعت إليه من أمهات كتب الفقه والحديث ، وفيما كان يفعل الرسول وأصحابه من بعده . . .

وكونت فى نفسى صورة لما ينبغى أن أؤدى عليه فريضة الحج ، واستحضرت ماوعت ذاكرتى من صور المعالم والمشاهد التى تقترن بشعائر هذه الفريضة ، مما سبق لى أن قرأت أو سمعت . على أنى حين أقبلت فيما بعد أؤدى حجتي ، تضاعف كل ما قرأت وما سمعت وما تصورت ، وألفيتنى فى أمية قد أستوى فيها مع من لم يصيبوا مثل حظى ذاك من العلم والتصور .

وحدثنى أحد علماء الأزهر قال :

— د لقد ظللت عشرين عاماً ألقى على طلبتى دروساً فى الحج ، فلما أقبلت هذا العام أؤدى هذه الفريضة ، ألفت نفسى حائراً فى كثير

من المواقف — لا أقول من روعة هذه المواقف ، وإنما لأن العلم في صحائفه شيء ، وتطبيقه على الطبيعة شيء آخر ... ،

هذا من جهة أحكام الحج ، وقل أكثر من ذلك في آدابه ، فقد شهدت هنالك أن غالبية الحجاج لا يفقهون كثيراً من آداب الحج التي تتمثل في قوله تعالى :

« الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ، وَتَزُودُوا فِي خَيْرِ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُوا أَوَّلِي الْأَبْأَابِ » .

وقد خرجت من ذلك كله برأى أعتقد أن الأخذ به يحتمه الدين ، ويفرضه شرط الانتفاع بحكمة هذه الفريضة . وهو أن تعد كل دولة إسلامية كتيباً بلسانها عن الحج ، يشترك في وضعه الفقهاء ورجال التاريخ والآثار والاجتماع والرحلة ، تبسط فيه أحكام هذه الفريضة على ما كانت عليه في عهد الرسول ، وتوضح فيه آدابها وآداب زيارة المسجد النبوي وغيره من المشاهد ، وتحدد فيه معالم المشاعر بالصور والرسوم ، وتؤرخ فيه الآثار الإسلامية التي يراها الحاج في تلك البلاد ، ويبين فيه ما هو في حاجة إليه من مطالب الرحلة ، وما يفيد من علم وتوجيه وإرشاد .

ثم تفرض هذه الدول على كل راغب في الحج أن يدرس هذا

الكتيب ويصعبه معه دليلا له في رحلته ، إلا يغنه عن « المطوف »
فانه يعصمه من جهالات البعض منهم . وقد أذهب إلى أن يسبق موسم
الحج إقامة حلقات للدراسة في المساجد والأندية بكل قرية ومدينة ،
يختلف إليها الراغبون في الحج ، ويجازون بعدها على « جواز » سفرهم ،
كما يحيزهم الطبيب بعد حقنهم بالدواء .

٣

... واستيقظت مع الفجر أتأهب ليومي الرائع الجميل ، فاغتسلت
واحتلقت وتطيبت ، ثم أخذت لباس الإحرام ونويت العمرة ،
وأديت الصلاة ...

وودعت أهلي وولدي وقد طغت على مشاعري أشواق أقوى من
حرارة الوداع ، ثم غادرت منزلي بحلوان وأنا في لباسي هذا الأبيض
البسيط ، وعلى المتواضع المكشوف غير المخيط ، وفي عدي الخفيفة
الوافية ، وأنا أشبه ما أكون بالنافر إلى ميدان الجهاد ، وقد انطلقت
في لمثري الدعوات والزغاريد ...

وقد أحرمت بالمنزل لأن الإحرام بالطائرة غير ميسور ، إذ يصعب
على المسافر بها تحديد مكانها من « الميقات » وليس الأمر كذلك بالنسبة
للمسافر بالباخرة ، إذ يحرم ركابها عندما تحاذي بهم « رايغ » على
ساحل البحر الأحمر ، وهي ميقات الحجاج من أهل مصر وشمال أفريقيا .
وقد جعل الرسول لاهل كل جهة ميقاتهم ، يتهاون عنده للدخول .

إلى حرم الله ، وجعل ميقات أهل المدينة أبعد هذه المواقيت عن الحرم ،
لتزيد رقعة الإحرام فيزداد أهلها استمئاءً بمشاعر الإقبال على بيت
الله الحرام ، ويزداد ثوابهم على قدر ما ازداد من تحملهم مشاق الرحلة
وقيود الاحرام ...

وقال عبد الله بن عامر والى البصرة على عهد عثمان ، إن عثمان
— رضى الله عنه — كان في نيسابور حين قال له أحد خاصته ، وقد
امتدت الفتوحات الإسلامية في عهده إلى أبعد الآفاق :

— يا أمير المؤمنين ، لم يفتح الله لأحد ما فتح عليك !
فقال : لا جرم لأجعلن شكرى لله أن أخرج محرماً من موقفٍ بهذا ...
فهل كثير على — وقد أكرمنى الله بدعوته هذه لزيارة بيته
الحرام — أن أقبل عليه محرماً من دارى بجلوان ؟!



... في مطار القاهرة — الجالسون من اليسار — السيد بشير السعداوى ،
اللواء محمد فؤاد عثمان ، السيد عبد السلام المريض . الواقفون من اليسار :
المؤلف ، الملازم أول أحمد فؤاد عثمان ، السيد مصطفى السراج .

وأقلتنا الطائرة السعودية من مطار القاهرة الدولي ظهر يوم الأربعاء السابع من ذى الحجة . ولم أكن قد ركبنا الطائرة من قبل ، ولكن شعورى لم تكن تخالطه الرهبة التى يستشعرها كل من يحاول تجربة جديدة مجهولة تحيط بها أوهام الخطر واحتمالات الشرور ، ذلك لأن هذه التجربة التى كانت جديدة بالنسبة لى ، لم تكن فى الواقع جديدة على خاطرى وإحساسى الاجتماعى ، فمضى قد فقدت عناصر الجودة والمفاجأة ، وتهاويل الشئ الغريب المجهول ، منذ أصبحت مركباً ذلولا عاديا منذ عشرات السنين . . .

وأرسى هذا الشعور فى نفسى أنى شهدت معى فى الطائرة أخطا من الرجال والنساء والأطفال ، كما أشهدهم كل يوم فى قطار حلوان وفى المركبات العامة بالقاهرة ، فليست الطائرة إذن إلا وسيلة مألوفة من وسائل السفر ، لا فرق بينها وبين الوسائل الأخرى إلا من حيث السرعة التى لاتحسبها وأنت جالس فى مقعدك الوثير ، وإلا أن يجراها بين الأرض والسماء .

على أنى أحسست شيئاً من القلق والإشفاق ، وأنا أنظر من وراء زجاج النافذة ، فأجد الطائرة قد اتخذت مجراها البعيد فوق البحر الأحمر . أكان ذلك لأنى من أبناء اليابسة ، فأنا لا أستشعر احتمال الخطر ، ولا أشفق من المصير المجهول ، إلا وأنا بين السماء والماء . ولا أستشعر ذلك وأشفق منه إذا كانت الطائرة — وهى هى — تسبح بنا بين السماء والأرض ، ولو فوق الجبال ومفاوز الصحراء !؟

على أن نفسى لم تلبث أن فامت إلى ، واستقرت مشاعرى فى طمأنينة
وإسلام ، فقد تجلّت لى هذه الهواجس والوساوس حقيرة تافهة ،
وأنا أنتمثل هذه القدرة الإنسانية التى ذلت عناصر الكون ، واستوت
على عروش الأجواء ، ومن وراء ذلك . . . تلك القدرة الإلهية
الرحيمة ، المحيطة بالكون فى البحر والبر والهواء .

وعكفت على كتاب الله أتلو من آياته ، وقد تملكنى شيء من الزهو
أشبه ما يكون بالعبادة ، إذا تمثلتني فى مقامى هذا كما يكتب بالسباح
فى معارجه بين الأرض والسماء !
وماهى إلا ساعات أربع ، حتى هبطت بنا الطائرة فى مطار جدة ،
ونحن نردد جميعها الهتاف فى شوق وإيمان .
— تبيك اللهم لبيك . . .



في الأرض الطيبة...

١

هاتحن أولاء نخطو خطواتنا الأولى على الأرض الطيبة وثيدة
متهيمة ، تلك الأرض التي كانت مسرحا لأروع حوادث التاريخ ، وأخذ
ملاحم الإنسانية ...

هذه الأرض التي تروى ذراتها تاريخا طويلا زاخرا بصور البطولة ،
وألوان الكفاح ، ومصارع الشهادة في سبيل الحق والمثل الأعلى .
وتتردد في أجوائها أصدااء بعيدة قريبة ، لتلك الانتفاضة الروحية
القوية ، التي انشقت عنها ضمير الوجود منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ،
فغيرت معالم التاريخ ، وقفرت بالإنسانية إلى أبعد الآفاق ...

إن طوفانا من المشاعر والاحاسيس يحتويني ، ويملك على الروح
والقلب والواعية ، فإذا أنا أعيش في جو تزدهم فيه صور التاريخ حية
نابطة ، وتختلط فيه مشاعر التجرد والعبودية ، وأشواق التلبية
والإقبال على الله .

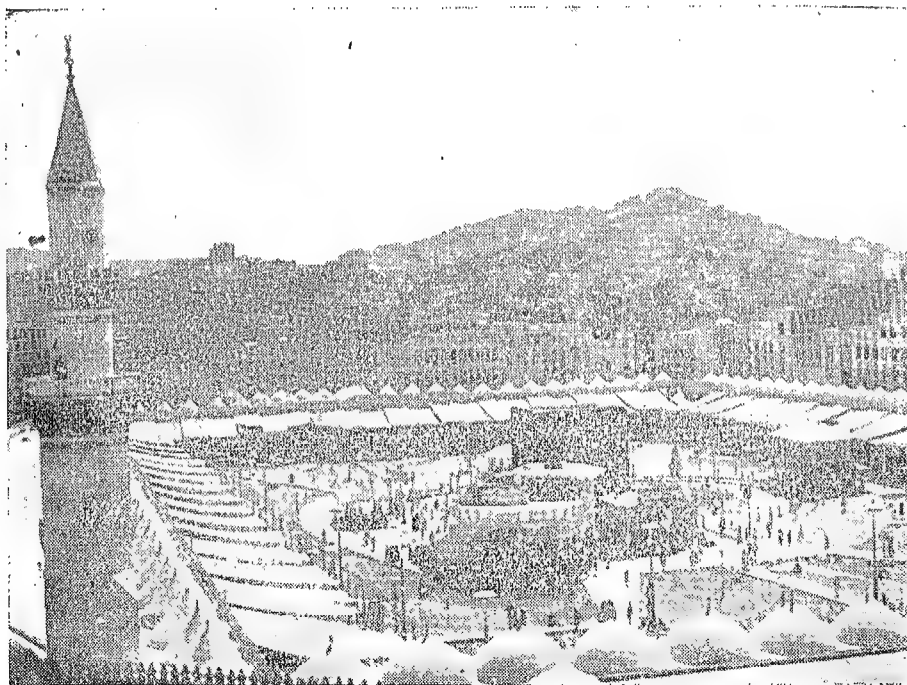
لها نقلة روحية بعيدة ، تفصل المرء عن حياته تلك التي كان يحياها وهو يصارع « الدوامة » التي تلف الحياة والأحياء ، وتقذف به إلى حياة جديدة ، تنفخ في روحه شحنة لاعهد له بها من المشاعر والأحاسيس . أنه يستدبر تلك الحياة المضطربة الصاخبة ، بما فيها من أعباء وهموم وروابط وتقاليد ، وقد تجردت نفسه عن ذلك كله ، كما تجرد جسمه إلا عن لباس الإحرام ، ويستقبل حياة أخرى تتلاشى فيها هذه المعالم ، وتبديل الأقدار والموازن .

وقد يكون في هذا التصوير كثير من الرمزية والغموض ، ولأنه كذلك نصير لا يطبق مزيدا من الإبانة والإفصاح ، لأن الإحساس بتلك الصور المزدهمة الغالبة ، لا يستطيع أن يتبين حدود هذه الصور ودقائقها في إحاطة ووضوح ، ولا أن يسوعب كل ما يمتثل فيها من ألوان وظلال .

وأخرجني من هذا الاستغراق في مطالع الحياة الجديدة وأنا أخطو خطواتي الأولى على الأرض الطيبة ، صوت الرائد وهو يقول :
— هلم إلى البلد الحرام . . .

إلى أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين . . .
وحملتنا السيارة إلى مكة بعد الغروب ، وانطلقت بنا في طريقها الممهدة تطوى الأرض في سرعة خاطفة ، ولكنها لم تكن مع ذلك أسبق من أسيافنا المتوثبة في حرارة وانطلاق . . .

وعادت الصور المزدحمة الغالبة تستغرق مشاعري من جديد ،
وقد أطبق الظلام على السكون ، فلا تنفرج فيه إلا ومضات خافتة
ترسلها مصابيح السيارات في انطلاقها السريع . وكنت أحس أن السيارة
لا تنطلق بنا في طريقها من جدة إلى مكة ، ولكنها توغل في رحلة إلى
أعمق التاريخ ، وأنها لا تطوى الأرض وإنما تطوى السنين والحقب
والأجيال . حتى إذا لاحت لنا من بعيد أضواء مكة وجبالها الشاهقة ،
هتفنا من الأعماق :
— لييك اللهم لبيك . . .



ودخلنا مكة مكبرين مهللين ، وكنت محرماً بالعمرة ، وهى الحج
الاصغر كما يقولون ، وقصدت إلى الحرم فدخلته من باب السلام
وأنا أقول كما قال الرسول : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، حِمِّنا
ربنا بالسلام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابةً
وبراً ، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً
ومهابةً وبراً

ثم إذا بي أهتف من أعماق نفسى :

— الله أكبر ، الله أكبر . . .

هذه الكعبة .. يكتحل بمرآها ناظرى ، وتمتشى روحى ، ويخبت
قلبى ، وتخشع جوارحى !

هذا الرمز الخالد الذى يجمع حوله القلوب ، من عهد إبراهيم إلى
أن تقوم الساعة ، رمز التوحيد والعبودية لله وحده . . .

هذه الكعبة ، بيت الله فى الأرض ، وقبلته المسلمين حين يمثلون
أمام الله فى الصلاة . . .

هذه الكعبة التى لا تخلو لحظة من لحظات الدهر ، إلا وحولها
طائف أو راجع أو ساجد . . .

واجتذبتنى موجة الطواف التى لا تهدأ ولا تنفتر ، فإذا بي ذرة
متجردة هائمة فى ذلك الملاء الذى يضج بالتسبيح والدعاء . . .

وفي هذا المقام وحده ، يذل عصي الدمع ، فلا تملك إلا النشيج
والبكاء . ألسنت في حرم الله ، وقد تجردت عن كل مظاهر الدنيا ،
إلا من آثامك وخطاياك ١٩

ألسنت في مقامك هذا واقفا بين يدي الله وحيدا فريدا ، قد تخلّيت
عن الأهل والولد والجاه ، وقدمت إليه منقطع الصلة بالحياة
والأحياء ، في لباسك هذا الذي تغادر به الدنيا وأنت تستقبل الموت
وتستدبر الحياة ١١

وفي هذا المقام وحده ، لا تتخجل من أن تعترف بذنوبك وآثامك ،
بل إنك لتجد الراحة والسلام وأنت تذيب هذه الذنوب والآثام في
دموع التوبة والندم ...

ألسنت واقفا بباب الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ،
والذي وسعت رحمته كل شيء ، فأنت تلوذ بجماءه ، وتستجديه
الرحمة والغفران ١

وفي هذا المقام وحده ، يجأر الإنسان بالدعاء لا يكاد يحس من حوله
ولا يحس به من حوله ، أليس قد تلاشى من إحماسه كل شيء في الوجود ،
إلا أنه عبد آبق تقطعت به الأسباب وتخلت عنه الأرباب ، فأقبل على
مولاة تائباً منيباً بين يديه ، لأنه لا مهرب منه إلا إليه ١

٣

وأتممت الطواف سبعاً ، وكمنت كلباً حاذيت الحجر الأسود أشرت
إليه بيدي مكبرا ، فإذا حاذيت الركن اليماني بسملت وكبرت . وكان
دعائي في الطواف ما كان يدعو به الرسول :

« رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ »

ثم ما كان يحضرني من مأثور الآيات والاحاديث ، وما تفيض به
مشاعري في هذا المقام من ضراعة وابتغال . . .

وما كان أشد عجبى فيما بعد وأنا أقف أتأمل الكعبة ، أن أشهد بعض
صبية المطوفين وهم بقودون جماعات الحجيج يلتقونهم من الادعية
مالا يفقه أولئك الصبية معناها ولا يحسنون معناها ، فيردد أولئك
الحجيج ما يسمعون ترديدا ينبعث من الآذان لا من القلوب !

وهل في مثل هذا المقام يحتاج المهاجر إلى الله ، المقبل عليه ، إلى من
يقوده من أمثال هؤلاء الصبية ، كما يقود الصبي الراحلة ؟

وهل في مثل هذا المقام الملمم بفيوض المشاعر ، الجياش بأروع
المعاني وأبلغ الأحاسيس ، يحتاج المرء إلى من يترجم له مشاعره ويملي
عليه ما يقول ؟

إنه إذن للجهل بسنة الرسول ، والامية الوجدانية ، وعى المشاعر ،
وجذب الاحاسيس . . .

واقنديت بالرسول فكنت أسرع قصير الخطى في الاشواط الثلاثة
الاولى ، وقد اضططعت ، فأزحت عن كتفى اليمنى لباس الإحرام
فجعلته تحت عضدى . لقد فعل محمد ذلك في عمرته الاولى وأمر به

أصحابه، لأن المشركين حين رأوا المسلمين في « الحديبية » وقد أوهنتهم حمى يثرب ، قالوا شامتين :

— « قد أوهنتهم الحمى ، وإن محمدًا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال ،

فأمر الرسول أصحابه أن « يرملوا » في الأشواط الثلاثة الأولى ، وأن يضطجعوا ، إظهاراً للذشاط والقوة ، وقال :

— « رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة » .

فصارت سنة في الطواف ...

وبعد أن أتممت الشوط السابع اتجهت نحو « الملتزم » وهو يقع بين الحجر الأسود وباب الكعبة ، فالتصقت بالجدار رافعاً يدي أتعلق بأستار الكعبة وأنا أجأر بالدعاء وأنشج بالبكاء ؛ لأنه موقف للضراعة تتشبث فيه بالبيت العتيق بجسمك وروحك ومشاعرك جميعاً ، وأنت تسأل الله من فضله وعفوه ، وتلوذ بحماه في ذلة وتجرد وابتهاال !

ثم غدوت على مقام إبراهيم فصليت إلى جواره ركعتين ، وشربت من ماء زمزم ...

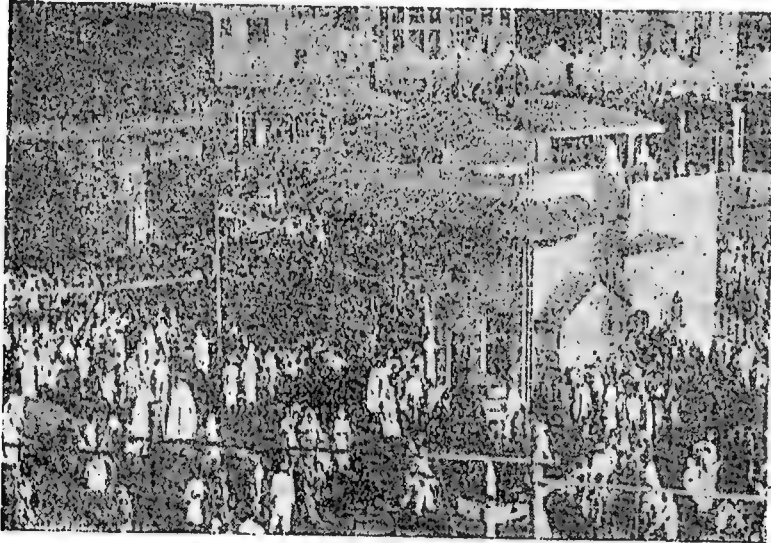
أما مقام إبراهيم هذا ، فهو الحجر الذي كان يقوم عليه وهو يرفع القواعد من البيت . وقد بلغ هذا الحجر من القداسة أن أقيمت عليه قبة ، وأصبح من أرى يظن كثير من الحجاج أنه قبر إبراهيم ... كما تبارى بعض السلاطين والولاة في تحليته بالذهب والفضة !!

وما أظن الآية التي تقول :

«وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» ،

تعني هذا الحجر أو تخلف عليه شيئاً من القداسة ، وإنما تعني المكان الذي قام فيه إبراهيم إذ ذاك ...

وأما زمزم فقد كانت تشهد قبل أن يقام عليها البناء الحالي ، ألوانا من جمالات بعض الحجاج ، وتمامهم على التبرك بمائها ، حتى إن أحدهم — كما يقول صاحب الرحلة الجبازية — ألقى بنفسه في البئر ليوت شهيداً في مائها المقدس !



وقد رأيت كثيرآ من الحجاج يأتون بقطع طويلة من القماش
فيغمسونها في ماء زمزم ، ثم يثشرونها على حصباء الحرم حتى تجف .

وسألت : ماذا ك ؟

قيل : هذه أكفانهم يدخرونها ليوم الوفاة . .

ثم وقفت أتأمل الكعبة من جديد ، إن النظر إلى الكعبة عادة
صامتة .

ولكن أى صمت هذا الذى يوحى إلى النفس أبلغ منطق وأروع بيان
وقفت أتأمل الكعبة ... قائمة فى أستارها السوداء ، وقد غص
المطاف بأفواج الحجاج متدفقة هادرة ، كلهم فى لباس الإحرام عراة
الرموس حفصة الأقدام ، قد انمحت من أيديهم اللوارق الاجتماعية ،
فلا غنى يستهلى به غناه ولا فقر يتواضع به فقره ، ولا عظيم يتقدم به
جاهه ولا حقير تتخلف به حقارته ، ولا فرق بين أبيض وأسود ولا بين
سيد ومسود ، الكل فى هذا المقام سواسية أكفاء ، عبودية خالصة لله
وحده ، ومساواة مطلقة بين الجميع . . .

أى معنى إنسانى حققه الاسلام على هذه الصورة الرمزية الرائعة ،
والتي ما زال العالم المنحضر فى أرقى مؤسساته الدولية لا يستطيع أن يبلغ
أذن مرآتها ، بل إنه حين يحاول ذلك تحذله الانانية والرجعية ويفضحه
الكذب والنفاق ؛ وما قضايا الشعوب المنكوبة بالاستعمار ، وقضية
المالونين فى أمريكا وغيرها ببعيد . . .

أطياف الذكريات...

١

ووقعت أتأمل السكبة ، فإذا صور من أطياف الماضي تتوالت
أمامي حية نابضة ، وإذا أنا أعيش في أعماق التاريخ البعيد ...
هذه السكبة تتردد في سمائها أصداء رهيبية آتية من كل مكان ...
لها أصداء قریش وغيرهم وقد تملكهم الفزع والاضطراب ،
وهم يغادرون دورهم ويحلبون عن مكة إلى شعاب الجبال ، فراراً من
جيش « أبرهة » الداهم الذي قدم ليحج السكبة من الوجود !
هذه السكبة التي تعلقت بها قلوب العرب في أنحاء الجزيرة ،
ولم تصرفهم عنها بيوت أخرى للعبادة ، أقامها الغساسنة في الحيرة ،
وأبرهة في اليمن ، وبيت اللات في الطائف ، وغيرها في بعض البلاد ...
وهذا عبد المطلب سيد قریش ، قد عاد لتوّه بعد أن واجه أبرهة
في معسكره ذاك وراء مكة ، واسترد أمواله وأموال قومه التي استولت
عليها طلائع الغزاة ...
ولقد عجب أبرهة من أمر عبد المطلب أيما عجب ...

إنه يقدم عليه منافخاً دون « البعران » ، لا مدافعاً عن السكعبة . .
 ويزداد عجبته حين يقول له عبد المطلب :

— نعم ، هذا مالى أَدافع عنه ، وللبيت رب يحميه . . .

هذا عبد المطلب يقف ممسكاً بحلقة باب السكعبة ، وحوله نفر من
 قومه تميم نفوسهم بالحزن والأسى ، وهو يتوجه إلى الله فيقول :

لَا هُمْ إِنْ أَلَمُوا يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَأَمْنَعُ رَحَالَكَ . . .

إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبَلْتَنَا فَامْرَأَةً ... بَدَا لَكَ !

ثم ينصرف عن السكعبة وينصرفون ، وتبدو السكعبة من بعدهم
 موحشة واجمة . إنها بداية المعركة الرهيبة بين جيش أبرهة في الأرض
 وجند الله في السماء

* * *

وتوائب الصور أُمحى حية نابضة . . .

هذه السكعبة قد عاد إليها الأمن والطمأنينة والسلام . وهذا
 عبد المطلب سيد قریش يجلس في ظلها على فراش قد أعد له ، وحوله
 الرجال يفترشون الأرض في هيبة واحترام ، إلا طفلاً وضيقاً قد جلس
 إلى جانبه وقد استأثر منه بكثير من العطف والاهتمام . . .

إنه محمد الصغير . . .

ذلك الطفل الذى ولد عام الفيل ، والذى فقد أباه قبل أن يراه . . .

يجلسه عبد المطلب في حجره ، وعلى فراشه ، حين يتخذ مجلسه كل يوم بين أشرف مكة في ظل الكعبة . . .

* * *

وتتوالب الصور أمامي حية نابضة . . .
هذه قريش يشتد بينها الجدل ، ويستخدم الشقاق ، حتى لنوشك أن
تصمت الألسنة وتنطق السيوف .

إن كل قبيلة تريد أن تستأثر بوضع الحجر الأسود في مكانه من
الكعبة وهم يعيدون بناءها بعد أن دهمها السيل ، وتأبى أن تترك لغيرها
هذا الشرف العظيم . . .

ويقبل على القوم شاب وضئ ، فيهللون في نفس واحد قائلين :
— رضيناه حكماً . . .
— إنه الأمين !

* * *

وتتوالب الصور أمامي حية نابضة . . .
هذا محمد الأمين يدخل الكعبة ، فتأخذه العيون بنظرات غريبة ،
ليست كذلك التي استقبلوه بها في الأماس القريب . . .
نظرات حانقة شزاء ، يتطاير منها الشر والشر . . .
إنه يصل في الكعبة صلاة عجيبة لم يألها القوم في عبادتهم تلك التي
يتقربون بها إلى التماثيل والأصنام . . .

ولأنهم ليسيقون بهذا الرجل وعبادته ، لأنه ياجد في دينهم ، ويعيب
آلهتهم ، ويسفه أحلامهم ، وهم سدة البيت ، وأشرف مكة ،
وسادة العرب .

وأقبل أحدهم عليه وهو قائم في الصلاة ، فأخذ بمجامع ردائه
وخنقه خنقاً شديداً ، والقوم من حوله شامتون مستهزون ، حتى كادت
عيناه تبرزان . . . لولا أن انبرى له شيخ وقور فدفع الرجل عنه غضباً
وهو يقول :

— أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله !
... إنه أبو بكر !

* * *

وتتوالب العصور أمامي حية نابضة ...
إن الكعبة لتشهد اليوم أمراً عجيباً ...

هذا محمد الذي شهدته بالأمس يؤدي صلاته في ظل السخيرية
والإيذاء والموت ، والذي خرج من مكة خائفاً يترقب ، فراراً بدينه
وحياته بعد أن ائتمر به قومه ليقتلوه . ها هو ذا يدخل الكعبة ومن
ورائه عشرة آلاف يملئون سماء مكة بالتكبير والتهليل ...

وها هي الأصنام التي كانت تحيط بالكعبة تهوى ذليلة محطمة ،
على أعين سدنتها وعبادها ، لا تملك عن نفسها دفعا ولا يملكون ...

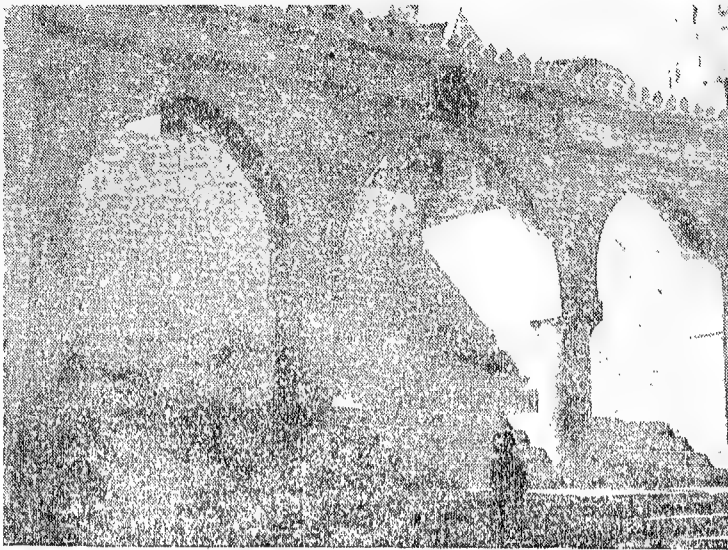
وانتزعنى من تأملاتى هذه صوت الرائد وهو يقول :
 — هلم لنستكمل مناسك العمرة ، إلى الصفا والمروة أيها الرفيق .
 وخرجنا من الحرم إلى الصفا ، تلك الربوة التى وقف عليها محمد فى
 فجر دعوته يوم نزل عليه قوله تعالى :

« وَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ »
 فجعل ينادى بطون قریش بأسمائهم حتى اجتمع منهم خلق كثير ،
 ثم قال فيهم :
 — أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم .
 أكنتم مصدقي ؟

قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا ...
 قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .
 فانفجر عنه أبو لهب ساخطاً وهو يقول :
 تبا لك ... ألهذا جمعتنا ؟

وبدأنا السعى بين الصفا والمروة ونحن نهتف بالتهايل والتكبير
 والدعاء ونردد قوله تعالى :

« إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوَّاعًا مَرًّا
 فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرٌ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ
 شَا كَرٌ عَلَيْهِ »



ربوة الصفا ... حيث يبدأ السعى

وكان سعيُّنا بين الصفا والمروة في زحمة شديدة التلاطم والاضطراب ،
بين صفين من المتاجر والمشارب والدور تطل على الساعين بأنظار
فضولية باردة .

ترى هل كان من الممكن أن يخاو هذا المشعر مما قام على جانبيه من
تلك المتاجر والمشارب والدور ، فضيق على الناس مسعاهم ، وأقجم على
جوهم القدسي ذلك الفضول النابي البليد ؟

وهل كان من الممكن أن يتوافر لهذا المسعى من الرحابة والنظام ،
ما يجنب الناس ذلك الكرب الذي يكاد يفسد عليهم جو العبادة الخالصة ؟

وهلا كان من الممكن أن تتخذ السيارات التي تقطع هذا المسعى طريقاً آخر إلى غايتها ، فلا تعطل حركة السعى ولا تقطع على الساعين طريقهم وتزعج نجواهم ؟

نعم ، كان هذا ممكناً بل واجباً . وقد علمت أن الملك سعود حاول وهو ولي للعهد أن يزيل هذه المباني ويرد للمسعى رحابته وقديسيته ، لولا أن قامت في سبيله الأناوبة والجمود .

إن د عمر ، أزال كثيراً من السيوت التي كانت تحيط بالحرم ، وأدى لأصحابها الثمن ، لينزله من مساحة المسجد الحرام . ولقد أتى بعضهم يومئذ أن ينزلوا عن دورهم ، فأجلاهم عنها ووضع لهم ثمنها في خزانة الكعبة ثم قال لهم : — إنما نزلتم على الكعبة فهو فناءؤها ، ولم تنزل الكعبة عليكم .

فعل ذلك عمر ثم عثمان من بعده . وكذلك ينبغي أن تفعل الحكومة السعودية ، فنزيل جميع المساكن المحيطة بالمسعى ، وتؤدي لأصحابها الثمن راضين أو كارهين ...

وكان ذلك منذ أعوام ...

ثم دارت الأيام ، وتولى الملك سعود العرش ، وطالع العالم الاسلامي بمشروعه الجبار لتوسيع الحرم ، وشهدت في رحلتى الثالثة إلى هذه البلاد ، ذلك الأمل الذي كان يراود النفوس يصبح حقيقة ماثلة .

إن المسعى بين الصفا والمروة قد أعملت المعاول فيما يحيط به من المتساجر والدور ، وإن المشروع الجديد لتوسعة الحرم أدخل هذا المسعى في رحاب الحرم المقدس . وبذلك سوف يتهيأ للساعين أن

يؤدوا لسكهم في جو هدى خالص يلبق بحلال هذه العبادة ، ويسأى بها
عما كان يفسدها من سوفية وفضول .

وأتممنا السعى بين الصفا والمروة سمعه أشواط ، ونحن نتمثل اللهفة
الطاغية والحيرة الذاهلة التي استبدت بقلب « هاجر » روج ابراهيم منذ
آلاف السنين ، وهي تهول بين الصفا والمروة تلمس قطرة من الماء
تبل بها صدى وليدها اسماعيل .

لقد ألقى بها ابراهيم في هذا المكان القفر إلى جانب أطلال الكعبة ولم
يترك لها ولطفها الرضيع إلا جراباً من البر وفربه من الماء . وإلا
دعوات ضارعة توجه بها إلى الله :

« رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ
بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَاجْعَلْ أَوْدَهُ مِنْ النَّاسِ
تَهْوَى إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ » ،

ولم يلبث أن نفذ التمر والماء ، وانقطع معهما غذاء الطفل من ثدى
أمه . وأخذ الجوع والظلم يلهب أحشاء الطفل الرضيع .

وجن جمون المرأة وهي تسنمع إلى أنين الطفل وبكائه المتقطع
الموصول ، وتلفتت فيما حولها مكروبة ذاهلة ، تلبس الماء .. فلا ترى
إلا الجبال السود والأودية القاحلة ، وانطلقت إلى الصفا تتطلع إلى
الأرض والسماء ، ثم نزلت مهرولة إلى المروة تقلب طرفها الواهن وتستجمع
أنفاسها اللاهثة ، وما زالت كذلك تتجاذبها اللهفة والقلق والاشفاق

سبعة أشواط ، حتى إذا كانت على المروة وقد استبد بها اليأس وناءت
بها الآلام ، توجهت ببصرها نحو الكعبة فإذا عين ماء تتدفق تحت قدمي
طفلها المشرف على الهلاك !

٤

وعدنا إلى الفندق فتحللنا من الإحرام .
ولم أستطع النوم في تلك الليلة ، وأى عين تستطيع أن تغمض أمام
هذه المشاهد الرائعة ، وأى قلب يستطيع أن ينام !

لقد قطعت آلاف الأميال منذ غادرت داري في حلوان صباح ذلك
اليوم إلى أن بلغت مكة قبل العشاء ، رحلة طويلة مجعدة ، لم يتخللها إلا
فترات قصيرة للراحة والاستجمام ، لا أكاد أصيب منهما طرفا حتى
أخف إلى مرحلة بعد مرحلة ، وطواف وسعى ينالان من المرء كثيرا
من الجهد والإرهاق .

ومع كل هذا الجهد المتصل والعناء الشديد ، أجدني موفور
القوة والنشاط ، متفتح المشاعر ، مرهف الأحاسيس ، لا أجد في الليل
آية السكينة والنوم والاحلام ، بل يقظة واعية ، وأفراح تغمر النفس ،
وأشواق تفسخ آية الليل والنهار .

ومرت الساعات خفيفة مسرعة ، إن صح أن الزمن هناك يقاس
بالدقائق والساعات ...

وتردد في سماء مكة أذان الفجر ، ينطلق من مآذن الحرم في بساطة
وخشوع وإيمان : الله أكبر ، الله أكبر !!

وهناك شهدت أروع صورة تبهر العين والقلب والوجدان ،
 هذا الحرم المقدس تتلأأ جنباً إلى جنب بالأنوار ، وهذه الكعبة بأستارها
 السوداء قد اصطف الناس حولها من كل اتجاه ، وقد جلسوا في خشوع
 ورهبة ، يتلون آيات الله ويرددون التسبيح والدعاء ، حتى إذا قامت
 الصلاة خف إليها الناس حلقة وراء حلقة ، حتى يمتلئ بهم المسجد .
 وما تزال هذه الحلقات تتسع وتنداح مع الفجر في مسراه ، حتى تشمل
 في اتجاهها نحو الكعبة جميع أقطار الأرض ، فإذا أربعمائة ملبون من
 المسلمين قد اتجهت أنصارهم وقلوبهم نحو هذه الكعبة ، ورفعوا أيديهم
 إلى آذانهم هاتفين .
 — الله أكبر . . .

هذه الصورة الرمزية الرائعة للوحدة الإسلامية ، لا يمكن المسلم
 أن يتصورها على حقيقتها المجسمة المهمة ، ويعيش فيها بحسه ووجدانه
 إلا وهو يؤدي الصلاة الجامعة في المسجد الحرام . . .
 أما ونحن نستقبل الكعبة في الصلاة في كل قطر من أقطار الأرض ،
 فلا أحسب أن في المسلمين من يستطيع أن يتمثل على البعد تلك الصورة
 الوجدانية الواعية ، اللهم إلا من صفت قلوبهم ، وشفقت بصائرهم ،
 وانزاحت عن حياتهم حجب الزمان والمكان ، وقليل ما هم هؤلاء . . .
 وقد أعجبني للدكتور عبد الوهاب عزام في مثل هذا المعنى ما جاء
 في كتابه « رحلات » ، عن أذان الفجر في الحرم إذ قال :
 — « ما أجمل هذا الصوت وما أروع »

عظمة الله تغشى هذا المشهد ، وكلمة التوحيد تملأ هذا المسجد .

قلت لنفسى :

ليت الإنسان يستمع أبداً إلى أذان الفجر في جوار الكعبة !

قالت : أما الأذان فهو دائم موصول لا تخلو منه ساعة من ليل
أو نهار ، فالأوقات في أقطار الإسلام مختلفة ، فما يسكن أذان في بلد
إلا ارتفع في آخر ، أبد الدهر . تكبير دائم لمن كان له سمع ، وذكر
مستمر لمن كان له قلب . وأما الكعبة فأنت في جوارها كل حين إن
لم تكن أسير البقاع ورهن الحجب .



جولته خاطفة في مكة

١

ورأيت أن أفضى بعض الوقت في زيارة أصدقائي من الحجاج الذين ودعتهم في مصر ، ودعوت الله ودعوا لي يومئذ ، أن أفوز بحج يديه الحرام في العام المقبل .. ولم تكن يومئذ ندري أن الله قد كتب لي الفوز بأداء هذه الفريضة قبل هذا الموعد بعام ، وأنى سألحق بهم بعد أيام ...

وطفت في شوارع مكة ودروها أبحث عن دار هذا المطوف وذاك ، حيث ينزل من أقصد من الحجاج . وشهدت في طوافي هذا شوارع مكة ودروها ودورها وهي عاصة بأفواج الحجيج من مختلف الاجناس والالوان واللغات . ثلثمائة ألف أويزيدون ، استجابوا لدعوة ابراهيم من وراء الغيب البعيد ...

ولأنك لتعجب وتحس معاني جديدة على شعورك وخاطرك ، وإن لم تكن جديدة على الواقع المقرر المعروف ، حين تتبين أن الكثرة الغالبة من يؤدون فريضة الحج ، وهي الفريضة الخامسة في الإسلام ، دين محمد العربي ، وفي مكة من قلب جزيرة العرب ... انماهم من شعوب

غير عربية ، وأن القلة من الحجاج هم من أبناء العروبة المسلمين . .
إن الواقع المقرر المعروف هو أن تعداد المسلمين في العالم يبلغ
أربعائة من الملايين ، وإن العرب منهم ثمانون مليوناً . ولكني لم أتصور
هذه الكثرة والقلة كما تصورتها في الحبح ، وعندئذ شعرت بكثير من
المعاني المتضاربة تصطرع في نفسى ...

شعرت بالزهو والإيمان ، وأنا أتصور رسالة محمد العربي ، وقد
تخطت حدود الجزيرة العربية ، وانطلقت في الآفاق شرقاً وغرباً ، عبر
الجبال والصحارى والبحار ، واستجابت لها الملايين من أبناء البشرية
على تعاقب العصور والأجيال ، واستطاعت أن توحد حول لوائها
أشتات الأمم والشعوب ، ومختلف الأجناس والألوان ، وأن يكون
المؤمنون بها من غير لسانها العربي أضغاف المؤمنين بها من أهل
هذا اللسان ...

ومعاذ الله أن أصدر في هذا عن عنصرية أو شعوبية ، إنه زهو
ونفخ بالإسلام الذى محا العنصرية وقضى على الشعوبية ، لامن بالعروبة
مهد الإسلام ولسانه المبين .

بل قد يكون الأمر هنا على العكس ، فانه إن جاز أن يكون من
أو ما يشبه المن ، فهو من حق تلك الشعوب غير العربية ، التى آمنت
بدين محمد العربي ، وكان لها في تاريخه أضخم نصيب . .

ومالى أذهب بعيداً فأعرض نفسى لكثير من الحرج وأنا أسجل
هذه المشاعر العابرة ؟ حسبي أن ألقى القلم خاشعاً وأنا استعرض الصفحات

الأولى في تاريخ الإسلام وحياة الرعيل الأول من رجاله وأبطاله ،
فأتمثل المواقف الخالدة لبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان
الفارسي ؛ لأجد هذه العناوين الضخمة اللامعة ، التي تدرج تحتها تلك
الحقائق الرائعة في تاريخ الإسلام والمسلمين .

ولكن ثمة شعوراً آخر كان يخالطني وأنا أطوف في شوارع مكة
ودروبها ، فتسترعى اهتمامي وهى تلك النسبة العددية بين الحجاج
من العرب وغير العرب — هذا الشعور الذى تغطي عليه الحسرة ويصطبغ
بالآلم ، لأن الإسلام الذى وحد العقيدة والقمة بين مختلف الاجناس
والالوان من ملايين البشر ، لم يستطع — أو لم يستطع أهله على
التحقيق — أن يوحدوا لسانهم الذى نزل به القرآن ، والذى يتعبدون
به كل يوم خمس مرات في الصلاة .

أى مرارة وأى ألم يمس نفسك ويحز في قلبك ، وأنت تلقى أخاك
الهندي أو الصومالي ، فيش لك وتبش له ، سعيدين بهذا الرباط المقدس
الذى جمعكما على قبلة واحدة ، ثم يحاول كلاكما أن يعبر لصاحبه عما في
نفسه من مشاعر الدين أو مصالح الدنيا ، فاذا بكما أخرسان أبكبان ،
لا وسيلة بينكما للتفاهم إلا الإشارات والرموز ، وإلا اللغة الاستعمارية
الدخيلة ، لغة أبناء التاميز ...

إن الوحدة الروحية والاجتماعية التي حققها الإسلام بين جميع
الاجناس والالوان ، تفقد كثيراً من معانيها في واقع الحياة ، ومن
آثارها العملية في المجتمع ، بسبب هذه البلبلة اللسانية ، التي توهن

أقوى الروابط وتوهى أمتن الصلات ...
ولست أدرى على من تقع هذه المسؤولية الكبرى التي تتصل بالرسالة
المحمدية في الصميم ؟

أتقع على العرب الذين لم يتابعوا جهاد أسلافهم في تعريب لسان
المسلمين في كل قطر دخل أهل في دين الله ، أم على أولئك المسلمين
أنفسهم ، الذين قنعوا من لغة القرآن ببضع آيات يرددونها في الصلاة ؟

٢

واهتديت إلى بعض أصدقائي الحجاج في دار المطوف الذي يتولى
أمرهم منذ وصلوا إلى الحجاز . وقد راعى أن أشهد أمام كل دار
من دور المطوفين العتيقة ، عشرات من النزلاء يزحون الطريق على
أسرة من الليف ، أو إلى جانب الجدار ...

ولكنني حين دخلت واحداً من هذه الدور ، أدركت السبب
والتست لهم المعاذير ، إنها دور عتيقة لا ماء فيها ولا ضوء ولا هواء ،
وإن الغرفة الواحدة تضم فوق ما تطيق من النزلاء ، وكلما ازداد عددهم
قل نصيب الفرد فيما يؤدي من الاجرة وإن ازداد ما يعانيه من
كرب وبلاء ...

إن الحياة التي يحيها الحجاج في أكثر دور المطوفين حياة
قاسية مؤلمة ، لا تحتفلها النفوس رغم ما تنطبع عليه في موسم الحج من
تجرد وتقشف وإحرام ...

وحاول المطوف أن يعتذر عن ذلك فقال :

— إن مكة تستقبل في موسم الحج نحو ثلثائة ألف من الحجاج ،
تضيّق بهم دور مكة أيما ضيق ، ومنهم عدد ليس باليسير يقيمون في
الطرق والميادين . فإذا يمكن أن يكون الحال غير ما ترى ؟

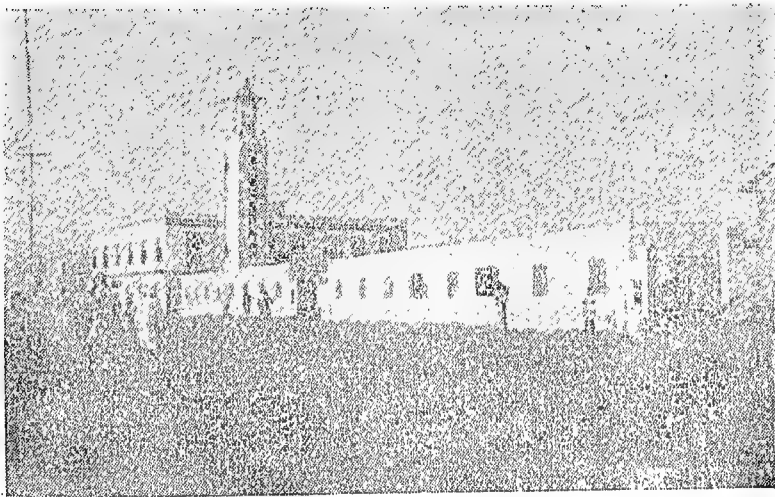
وقبل أن أجيب ، انبرى صديقي الأستاذ مصطفى السراج وزير
المالية والاقتصاد الأسبق في ليبيا يقول :

— « يمكن أن يكون الحال غير ذلك ، لو أن أمين العاصمة زار
مدينة الفاتيكان ، ورأى كيف تستوعب تلك المدينة في موسم الحج
خمسة ملايين من الحجاج ... »

وقد علمت أن ثمة مشروعاً لإنشاء مدينة للحجاج في البطاح
والأودية التي امتد إليها العمران خارج مكة ، تؤسس على طراز
يجمع بين البساطة وتوافر الشرائط الصحية ، بدلا من هذه الدور
العتيقة التي يكتظ فيها الحجاج ، ويعانون فيها مالا يطاق من المتاعب ،
ويتعرضون فيها لكثير من العلل والأمراض ...

إن مثل هذا المشروع قد نجح على صورة مصغرة في جدة ، إذ
أقيمت فيها مدينة للحجاج قرب الميناء ، تستقبل في كل فترة عشرة
آلاف من الحجاج ، كانوا من قبل يلاقون كثيراً من العناء في إقامتهم
بدور المطوفين عند وصولهم إلى جدة ، وعند عودتهم إليها للابحار
إلى بلادهم بعد أداء فريضة الحج ، ولا تسكفهم الإقامة في هذه المدينة

الآن إلا جنبها مصرياً واحداً ، يقضون بها في مقابل ذلك
بضعة أيام ...



جانب من مدينة الحجاج في جدة . وقد ظهر به مسجد المدينة

الموقف الأكبر!

١

ثم عدت إلى الفندق قبل الزوال ، أتأهب للاحرام بالحج ،
والانطلاق إلى منى لقضاء يوم « التروية » في طريقى إلى عرفات ..
ولكن صديقى قال :

— هون عليك يا أخى ، إنك تستطيع أن تبيت ليلتك هنا في مكة
ثم تقصد فى الغد إلى عرفات ، دون حاجة إلى أن تبيت فى منى ..
قلت : ولكنها سنة الرسول ..

قال : نعم وإن وراء هذه السنة حكمة يجدر تدبرها .. إن
الحكمة فى مبيت الحجاج بمنى يوم التروية هى التخفيف عليهم من
مشاق الرحلة إلى عرفات ، وهى رحلة يقطع فيها الحجاج نحو
٢٢ كيلو متراً ، ولم تكن وسائلهم فيما مضى ميسرة كما هى الآن ، فهم
كانوا بذلك ينون على أنفسهم مشاق هذه الرحلة بتجزئتها
إلى مرحلتين .

أما الآن فنن اليسير على الحجاج أن يقصدوا إلى عرفات فى سياراتهم
فيبلغوها فى نحو ساعة واحدة ، ثم إن التزام جميع الحجاج — وهم مئات

الألوف — المبيت بمعنى في هذا اليوم ، فيه إرهاق لهم أى إرهاق ، لما يتطلبه ذلك من تكاليف المبيت في هذا المكان ، وما يترتب على حشد مئات الألوف منهم من ضغط وعسر واضطراب ، وبذلك تنعكس حكمة المبيت بمعنى — كما شرعه الرسول — من تخفيف على الناس وتهوين لمشاق الرحلة ، إلى تعقيد وإعنتات . .

قلت : ولكى أميل إلى أن ألزم في حجتى الأولى كل ما فعله الرسول — صلى الله عليه وسلم — فاذا وفقنى الله لإداء الحج مرة أخرى أو مرات ، أخذت بهذه والرخصة ، التى لا يخامرني شك فى أنها مستوحاة من حكمة هذه السنة النبوية .

٢

وتجردت من زىتى وأخذت ملابس الإحرام ، وضوت عن نفسى ما عاودها من خواطر الحياة والأحياء ، وتوجهت إلى الله أقول :

— اللهم إني أريد الحج فيسره لى ، وتقبله منى . لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك . وحملتنا السيارة إلى منى ، فأدركنا بها صلاة الظهر ، وقضينا بها إيلامنا حتى مطلع الفجر . إنها مرحلة روحية تهيء الحاج لموقفه العظيم فى عرفات .

وهناك تمثلت محمدا يغذ السير على ناقته ، القصواء ، فى طريقه إلى عرفات ، وقد سار فى ركابه مائة ألف أو يزيدون ...

ثم تمثلته فى موقفه ذاك ، وهو يلقي على الساس خطبة الوداع ، يقول

العبارة فيردها عنه ربيعة بن أمية بن خلف ، يبلغها أسمع الناس ، وفي هذه الخطبة أبان الرسول عن كثير من شئون الدين والدنيا فأوجز وأبلغ ، فلما أتم كلامه واستوثق من أن الناس قد وعوه قال :

— اللهم هل بلغت ؟

فأجاب الناس من كل صوب : نعم .

قال : اللهم فاشهد !

وفي هذا اليوم نزل عليه قوله تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعَمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا »

فلما سمع أبو بكر هذه الآية بكى ، لأنه علم أن النبي قد نعت إليه نفسه !

قال صديقي :

— هنيئاً لك حجك في هذا اليوم ، إنه يعدل سبعين حجة ! !

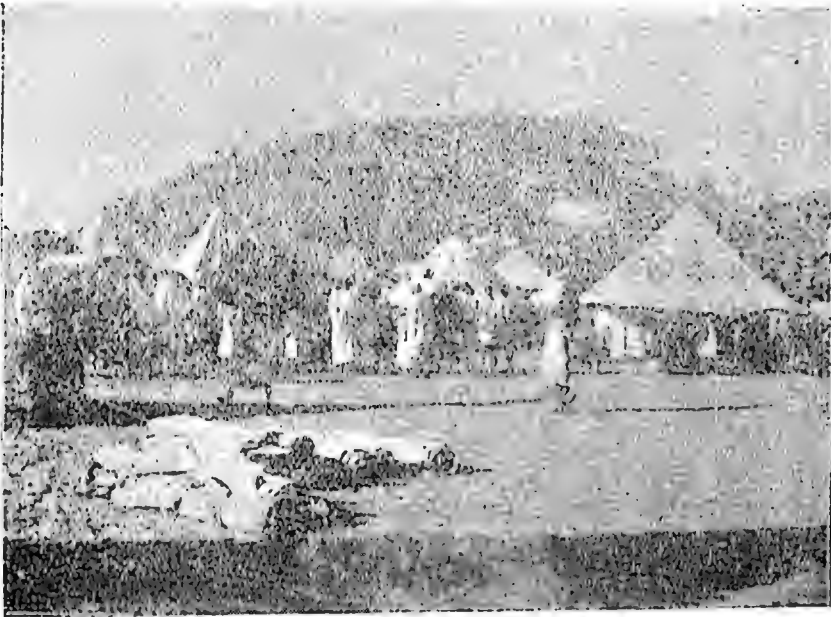
قلت : وما ذاك ؟

قال : لقد كانت حجة الوداع في يوم الجمعة ، وهو يومنا هذا ، ولهذا قيل إن الحج إذا وقع في يوم الجمعة تضاعف أجره سبعين مرة ! قلت : إن الذي يضاعف أجر الحج ليس وقوعه في هذا اليوم ، أو ذاك ، وإنما في وقوعه من القلوب بمنزلة الإيمان الواعي البصير ، الذي تنعكس أنواره فتسرى في المشاعر كالسكر براء ، فتترجمها المشاعر إلى أعمال مبرورة وكلم طيب يرتفع بصاحبه إلى السماء .

٣

ولاحت لنا عرفات ، ذلك السهل المنبسط الفسيح ، وقد أقيمت
فيه الخيام على مد البصر ، وفي أقصاه جبل « لال » أو جبل الرحمة
كما يقولون ، وقد بدا كأنه جبل من البشر لامن الصخور . . .

إن آلاف الحجاج يغطون جوانبه حتى القمة ، وإنك لتشهدهم
هكذا حتى في وقت الظهيرة تحت وهج الشمس المحرقة ، وفي أنون الحر
اللافح الشديد .



وارحمته لاولئك المسرفين في العبادة ، تنطلق بهم أشواقهم إلى بعيد ، حتى لتسكاد تسليخ بهم المهالك ، وهم هائمون ذاهلون . . .
وليس ذلك من الإسلام في شيء أيها الإخوة المسرفون .
أيها المسرفون على أنفسهم ، وعلى دينهم السمح اليسير . . .
هذا الدين الذي لن يشاده أحد الاغلبه ، مهما أوتي من قوة وطاقه ،
ومهما أسرف على نفسه من جهد وعناء . . .
خذوا ذلك عن صاحب الرسالة سيد العابدين ، وأوغلوا في الدين
رفق كما يقول . . .

ثم ما هذا الوقوف على جبل لال ، وما مكانه من مناسك الحج
كما شرعها محمد بأفعاله وأقواله ؟

إن الحج عرفة ، ذلك السهل المنبسط الفسيح ، وكل مكان فيه موقف
لأداء هذه العريضة المقدسة ، وقد وقف الرسول عند جبل لال ولم يتسنم
قوته كما يفعل هؤلاء الغلاة المسرفون ، وأقر مائة ألف من أصحابه على
الوقوف حيث هم من ذلك السهل المنبسط الفسيح ، يتوجهون إلى السكعة
بالتلهيل والتسبيح والدعاء . .

وارحمته لاولئك المسرفين على أنفسهم وعلى دينهم . . .
إن مهم من يقدم إلى الحج في أخريات أيامه محطاً هزئلاً متهاكاً
من شيخوخة وإعياء ، وليست لديه إلا أمنية واحدة ، هي أن يموت
في هذه الأرض الطاهرة البيضاء . . .

وهو في سبيل تحقيق هذه الأمنية التي تملك عليه كل مشاعره ،
يحاول جاهدا أن يستعجل هذه النهاية ، ويختصر في الوصول إليها
أسباب الحياة !!

أنه يحرق في أشعة الشمس المحرقة خيوطا ترقى عليها روحه إلى السماء ،
فهو يتعرض لها ويتشبث بأسبابها ليبلغ من أمنيته ما يريد . . .
وهو يقسو على شيخوخته وضعفه ، بل إنه ليد هذه الشيخوخة
وذلك الضعف بما يدفعهما به دفعا إلى مصيره الرهيب الحبيب !
إنه الانتحار . . .

الانتحار على أخبث صورة وأبعدها فتنة وضلالة ؛ لأنه انتحار
يلبس ثوب الشهادة في سبيل الله ، والله ورسوله من ذلك براء !!

٤

وجدير بي وأنا أتحدث عن أولئك المسرفين على أنفسهم وعلى
دينهم ، من أمثال هؤلاء الشيوخ القانين ، وغيرهم ممن لا تتوافر فيهم
شروط الاستطاعة ، كهذا الذي يقدم على الحج وهو ضعيف معتل ،
لا يقوى على متاعب الحج ومشاقه ، أو ذاك الذي يبيع كل ما يملك من
حطام الدنيا ليظفر بأداء هذه الفريضة ، ثم لا يعنيه بعد ذلك أن يعود
إلى بلده معديما يستجدي الناس ما يعول به نفسه وأهله . . .

جدير بي في هذا المقام أن أضرب مثلا بما فرضته دولة إسلامية
ناهضة هي أندونيسيا ، إذ اشترطت على من يريد أداء فريضة الحج

شروطاً منها ألا تزيد سنه على خمسين عاماً ، وأن يجتاز فصلاً طيباً
تثبت به سلامته من العلل والأمراض ، وتدخل في ذلك المرأة أيام
حملها ، وأن يكون لديه من المال — عدا نفقات السفر والإقامة —
ما لا يقل عن ٧٠ جنياً . وإذا ثبت أنه باع عقاراً لا يملك سواه لينفق
منه على رحلة الحج ، منع من السفر ^{رُدَّ} إليه عقاره . . .

ولم يكن من نتائج هذه السياسة أن انصرف الاندونيسيون عن
الحج ، فإنهم ليفدون على البيت الحرام أفواجا مؤلفة ، وإنما كان من
نتائجها أنها جنببت العجزة منهم كثيراً من المهالك والمآثم ، وبعثت إلى
موسم الحج بالتماذج القادرة الصالحة لأداء هذه الفريضة .

وقد علمت أن الدكتور محمد علي بدر الدين رئيس البعثة الطبية في موسم
الحج آنئذ ، قدم تقريراً إلى السلطات المصرية تضمن كثيراً من الآراء
القيمة ، ومن بينها وضع قيود للسفر على من لا تسمح حالتهم
الصحية بذلك .

٥

واجتمع في عرفات ثلثمائة ألف أو يزيدون . . .

وفي هذا الموقف تتجلى روعة الحج وحكمته ، هذا المؤتمر الإسلامي
العظيم ، الذي يهرع إليه المسلمون من جميع أقطار الأرض ، ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات . . .

ولكن أى منافع تلك التي شهدناها في هذا الموقف الجامع ، وأى

ثمرات جنينها من ذلك المؤتمر الخطير ، الذى لاتتمياً أسبابه المادية والروحية إلا يوم عرفة ؟

وأخذتني سنة من الوم وأنا جالس فى المخيم الذى أعده الفندق لنزلائه أتفياً الظل وأقرأ فى كتاب . . .

وإذا بي أشهد جبل لإلال وقد أقيمت عليه مظلة كبيرة ، تخفق فوقها عشرات الأعلام ، وقد جلس تحتها نفر من الناس فى لباس الإحرام ، على منصة ذات أسوار . وإذا رجل يقف أمام جهاز للإذاعة فيهتف :

— الله أكبر .. والله الحمد . . .

ثم ينطلق فى حديث تردده أجهزة للإذاعة أقيمت بين الخيام . . .
لأنه يتحدث عن هذا الموقف العظيم ، ويرجو أن يكون شهوده جديرين بأن يباهى الله بهم ملائكته فى السماء .

ثم هو يتلو على الناس ما اتخذته مؤتمر الحجيج فى الموسم السابق من قرارات ، ومقامت به الدول الإسلامية لتنفيذ هذه القرارات من جهود . . .

وهو يستعرض بعد ذلك قضايا العالم الإسلامى ، وعلاقاته بغيره من الدول فى إحاطة وإيجاز . . .

ويتنحى عن مكانه بعد أن يقدم للحديث أولئك النفر الذين يجلسون حوله واحداً بعد الآخر . . .

فهذا آية الله الكاشاني يتحدث عن تأهيم الزيت في الحقول الإسلامية ، وتحرير هذه المرافق الحيوية من الاستغلال الاجنبي .

وهذا البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء في الجزائر ، يرسم الخطوط العملية لتحرير المغرب العربي من نير الاستعمار . . .

وهذا سردار عبد الرب نشتر وزير الصناعة في باكستان ، يتحدث عن تجارب بلاده في سياسة الاكتفاء الذاتي ، ويعرض مشروعا للتعاون الاقتصادي بين البلاد الإسلامية . . .

وهذا بشير السعداوي زعيم طرابلس ، يكشف عن المؤامرات الاستعمارية التي أوشكت أن تحيل استقلال ليبيا بعد جهادها الدامي أربعين عاما ، إلى أسطورة سياسية ..

وهذا الدكتور محمد حتما نائب رئيس الجمهورية الإندونيسية ، يروي قصص البطولة النادرة التي صرعت الاستعمار الهولندي وأسنداه فيما وراء البحار .

وهذا عبد الله الفاضل المهدي يعدد جرائم الاستعمار البريطاني في السودان ، وخاصة فيما وراء الستار الحديدي في الجنوب ..

وهذا الأمير سيف الإسلام عبد الله ، يتحدث عن الكنوز المعدنية الخبوءة في حقول الين وجبالها ، ويدعو أهل الفن وأرباب المال في البلاد العربية والإسلامية ، لكشف هذه الكنوز واستغلالها . وبذلك تتحقق لليمن أسباب النهضة التي تلمحها بركب الحياة .

وهذا أمين الحسيني يؤنب الفردوس المفقود ، ويردد أنات شعب

فقد الوطن وفقد معه حقه في الحياة ، وأنكره بعض الأولياء من أبناء عرقه وملته . قبل أن ينكره الأباة والأعداء .

وهذا الشيخ حامد الحق ، رئيس جماعة أنصار السنة ، يتحدث عما ابتدعه المسلمون في دينهم من طقوس ، وما أحدثوا من ضلالات ، الأمر الذي أوشك أن يعود بالإسلام غريباً كما بدأ ، وأوشك أن يجعل المؤمنين به ، القائمين على شريعته : غرباء في هذه الحماة ..

وهذا نجيب الراوى سفير العراق في مصر ، يعرض مشروعاً أعدته بلاده لتعمير ملايين الأفدنة الغامرة على ضفاف دجلة والفرات ، وهو مشروع يفتح محالاً واسعاً لترقية مستوى المعيشة ، بازدياد الإنتاج الزراعي ، ولإنعاش الحياة الاقتصادية في البلاد ..

وهذا الشيخ حسين مخلوف مفتي الديار المصرية يتحدث عن المقرب بين المذاهب ، وعن الاجتهاد في الشريعة ، حتى توأمت تطور العصر وتواجه مشكلات المجتمع ، وحتى يصبح التشريع الإسلامي مادة حية في المجتمع الإسلامي ، وليس أثراً جامداً في السكتب الصفراء ..

وهذا الأمير فيصل يتحدث عن مشروع السنوات الخمس ، الذي وضعته الحكومة السعودية للهوض بمرافق الدولة ومستوى الشعب ، ورصدت له مائة مليون من الجنيهات .

ثم عاد مقرر المؤتمر إلى الميكروفون يقول :

— والآن أيها الإخوة ، نختم هذه الجلسة الأولى للمؤتمر . وموعداً معكم أيام التشريق في منى ، حيث تجتمع اللجان المختصة لدراسة

ما لديها من مشروعات ، وما تقدمونه اليها من مقترحات . ثم تعرض تقاريرها على المجلس الأعلى للمؤتمر ، فيحولها إلى توصيات تأخذ طريقها إلى الدول الأعضاء لتدخل في مراحل التنفيذ .

— الله أكبر .. والله الحمد .

٦

وأفقت من غفوق على ضجة في الخيم ، وتلفت فإذا الخدم يحملون أكواب الشراب المشايخ ، والناس يتصايحون ليطلقوا ظمأهم الشديد . ثم هدأت الضجة ، ولم يزل أثر هذا الحلم الجميل يداعب أجفاني ويرادني على الإغماء من جديد . . .

وسألت نفسي : أين نحن في موقفنا هذا من تلك الصورة التي طافت بي في المنام ، وأين تلك المنافع التي جئنا لمشهدنا في هذا الموقف العظيم ؟ إن جبل إلال ما يزال مائلا أمامي تعطي جوانبه وفتحه آلاف الحجاج تصهرهم أشعة الشمس المحرقة ويرمضهم حرها الشديد ، ولا تطوف بخواطهم إلا معان غامضة ساذجة ، ليس بينها وبين تلك المعاني المشرقة الرشيدة التي تمثلها أولئك النفر الذين تخيلتهم في منامي ، إلا ما بين الحقائق والأحلام . .

وإن هؤلاء النفر من الصفوة المفسكرة المجاهدة في الأمة الإسلامية ، والذين تخيلتهم في موقفهم ذاك على جبل إلال يتحدثون ويلهمون فتنة لحديثهم جنبات الوادي ، وتتجاوب مع كلماتهم قلوب الملايين من مسلمي الأرض ، وتنخلع أفئدة زبانية الاستعمار وقرصنة الشعوب ...

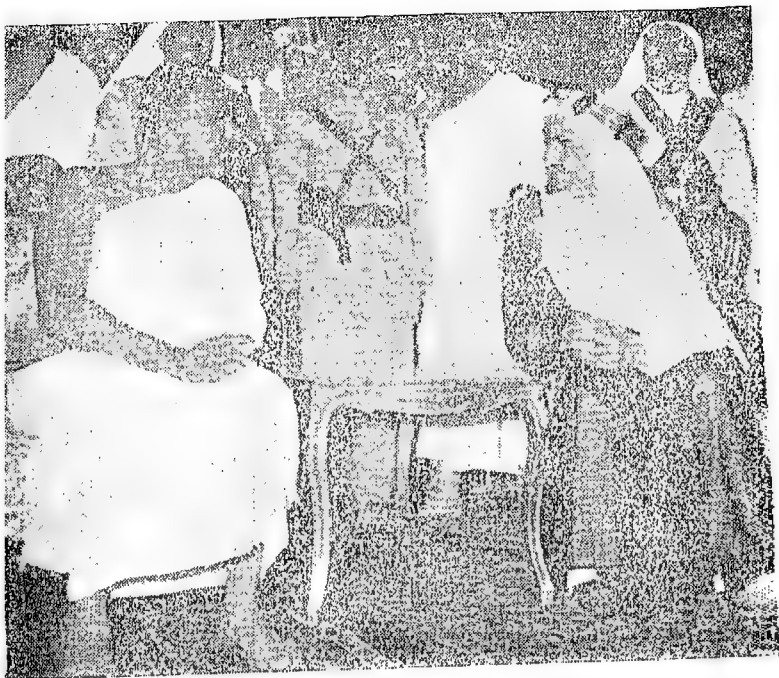
ها هم أولاء بذواتهم يؤدون فريضة الحج ، ويقفون في عرفة . ولكن وقوفهم هذا أبعد ما يكون عن وقوفهم ذاك ، بعد الأرض عن السماء ، لأنهم هنا لا يؤدون تلك الأمانة العظمى ، فيتحدثون إلى مئات الألوف ومن ورائهم مئات الملايين ، ومن ورائهم دول العالم ترهف السمع والقلب — حديث التوجيه والإلهام والبعث والبناء ، ولكمهم يقفون كغيرهم من عامة الناس ممن لا يحملون أمانة ، ولا يضطلعون بمسئولية . وإذا تحدث أحدهم لا يتجاوز حديثه بضعة أفراد ، ولا يتخطى أبواب الخيمة وأذان سامعية .

أين هي إذن تلك المنافع التي جئنا للشهدها في هذا الموقف الجامع العظيم ؟

إن منفعة واحدة هي التي أزعج أننى أفدتها يوم وقوفى بعرفة ، ويزعم الكثيرون ...

لأنها الشعور بهذا النقص الخطير في تمثيل حكمة الحج ، والمسئولية الكبرى في إهدار هذه الفرصة التي لا تتاح للمسلمين إلا مرة كل عام ...
وبأن ذلك منذ أربعة أعوام ...

ثم دارت الأيام ، فإذا هذا الحلم الذي راودنى في المنام ، أو هذه الصورة الرمزية التي طافت بخيالى ، كما طافت من قبل بأخيلة الكثيرين أمثال عبد الرحمن الكواكبي ، ومن كان قبله أو جاء بعده ... إذا هذه الصورة الرمزية تصبح حقيقة واعية انبثق عنها قيام المؤتمر الإسلامى .



وبدأت قصة المؤتمر الإسلامى على الصورة التى رسم خطوطها
الرئيس جمال عبد الناصر حيث قال :

«... ولقد وقفت أمام الكعبة ، وأحسست بخواطرى تطوف بكل
ناحية من العالم وصل إليها الإسلام ، ثم وجدتنى أقول لى نفسى :
— يجب أن تتغير نظرتنا إلى الحج ، يجب ألا يصبح الذهاب إلى
الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد ، أو محاولة ساذجة لشراء
الغفران بعد حياة حافلة .

يجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة ، ويجب أن تهرع صحافة العالم إلى متابعة أنبيائه ، لا بوصفه مراسم وتقاليد تصنع صوراً طريفة لقراء الصحف ، وإنما بوصفه مؤتمراً سياسياً دورياً يجتمع فيه كل قادة الدول الإسلامية ، ورجال الرأي فيها ، وعلمائها في كافة أنحاء المعرفة ، وكتابها ، وملوك الصناعة فيها ، وتجارها ، وشبابها ؛ ليضعوا في هذا البرلمان الإسلامي العالمي خطوطاً عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا ، حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام .

وأذكر أني قلت بعض خواطري هذه لجلالة الملك سعود ، فقال لي الملك :

- إن هذه هي فعلا ، الحكمة الحقيقية في الحج .

وفي الحق إنني لا أستطيع أن أتصور للحج حكمة أخرى ... ،

وفي موسم الحج عام ١٣٧٣ هـ اجتمع في بيت الله الحرام الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية ، والرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر ، والسيد غلام محمد حاكم عام باكستان .

واستقر رأى الأقطاب الثلاثة على إنشاء المؤتمر الإسلامي . وتكون منهم المجلس الأعلى للمؤتمر ، واختير السيد القائم مقام أنور السادات سكرتيراً عاماً ، واتخذت القاهرة مقراً للسكرتيرية العامة . ومضى المؤتمر يرسم سياسة ، ويعد وسائله ، ويحقق أهدافه .



حديث عن المؤتمر الإسلامي بين الملك سعود والسيد غلام محمد
وبينهما الشيخ عبد الله بن خضر الوزير المفوض وسكرتير الملك

وقال القائم مقام أنور السادات السكرتير العام للمؤتمر الإسلامي في أول مؤتمر صحفي عقده بعد إعلان قيام المؤتمر :

إن فكرة إجتماع المسلمين كل عام في مكة — كما قد تعلمون — فكرة قديمة قدم الإسلام نفسه . فهي أحد تعاليمه الأساسية التي نفذها المسلمون في البداية على وجهها الصحيح ، فكانت وسيلة رائعة لتعارفهم ، وبحث متساو كلهم وتوحيد أهدافهم . بالإضافة إلى كونها منسكا دينياً يهدف إلى تنمية القيم الروحية في نفوسهم عن طريق تجريدهم لفترة معينة من مادة الحياة .

ولكن الأمر لم يستمر طويلا على هذه الصورة . فلم تلت عوائل التأخر والجهل التي بسطها الاستعمار على معظم شعوب العالم ومن بينها الشعوب الإسلامية أن شوهدت حقيقة هذه الفكرة وحولتها عن أهدافها ، وجعلتها مجرد منسك ديني قد لا يعلم الكثيرون من المسلمين الغرض منه .

ونحن الآن نحاول أن نعب هذه القنطرة الطويلة التي تفصل ماضينا عن حاضرا ، والتي تراكمت تحتها في هوة عميقة مظلمة أخطاء قرون طويلة .

ونحن لا نسعى من وراء ذلك إلى أكثر من إعادة تنظيم حياتنا طبقا لتعاليم الإسلام الصحيحة ، وتقوية أواصر الإخوة بين المسلمين ، وتحويلها الى قوة فعالة تستطيع بحكم طبيعتها أن تساهم في تحقيق سلام العالم وتقدمه وسعادته . فإنا نؤمن أن العالم لن يمضي قدما في مدارج التقدم والرفق ، ولن ينشر السلام ظلالة عليه ، مادامت بعض أجزائه تعيش في حالة متأخرة ومتخلفة عن الأجزاء الأخرى .



وأحب قبل أن أختتم هذه الكلمة أن أشرح دور مصر في هذا المشروع . فأعلن لكم أن دورها في السعي لتنظيم هذا المؤتمر لا يخرج في الواقع عن كونه تعبيراً عملياً عن رغبة تجديش منذ فترة طويلة في صدور المسلمين ، وأنها لا تسعى من وراء دعوتها إلى أية مصلحة ذاتية ، أو مغنم سياسي .

وإذا كان الإسلام قد اقترن - في أذهان الكثيرين - بذكرى امبراطوريته الأولى ، فاني أشعر أني لست الآن في حاجة إلى أن أعلن أن عصر الامبراطوريات قد انقضى ولن يعود . وأن مستقبل الحياة والسيادة على هذه الأرض لن يكون بعد الآن إلا للشعوب ، في ظل معاني الاخاء والتعاون والعدل .

أيام التشريق..

١

ثم أفاض الحجيج من عرفات ...

مئات الألوف تنساب بهم الأناطح والأودية في طريقهم إلى
مزدلفة ، وكانهم حيش لجب تنطلق فيالقه الراكبة والراجلة هادرة في
أحشاء الظلام ..

وإن تعجب فمعجب ذلك النظام المحكم ، وتلك الحركة الواعية التي
يسيطر عليها رجال الشرطة وجنود المرور ...

إن آلاف السيارات الكبيرة والصغيرة تنطلق مواكبها في هذا
الطريق تحمل الحجاج والمتناعم . وقد سالت على جوانبها أمواج البشر ،
فلا يضطرب لهذه المواكب المندفئة نظام ، ولا تكاد تزل في عمارها
قدم ، أو يصاب إنسان ...

وهذا الملك سعود — وفد كان وقتئذ ولياً للعهد — والامير
عبد الله الفيصل وزير الداخلية ، يرقبان المواكب ويشرفان على
الحجيج ، ويبعثان في جهاز الحركة روح الثقة والأمن والنظام ...

ونزلنا مزدلفة حيث المشعر الحرام ، وقد غمرنا شعور طاغ بالغبطة
والطمأنينة والسلام ، ألسنا نستقبل منذ الليلة عيداً تولد فيه أرواحنا
من جديد ؟

لقد انطوت في عرفات صفحات الماضي القريب والبعيد ، وانمحت
منها تلك السطور القائمة والظلال السوداء . . .

إن الله كتب على نفسه — وهو يباهى ملائكته بأولئك المهاجرين
إليه ، اللاتئين بحجاء ، الواقفين بين يديه في تجرد وتوبة وضراعة —
ألا يردهم بعد موقفهم هذا إلا وقد انمحت ذنوبهم وخطاياهم ، وأشرقت
صحائفهم ببيضاء من غير سوء . . .

بالفرحة الطاغية ، وبالإشفاق الرهيب . . .
الفرحة بما أصبنا من فضل ورحمة ، والإشفاق بما يفرضه علينا هذا
الفضل وتلك الرحمة ، من تكاليف وأعباء . . .

أى مستوى هذا الذى رفعتنا إليه رحمة الله ، فإذا نحن أطهار
كالملائكة ، وأى جهد وعزم وصبر وإيمان ، نستطيع أن نمسك به
مقامنا هذا بين الملائكة فى السماء ، ونغالب به نوازع البشرية فلا تهوى
بنا ثانية فى مهادى الفتنة ومزالق الشرور !

وانطلق صوت المؤذن يشق ظلام الليل ويطارد فلوله الهاربة :
— الله أكبر . . . الله أكبر . . .

وانطلقنا نؤدى صلاة الفجر وندعو الله عند المشعر الحرام ، وقد
تجمعت قلوبنا ومشاعرنا عند معنى واحد رهيب ، هو أن يجعلنا الله

أهلاً لمستقر هذه الرحمة ، وأن يمدنا من روحه القوي بما يمسك مقامنا
هذا الذى بلغناه بين الملائكة فى السماء ..

٢

ثم أشرقت شمس يوم العيد الأكبر ، ونحن فى طريقنا إلى منى ،
ذلك المشعر الذى شهد أروع قصة للتضحية والفداء ...

قصة ابراهيم الخليل ... وهو يمضى بابنه إسماعيل إلى حيث يوفى
نذره ويحقق رؤياه ، فيقدم فلذة كبده قرباناً إلى الله ...

وقصة إسماعيل وهو يسلم رقبتة للذبح ، ويقول لأبيه فى طاعة وإيمان:

وَيَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ،

وفى هذا المكان رمينا جمره العقبة ، كما كان يفعل الخليل وابنه
إسماعيل ، وهما يطاردان الشيطان وهو يتعقبهما يريد أن يفتنهما فيما
يقبلان عليه من محنة وامتحان ...

بل لعلهما كانا يطاردان تلك العواطف البشرية ، التى خلفاها عند
أول الطريق ...

عواطف الأبوة الرحيمة الخانية فى نفس إبراهيم ، وعواطف
التشبث بالحياة فى نفس إسماعيل ...

وكذلك كنت أحس وأنا أرمى الحصوات السبع ، فأصيب بها ذلك
النصب القائم فى ذلك المكان ...

لم أكن أتصور أنى أُرجم لإبليس اللعين ، وقد مسخه الله على هذه
الهيئة كما يتصور البعض ، أو الذى يرمز إليه هذا النصب كما يتصور
البعض الآخر . وإنما كنت أحس وأنا أرمى هذه الحصوات أنى أُرجم
الشیطان المندس فى أعماق نفسى ، تلك الشهوات والنزغات المستقرة
فى حنايا الصدر ولغائف القلب . أو التى طهرنى الله منها بعد موقفى
ذاك فى عرفات ، ولكنها ما زالت تتعقبى وتراودنى فى فتنة وإغراء ،
كما كانت العواطف البشرية تتعقب إبراهيم وإسماعيل فى هذا المقام ...
ولكن أين هذا المعنى الذى تمثلته ، والذى استلهمته من حكمة
الرجم بما كان يحول بخواطر السكثيرين بمن يؤدون هذه الشعيرة إذ
يرجمون ؟

إنك تستطيع أن تتصور الجواب على هذا السؤال ، إذا علمت أن
من بين ما يتجمع فى المكان المسور الذى يحيط بتلك النصب ، كثيراً
من العمال ؟

٣

وهناك حيث رمينا جمره العقبة فى ذلك الوادى الضيق من طريق
مكة ، عادت بنى مشاعري مرة أخرى إلى الورداء ...

هاهو ذا محمد ، وقد بلغ منه اليأس أن تؤمن به قریش حدا بعيدا ،
فهو يخرج إلى ظاهر مكة يستقبل الوافدين عليها فى موسم الحج ، فيعرض
عليهم الإسلام ، ويدعوهم لنصرته ، فلا يخامر أولئك النفر من أهل
يثرب شك فى صدقه ، فقد كانوا يسمعون من أهل الكتاب أوصاف :

«الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » .

ثم يستجيب أولئك المفرد لدعوة محمد ، ويبايعونه ببيعة العقبة الأولى ، ويعودون إلى يثرب ومعهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويعتقدهم في دينهم الجديد . . .

ثم يمضى عام ، وتشهد العقبة — في هذا المكان — اجتماعاً خطيراً ، هو نقطة التحول في تاريخ الإسلام بالجزيرة العربية . إن وفداً من مسلمي يثرب تبلغ عدته ثلاثة وسبعين رجلاً وامراًتین ، يتسللون تحت جنح الظلام إلى أحد الشعاب ، في انتظار محمد ليبايعوه البيعة الكبرى ، ويدعونه للهجرة من مكة إلى المدينة . . .

وقدم إليهم محمد ومعه عمه العباس ، ولم يكن قد أسلم بعد . ولكنه أراد أن يستوثق لابن أخيه قبل أن يقدم على تلك الخطوة الحريثة ، فابتدر وفد يثرب قائلاً :

— يا أهل ، يثرب إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا من هو على مثل رأينا فيه ، وهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وقد أبى إلا الانحياز اليكم والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له فيما دعوتموه إليه ، ومانعوه من مخالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم مسلميه وخاذليه بعد خروجه اليكم فمن الآن فدعوه .

قالوا : سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، نخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتلا محمد بعض آي الكتاب ، وتحدث عن الاسلام ، ثم قال :
 — « يا يعونى على الا تشركوا بالله شيئا ، وعلى السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، وعلى النفقة فى العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب ، فتمنعونى عما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم » .

فمد اليه سبيح القوم يده وهو يقول :
 — يا يعنا يا رسول الله ؛ فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرأ عن كابر !

ولكن أحدهم ينبرى فيقول :
 — يا رسول الله ، أن يدننا وبين الرجال — يعنى يهود يثرب — حبالا نحن قاطعوها . فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ، أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟
 فتبسم محمد وقال :

— « بل الدم الدم ، والهدم الهدم . أنتم منى وأنا منكم .. أحارب من حاربتم . وأسالم من سالمتم » .
 وهموا بمبايعة الرسول ، ولكن أحدهم يعترضهم قائلا :
 — يا معشر الخزرج ، أتعلون علام تبايعون هذا الرجل ؟

إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا ، أسلمتموه ... فمن الآن فدعوه ، فإنه والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكم إليه ، على نهكة الأموال وقتل الأشراف نخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : إنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، فلما يا رسول الله إن نحن وفيما بذلك ؟

قال : الجنة ۱۱

٤

وانصرفنا الى مكة فأتبعنا شعائر الحج ، طواف بالكعبة ، وسعى بين الصفا والمروة . ثم عدنا الى الفندق فتحللنا من الاحرام ، أى احتلقلنا وتطيننا ولبسنا الخيط وأخذنا زيتنا من جديد ، احتفالا بالعيد الأكبر في هذا اليوم المبارك السعيد . . .

وحملتنا السيارة ثمانية الى منى نقضى بها أيام التشريق ؛ أياما ثلاثة ينتقل فيها الحجاج الى جو جديد ، هو مرحلة وسطى بين جو العبادة المتجردة الخالصة في أيام الحج ، وجو الحياة المضطربة الصاخبة التى تنتظرهم بعد أيام أو أسابيع . . .

حكمة بالغة ، وتربية روحية سامية ، تروض النفس على ممارسة ما كسبته من مشاعر جديدة ، وتهيتها لتمثل ما انسكب فيها من معاني الحج وآدابه ، حتى اذا انتقلت الى غمار الحياة من جديد ، كان لها رصيد

مذخور من هذه المعانى المستقرة فى الأعماق ، تواجه به الحياة والاحياء
على أسلوب مثالى رفيع . . .

وكانت الحياة فى منى أشبه بحياة المعسكر ، الا أنها طليقة القيود
لا شظف فيها ولا عناء ، اللهم الا شدة الحر ووطأة الغلاء .

ومرت أمامنا قطعان من الغنم قاستوقتنا صاحبها نساومه على الثمن
فقال :

— الطلى ثمنه أربعون ريالاً . . .

قلت لرفيقى : وما الطلى . . . ؟

قال : الخروف ، وجمعه طليان . . .

فناديت صديق السيد عبد السلام المريّض ، وهو من مجاهدى
طرابلس الذين قارعوا الاستعمار الطليانى عهداً طويلاً ، ثم طاردهم
الاستعمار البريطانى فى عهد الاستقلال ، وقلت أداعبه :

— هل لك فى مزيد من دم الطليان ؟

قال : لا ، فقد انتهى ما بيننا منذ حصلنا على الاستقلال ، ولكنى
ظامئ إلى دماء أخلافهم وأحلافهم من القراصنة والسياسة الذين
سلبونا روح هذا الاستقلال . . .

* * *

وسقنا الهدى إلى محله متقربين به إلى الله . . .

عشرات الآلاف من الإبل والبقر والأغنام ، سالت دماؤها في ذلك اليوم ، ووزعت لحومها على الفقراء والمساكين ، حتى لم يبق أحد إلا أصاب منها ما يريد ، وما زالت منها المئات ملقاة على جوانب الطريق ، تنتظر وحوش البرية وعقبان السماء ...

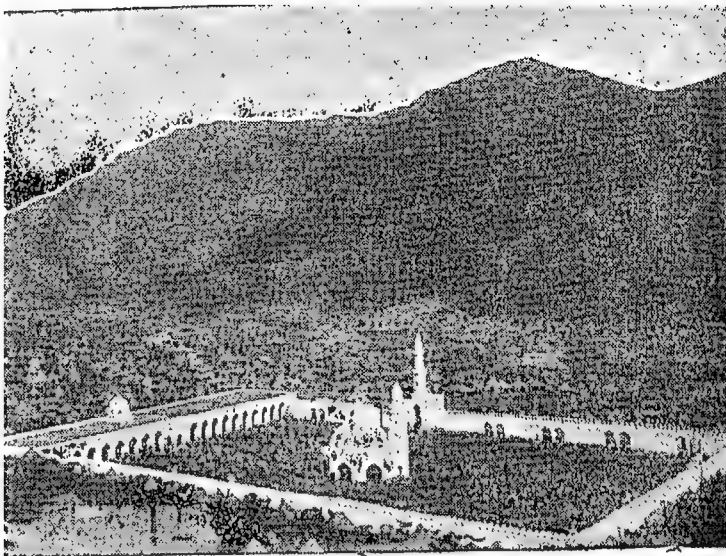
ترى هل كان من الممكن أن يجد المسلمون وسيلة أخرى لإنفاق هذه الصدقة ، تجعلها أكثر نفعاً للفقراء والمساكين ، وأخلق بوقاية الصحة العامة لمئات الآلاف من الجميع ؟

قال صاحبي : نعم ، وإنما لو سيلة يسيرة المأخذ قليلة التكاليف ، هي حصر النهر في المكان المخصص لذلك دون غيره ، ثم توزيع لحوم الهدى على الفقراء والمساكين ، وتبسة ما يفيض منها بعد تقديده في علب من الورق أو الصفيح ، تحمل إلى الملاحيء وإلى دور قوم يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .

٥

وكان علينا أن نرمي الجرات كل يوم في ثلاثة مواضع ، هي التي تعرض فيها إبراهيم وإسماعيل لفتنة الشيطان ، تؤكد لذلك المعنى القريب أو البعيد في النفوس ، وحتى تنطبع على هذا اللون من المجاهدة ، وتسترجع صورتها كلما عرض لها في الحياة أمر من الفتن أو الانحراف ...

وصرحت في عودتي من الرجم على مسجد « الخيف » أتأهب لصلاة المغرب ، وهو مسجد أقيم تحت سفح الجبل ، تتوسطه قبة قيل إنها تظل المسكن الذي أدى فيه الرسول الصلاة ...



وكان فناء المسجد الكبير المحصب غاصاً بالمصلين والعاكفين ، الذين
آثروا الجاوس فيه التماساً للهواء ، وفراراً من الحر الشديد داخل البناء
المعروش . ورأيت فرجة على فراش أحدهم تقسع لأكثر من ثلاثة ،
فهممت أن أجلس ولكن الرجل ذادني عنها بخشونة وهو يقول :

— ذونك المسجد فيه متسع للصلاة ...

قلت متلطفاً : ولكن ألا يسرك أن تشاركني في الأجر وأنا أصلي
على فراشك هذا ، فأتق حرارة الحصباء أو حرارة البناء المعروش ؟

قال : إن هذا الفراغ ينتظر أصحابه ..

قلت : أفى بيت الله تحجز الأمانة ، وقد شرع الدين الأفضلية فيها
للسابقين ؟

قال : وقد ضاق الرجل بى وبحديثى :

— وماذا كنت تفعل لو لم تجد هذا الفراش خاليا ؟

قلت : أصلى على الحصباء ، أو يحتوينى البناء بحره الشديد .

قال : فلتفعل ...

فانصرفت مغيطاً مخفياً بعد أن استنفدت صبرى وحيلتى فى إقناعه ،
تتجاذبنى تلك النوازع البشرية التى كنت أرجعها منذ قليل .

ولسكنى تغلبت على نوازعى وكظمت غيظى ، وأديت الصلاة فى
الصف الأول داخل المسجد ، وأنا أستغفر لنفسى ولصاحبى ما وقع فيه ...

ولقد حرصت على تسجيل هذه القصة ، وأمثالها فى الحج كثير ؛
لأبين إلى أى مدى يأخذ بعض الحجاج بأداب الدين ، ويلتفعون بروح
الحج وحكمته .

هذا الدين الذى يأمر بالعرف ، ويحض على الايثار ، ويبث روح
التعاون . وذلك الحج الذى يمحو ذاتية الفرد ، ويستل شهوات النفوس ،
ويجمع القلوب على الحب والآلهة ، رغم اختلاف الأجناس والألوان
والبيئات واللغات ...

إن هؤلاء نفر من الحجاج ، وأخشى أن أقول لمنهم كثيرون ،
يقدمون إلى الحج وهم لا يدركون من حكمته وغايته إلا أنه وقوف

وطواف وسعى ودعاء . مناسك يؤدوها جامدة عمياء ، لا تنفذ إلى قلوبهم أسرارها ، ولا تنطبع نفوسهم بآثارها ، ولا تنظم مشاعرهم بما رسب فيها من عيوب وأقذار ...

وإذا كان من الصائمين نفر ليس لهم من صيامهم إلا الجوع والعطش ، فإن هؤلاء نفر من الحجاج ليس لهم من حجهم إلا عناء السفر وآلام الغربة ، ومتاعب الحياة المتجردة الشاقة ، وإلا ما يقارفونه في حجهم هذا من ذنوب وأوزار ...

ولقد قيل إن علامة الحج المبرور ، هي أن يعود الحاج إلى بلده خلقاً جديداً ، قد تبدلت حياته ونظراته إلى الحياة ، وآسقت علاقته بربه وبالناس على مثل كريمة طيبة ، ولا عجب بعد ذلك ألا يكون لمثل هذا الحج المبرور جزاء إلا الجنة !

فكيف نأولئك نفر من الحجاج إذا عادوا إلى بلادهم ، واحتوتهم الحياة الصاخبة الضارية ، وهذه حالهم في منازل الوحي ، ومواطن النبوة ، ومشاعر التجرد والاقبال على الله ...

٦

وفي صباح اليوم الثاني من أيام العيد ذهبنا إلى القصر الملكي في منى حيث شهدنا عرضاً نموذجياً لوحدات الجيش السعودي . وقد أقيم في فناء القصر سراق كبير ، جلس في صدره الملك سعود — ولي العهد وقتئذ — وإلى جانبه نخبة من الحجاج يمثلون مختلف البلاد الإسلامية وحوله الأمراء وكبار رجال الدولة .

وبدأ العرض المسكرى فندفعت وحدات الجيش المختلفة ، راكبة وراجلة ومدرعة ، فكان الملك سعود يقف محيياً هذه الفياق التي أعدت لإعداداً حديثاً ، وزودت بمختلف الأسلحة الخفيفة والثقيلة . وكان المذيع يتحدث عن كل منها حديث التعريف والإشادة . ثم غطت أسماعنا أصوات التهليل والتكبير تنطلق بها حناجر « الإخوان » وهم في لباسهم البدوي ، وقد غطوا رؤوسهم بكوفيات حمراء فوقها عقاب أسود أو عمامة بيضاء . . .

إنهم أهل الجهاد من جنود نجد الأبطال ، تهزم الحمية البدوية ويهدر في صفوفهم بأس الصحراء !

وأثار منظر هؤلاء « الإخوان » في نفسي تلك الصورة الرائعة التي هي أشبه بصور الأساطير ، صورة الملك عبد العزيز وهو يسترد بأربعين رجلاً من هؤلاء الإخوان عاصمة آبائه وأجداده ، ثم يقيم ملكاً ويؤسس دولة

ولأهل نجد فن من فنون العرض المسكرى يعرف باسم « العرضة » ، كثيراً ما يجتذب إلى ميدانه الملك سعود فيمتشق حسامه وينزل إلى الميدان ، يؤدي حركاته الحربية على دق الطبول وترجيع الأناشيد .

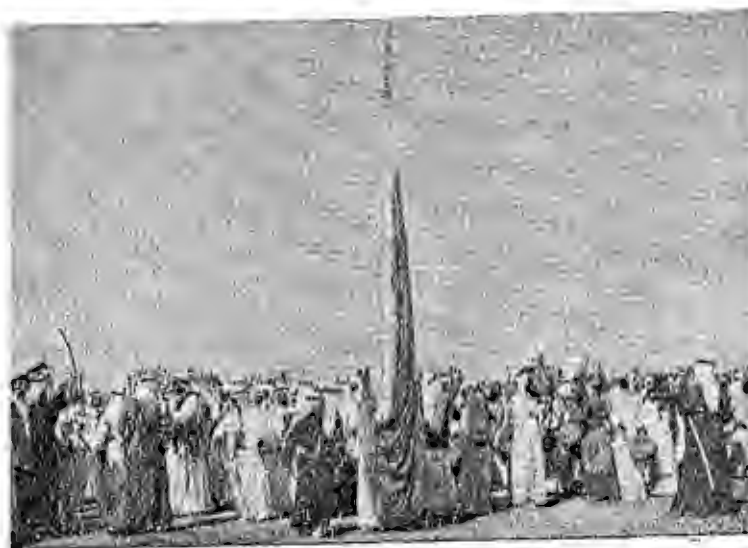




الأمير عبد الله الفيصل في ميدان العرض . . .



الأمير محمد بن سعود يقود لواء من ألوية أهل الجهاد.



الطبول والأعلام في العرضة النجدية

أحاديث وأخبار

١

... وعدنا من منى إلى مكة قبل الغروب ، وأنا أتمثل في هذا
الموكب المتدفق السيل قول الشاعر القديم :
وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلَّ حَاجَةٍ
وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وُشِدَّتْ عَلَى دُهُمِ الْمَهَارَى رَحَالُهَا
وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادَى الَّذِي هُوَ رَائِحُ
أَخَذَنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
وقضينا ليلتنا بالفندق نسمر في نديه مع طائفة من أهل المسكاة
والرأى من مختلف البلاد الإسلامية . . .
وكان الأستاذ عبد الحميد المشهدى الصحفى المصرى ، يحدثنا عن
الآزمة السياسية والفتنة الدينية التى كادت تقع بسبب موقف الزعيم
الإبرانى آية الله المكاشانى منذ أيام . . .

فقد أبدى الكاشاني للملك سعود رغبته في أن ينفرد بالوقوف على عرفة يوم السبت ، باعتباره التاسع من ذى الحجة حسب التوقيت المحلي في إيران . وكان محددًا للوقوف بعرفة يوم الجمعة ، طبقاً لرؤية الهلال في الحجاز !

ولم تكن إيران وحدها هي التي سارت على هذا التوقيت ، فإن مصر كذلك احتفلت بالعيد الأكبر بعد أربع وعشرين ساعة من احتفال المسلمين بهذا العيد في موسم الحج ...

على أن اختلاف ، ووقيت الأهلة في البلاد الإسلامية ، ينبغي ألا يترتب عليه اختلاف المسلمين على أنفسهم في هذا الموقف الجامع العظيم !

وأولى البلاد الإسلامية بأن تلتزم مواعيدها ، هي تلك التي تؤدي فيها فريضة الحج ، والا كان الأمر فوضى لا ضابط له ، وأصبح المسلمون تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ... حتى في مناسك الحج وشعائر التوحيد !
بمثل هذا كان رد الملك سعود على السيد الكاشاني ...

ولكن الكاشاني لم يقتنع وأصر على طلبه !

وأصر الملك سعود كذلك على رأيه ...

وهدد الكاشاني بالعودة إلى بلاده هو وأصحابه ، دون أن يؤدوا فريضة الحج ...

وقال الملك سعود إن أداء هذه الفريضة أمر بين الكاشاني وربّه ، فليس له في أدائها أو الانصراف عنها شأن ...

ثم عصم الله المسلمين من هذه الفتنة ، ونزل الكاشاني على حكم الله
وحكمته ، فوقف هو وأصحابه على عرفات في ذلك اليوم الجامع العظيم !

٢

ثم تناول الحديث الخطوة الحميدة التي خطاها الملك عبد العزيز ،
بالغاء رسوم الحج ، التي كانت تجبي من الحجاج إلى خزانة الدولة .

قلت : نعم ، فلم تعد الدولة بعد أن فتح الله عليها خزائن الأرض ،
في حاجة إلى فرض هذه الرسوم ، التي كان لها في تاريخ هذه البلاد
منذ القدم ذكر بغيض ، نرجو أن تعفى عليه هذه الخطوة التي خطاها
العاهل العربي الكبير . . .

فلقد حدثنا التاريخ أن من أسباب انهيار ملك « جرهم » في الجاهلية
أنها بغت على حجاج البيت ، وأسرفت في فرض الضرائب
عليهم والمكوس . . .

ثم كان من مفاخر قريش على العرب ، أن من بين ما أستاذت به
شرف سقاية الحبيب ، ورفاة الفقراء منهم والمنقطعين . . .

وجاء الإسلام ففرض الزكاة ، وقال الرسول : لا يدخل صاحب
مكس الجنة !

على أن المكوس عادت تفرض على الحجاج حتى أبطام صلاح الدين ..
ولكن أشرف مكة ، كانوا لا يفتأون يعيدونها كلها أبطام بعض
السلطين والولاة ، ولم يكفهم ما كانوا يعوضون عنها من الاموال
والارزاق . . .

وكان بعضهم يحتال في الحصول على هذه المكوس حيلة شتى ، ومن ذلك ما ذكره اللواء ابراهيم رفعت (باشا) في كتابه « مرآة الحرمين » من أن شريف مكة فرض على كل حاج ريالاً بدعوى إعانة السكة الحديدية ، وحبس الحجاج عن مغادرة مكة إلا أن يؤدوا هذه الضريبة المبروضة ، فظلوا ساعة أيام لا يؤذن لهم في الخروج ، حتى أتم المطوفون تحصيل هذه الضريبة من الحجاج جميعاً !

على أنهم ما كادوا ينفلتوا من هذا الأسر البغيض ، الذي جعل مقامهم بمكة — ذلك البلد الحرام الذي تهوى إليه القلوب وتهفو الأرواح جحياً لا يطاق الصبر عليه ، ولا تطيب النفس إلا بالفرار منه .

ما كادوا ينطلقون من أسارهم هذا حتى كان جنود الشريف يترصدونهم في مصيق بين جبلين ، فيطالبونهم بأن يؤدوا ريالاً والحكومة ، عن كل حمل في القافلة !

واضطربت القوافل بعشرات الألوف من الحجاج في « شقاداتهم » على الجبال ، وأصابهم من الأهوال والأذى أضعاف ما أصابهم في مكة . ولم يسمح لهم بالمرور من ذلك المضيق الذي أحصروا فيه إلا أن يؤدوا هذا « المكس » لشريف مكة الذي لا يؤمن بما قاله جده ، ولا يعنيه أن يذهب إلى الجنة أو إلى النار !

وإذا كان الناس على دين ملوكهم — كما كان يقال — فإن هذه المكوس لم تعد حقاً على الحجاج لشريف مكة وحده ، بل صارت حقاً لقبائل البادية ينالونها بالسيف والرصاص ، ويساومون عليها امراء الحج ورؤساء الحكومات . . .

وكان شريف مكة يغضى عن هذه الجرائم ولا يتحرك لها ضميره ،
لأنه يستأثر لنفسه بما ترسله مصر وغيرها من الأموال والأرزاق لينفق
على هؤلاء البداءة ، فهو يطلقهم على فرائسهم من الحجيج ، ويبيع لهم
دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، ليشغلهم بذلك عما في يده من تلك
الأموال والأرزاق . . .

ولقد ضج العالم الإسلامي وقتئذ من تلك المظالم والآهوال . وإنى
لاذكر قصيده شوقي التي صور فيها تلك المآسى الفاجعة ، وتوجه فيها
إلى الخليفة ، يستعديه على أولئك الطغاة ، ويناشده ، حماية يدت الله
وضيفه من جرائمهم المنكرة ، إذ يقول من قصيدته تلك :

صَجَّ الْحِجَازُ وَضَجَّ الْبَيْتُ وَالْحَرَمُ
وَاسْتَصْرَحَتْ رَبَّهَا فِي مَكَّةِ الْأُمَمِ
تلك الربوع التي ريع الحجيج بها
ألشريف عليها أم لك العلم ؟
أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا
إِنِّي أَنْتَ لَمْ تَنْتَقِمْ فَاللهُ يَنْتَقِمُ !
أنى الضحى وعيون الجند ناظرة
أسبى النساء ويؤذى الأهل والحشم ؟

وُسُفَكَ الدَّمُ فِي أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ
وُسُتَبَاحُهَا الْأَعْرَاضُ وَالْحُرُمُ ...

« نِيرُون » إِنْ قَيْسَ فِي بَابِ الطَّغَاةِ بِهِ

مُبَالِغٌ فِيهِهِ وَ« الْحِجَاجُ » مَتَّهِمٌ !

وَعَدْتُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْسِ الْغَائِبِ إِلَى حَاضِرِنَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ فَتَنَفَسْتُ
الصَّعْدَاءُ وَأَنَا أَقُولُ : مَا أَبْعَدَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ ، وَمَا أَسْعَدَ
الْمَمْلَكَةَ الْعَرَبِيَّةَ السَّعُودِيَّةَ بِمَا تَنْهَمُ بِهِ مِنْ أَمْنٍ وَسَلَامٍ ، أَصْبَحَ فِي الْعَالَمِينَ
مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ ...



صَوْرَتُكَ الـيَدِ...

١

وتلقيت دعوة من الملك سعود لتناول الغداء في القصر الملكي في
اليوم التالي ، ولكن موعد الدعوة استلقت نظري وأثار حيرتي ...

لأنه الساعة السادسة .

أتمكن هذه الدعوة لتناول طعام العشاء ؟

أم لعلها دعوة لتناول الشاي ؟

وكان بجاني الأستاذ عبدالسلام غالي مدير إدارة الضيافة ، فاستنجدت
به ليفسر لي هذه المشكلة .

ولكن الأستاذ غالي قهقه ضاحكا وهو يقول :

— كم ساعتك الآن ؟

قلت : الرابعة مساء .

قال : لا ، إنها العاشرة !

قلت : كيف ؟

قال : انظر إلى ساعة الفندق .

وانظرت فإذا هي العاشرة ... فقلت : لعلها مختلفة .

قال : أقسم أن لا .

قلت : عجبا ... أو لا ترى الشمس على جبال مكة أيها الصديق ؟

قال : نعم وإن الشمس لن تغرب هنا إلا بعد تمام الساعة الثانية عشرة

فصنعت به وبدعايته هذه ونحن في موقف الجد .

قال : صدقنى ، فليس فى الأمر دعاية ، ولكنه الحق كل الحق .

قلت : إذن هى إحدى علامات الساعة .

قال : نعم ، ولكنها الساعة بتوقيتها العربى !

وبدأت أفيق من دهشتى وحيرتى ، ثم إذا بى أفهمه ضاحكا كما كان

يفعل صديقى الاستاذ عبد السلام غالى ، وكنت أنكر عليه ذلك منذ

لحظات ...

وأدرت عقارب الساعة أضيظها على التوقيت العربى ، الذى تسير عليه

جميع الساعات فى المملكة العربية السعودية وترتبط بها جميع الأعمال

والمواعيد .

وفى الموعد المحدد كنا فى القصر الملكى ، ندخل على الملك سعود وقد

اتخذ مجلسه فى صدر قاعة فسيحة ، نصدت بالابسطة الفاخرة والمقاعد

الوثرية ، نخبّ لاستقبالنا فى بشاشة وترحاب ، وقد وقف عن يمينه وشماله

الأمراء وزعماء العشائر ، وجلسنا دقائق ثم حانت منى التماطة نحو الباب

فإذا صفان من الحرس الملكى قد جلسوا على الابسطة فى ملابسهم

العربية وأسلحتهم اللامعة .

ودعانا الملك للغداء فانتقلنا إلى قاعة الطعام وقد صفت بها الموائد

على الطريقة الغربية ، يطغى عليها السكرم العربى ، ورأيت الملك سعود

يبطئ في تناول طعامه حتى لا يعجل ضيوفه ، ثم غادر المائدة فتقدم
وغسل يديه وغسلنا من أباريق صفت وراء المائدة ، ثم استقبلنا عند
الباب رجل يحمل قارورة من العطر فصب على أيدينا من عطرها الفواح
وعدنا إلى مجلسنا ذاك ، فأقبل الساقى متوشحاً سيفاً وهو يحمل في
يده إبريقاً وفي الأخرى مجموعة من الفناجين بعضها فوق بعض ، وبدأ
بالمالك فصب في فناجانه قطرات ، ثم دار على الجالسين .

لها القهوة العربية تصنع بطريقة خاصة من مزاج البن وحب الهان
وبعض أنواع العطاره فيبدو لونها كالزيت الرائق ، وهذه القطرات القليلة
تأثير ملء فناجان أو أكثر من القهوة التي تصنع على الطريقة المصرية .

وقد تلقيت الدرس الأول في تقاليد القهوة العربية على يد صديق
الاستاذ جواد ذكرى الوزير المعوص للمملكة العربية السعودية بالتماهرة
في ذلك الوقت ، يوم قدم لى الساقى قطرات منها في فناجان فاستطبت طعمها
وراحتها ثم مددت يدي إليه بالفناجان فإذا به يصب قطرات أخرى .
تكرر منى ذلك وتكرر منه عدة مرات حتى بدأت أشعر بالاكتهاء ،
ولكنه ظل يزيدنى كلما رددت إليه الفناجان ، وأنا أهمهم بأنى اكتهيت
فلا يقف عند حد .

وتلفت فإذا صديق الاستاذ جواد يتسهم وهو يشهد هذه الحلقة
الممرغة تطوفنى فلا أستطيع منها الخلاص !

ثم قال : سىظل يزدك ما لم تطلب منه أن يكف .

قلت : قد فعلت ، ولكن كرم الساقى لا حد له ...

قال : وماذا فعلت ؟
 قلت : أفهمته انى اكتبته .
 قال : إنك لم تفعل . . . إن علامة الاكتفاء هى أن تهز الفنجان
 بين أصابعك وأنت تردده إليه .
 ووعيت هذا الدرس الاول ، فبرزت الفنجان بين أصابعى وأنا
 أردته إلى الساقى فى مجلس الملك سعود .
 وأقبل شاب يحمل بين يديه أوراقاً ، وتقدم خيا الملك ثم جلس
 أمامه على البساط ، واستأذن فأذن له . . .
 وأخذ الشاب يتلو من هذه الاوراق التى بين يديه .
 إنه الموظف المختص بأنباء الإذاعة ، جاء يتلو على الملك نشرة الاخبار .

٢

قال صديقى الأستاذ عبد الحميد السعداوى ، من موظفى الجامعة
 العربية :

— هلم بنا نشهد لونا آخر من ألوان الحياة العربية . . .
 لأنهم جماعة من أحرار الشام ، فروا من القصاص السياسى ، ولاذوا
 بالبلد الحرام ١١

وفى دار متواضعة بظاهر مكة ، كان يستقبلنا « أبو صياح » وصحبه
 وقد أعدوا لنا طعام الغداء على الطريقة البدوية ، جلسنا أرضاً على
 البساط وجيء لنا بوعاء كبير مملوء بالشريد المخلوط بأنواع مختلفة من
 الخضر واللحم والأرز .

ومددت يدي أتناول لقمة ، فاذا الطعام ملتهب لا تقوى اليد على
لمسه ، بله تناوله في الأفواه ١١

ورأيت أبا صياح وصحبه وبعض المدعوين يأكلون في طمأنينة
وشهية ، وكأن ما يتناولونه قطع من الحلوى المشبعة ، وليس طعاما
يشوى اليد والحلقوم . . .

وتبادلنا النظرات في تساؤل واشفاق . وضحك الشيخ حسونة العالم
السوداني وهو يروي لنا قصة أشعب في صباه قال :

كان أشعب غلاما حدثا حين جلس الى قصعة كهذه من الثريد
الملتهب ، بين جماعة من أهله الكبار كانوا يأكلون في سوغ ويسر ،
وهو لا يطيق أن تمتد يده الى الطعام . . .

وبكى أشعب في حرقه وألم . وقالوا : ما يبكيك ؟

قال : إن الطعام ملتهب . . .

قالوا : ولماذا لا تنتظر حتى يبرد ؟

قال : ولستكنكم لا تنتظرون !

. . . ثم قدمت لنا أطباق « الحبيب » وهو البطيخ ، وألوان من
الحلوى الشامية طيبة الصنع شهية المذاق .

وأراد القوم أن يزيدوا في تكميمنا ، فدعونا للشهد حلقة المباراة.
على الطريقة العربية . . .

وتقدم أبو صياح وصاحبه فحمل كل منهما سيفه ودرعه ، وأخذ

يدور في الحلبة بخطوات فيها بخثرة وخيلاء !!
وأرجعتني هذه الصورة الى بعض ما قرأت من تقاليد المطولة-
العربية في صدر الاسلام ...

هنالك في « أحد » حيث كان محمد يخطب في المسلمين ويحضهم على
القتال ، ويعدهم النصر مع الصبر وحسن البلاء ، ثم هاهو ذا يمد يده
بسيف فيقول :

— من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

فيقوم اليه رجال فيمسكه عنهم . ثم يتقدم اليه « أبو دجانة » فيقول :

— وما حقه يارسول الله ؟

قال : أن تضرب به العدو حتى يهجن !!

وكان أبو دجانة رجل شجاعة وبأس ، له عصاية حمراء إذا اعتصب
بها علم الناس أنه سيقا تل قتال الموت ...

فأخذ السيف من يد الرسول ، واعتصب بعصايته الحمراء ، ثم
جعل يتبختر بين الصفيين على عادته اذا يختال عند الحرب ...

ونظر اليه محمد في مشيته هذه فقال :

— إنها المشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن !

. . كنت أقرأ هذه القصة في كتب التاريخ ، فلا أكاد أتمثل هذه
الصورة للخيلاء في موطن الحرب ، حتى شهدت أبا صياح وصاحبه في
حلبة المبارزة ، يدوران في الحلبة بخطوات فيها بخثرة وخيلاء ...

وقلت : هذه المشية التي يبغضها الله الا في موطن القتال !

في ظلال الحرم...

١

قال صاحبي : هل لك في زيارة جوف الكعبة ؟

قلت : حبذا الأمر ...

ووقف صاحبي يحدثني عن تاريخ الكعبة ، ريثما يميء لنا السادن
غرفة الدخول .

هذا البناء القائم الآن على صورته هذه ، ليس هو الأثر الذي تركه
إبراهيم منذ آلاف السنين ، فقد تعاورته الأحداث وتداولته الاحتماب
بالهدم والبناء . ولعل أصح ما يروى في ذلك ما كان قبيل البعثة المحمدية ،
حينما طغى السيل على الكعبة فأوهى بنيانها وصدع جدرانها ، فأعادت
قريش بناءها من جديد .

على أن قريشاً أنقصت من مساحة الكعبة حينما أعادت بناءها .
ولذلك قال الرسول لعائشة فيما بعد :

— لولا أن قومك حديثو عهد بالإسلام ، لهدمت الكعبة فألزقتها

بالأرض ، ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا ، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر ، فإن قريشاً استقصرتها حينما بنت الكعبة .

ثم كات الفصة الكبرى بعد مقتل عثمان ، وانتقاص عبد الله ابن الزبير على بنى أمية ، وهو يوحج الثورة عليهم في مكة . فأرسل يزيد بن معاوية جيشاً لاختضاعه ، واعتصم ابن الزبير ورجاله بالحرم ، وهنا يسجل التاريخ صورة إلى جانب صورة ...

أما الأولى فهي صورة محمد يوم فتح مكة ، ومكة الله من رفاب قريش ، وعلى رأسهم أبو سفيان حد يزيد هذا ، إذ بعث الرسول من ينادى فيهم :

— من دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن . وأما الصورة الأخرى ، فهي صورة جيش يزيد هذا الذي جاء يغزو مكة ، فلما احتفى عبد الله بن الزبير ورجاله بحمى الله ، أخذت المخانيق ترمى هذا الحى ومن يلوذون به بآلاف القذائف ، حتى احترقت الكعبة وتصدع بناؤها . على أن رب البيت لم يمهل هذا الطاغية ، كما لم يمهل من قبله أصحاب الفيل ، فلم تلبث مكة أن جاءها منعاه !

وعاد الجيش الأموى إلى الشام ، وعادت مكة تتطلع إلى البيت العتيق في حسرة وإشفاق ، وهو في حالته تلك من التصدع والاحتراق حتى ليوشك أن تتناثر حجارته من وقع الحمام !!

ووجدها ابن الزبير فرصة لإعادة بناء الكعبة على أساس إبراهيم ،

وبالصورة التي همّ الرسول أن تكون عليها لولا أن خشى الفتنة يومذاك
لقرب عهد الناس بالجاهلية ، وحداثة عهدهم بالإسلام .

على أن هذا البناء الجديد الذي أقامه ابن الزبير لم يلبث إلا عشر
سنوات ثم تجدد الصراع بين بني أمية وعبدالله بن الزبير ، وحاصر
الحجاج ابن الزبير في مكة وقتله ، ثم نقص مازاده ابن الزبير في بناء
الكعبة وسد بابها الغربي ، وأعادها على الصورة التي كانت عليها
في الجاهلية . . .

وظل بناء الكعبة هذا مشكلة من المشكلات السياسية والدينية طوال
العهد الأموي ومطلع العهد العباسي : هل يبقى البناء على صورته هذه
التي ردها الحجاج إلى ما كانت عليه في الجاهلية ، أم يعاد إلى الصورة
التي ردها ابن الزبير إلى ما كانت عليه في عهد إبراهيم ؟ !

واستشار هارون الرشيد الإمام مالمكا في أن يعيدها إلى ما كانت
عليه في عهد إبراهيم . ولكن الإمام مالمكا نظر إلى الأمر نظرة أبعد
عما يتصل بالتحقيق التاريخي لطراز الكعبة ، إنه نظر إلى حرمة البيت
العتيق وقداسته ، وأراد أن يوصد ذلك الباب الذي تنفذ منه أهواء
السياسة للعبث بهذه الحرمة وتلك القداسة . فقال هارون الرشيد :

— يا أمير المؤمنين ، لا تجعل كعبة الله ملعباً للبلوك ، لا يشاء أحد
أن يهدمها إلا هدمها !!

وظلت الكعبة على حالها تلك ألف عام . . .
ثم عدا عليها السيل وهدم نفاياتها . وهب العالم الإسلامي لإعادة

عمارتها قوية مدعمة ، مع المحافظة على كثير من أحجارها السايمة ،
 راقصتي ذلك ترميم الحجر الاسود وتقوية أجزائه في أطار من النصة .
 وكان نصيب مصر في هذه العمارة هو النصيب الاوفى ، إذ قدمت عددا
 كبيرا من المهندسين والصناع ، وأمدتهم بكل ماتحتاج إليه العمارة من
 مواد ، وأنفقت في ذلك نحو ستة عشر ألفا من الجنيهات . .

ذلك هو بناء السكبة القائم اليوم ! !

وقدم إلينا سادن السكبة من آل الشيبى ، وهم بطن من قريش ،
 ظلوا يتوارثون السدانة من عهد الجاهلية إلى يومنا هذا . وكانت
 مفاتيح السكبة عندما فتح الرسول مكة مع عثمان بن طلحة ، فأخذها
 منه الرسول وأراد أن يحجزها عنه ، فنزل عليه قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ﴾ .

فردها الرسول إلى عثمان بن طلحة قائلا :

— ها كم خذوها خالدة تالدة ، لا ينزعها منكم إلا ظالم . . .

وصعدنا على مرقاة حتى بلغنا باب السكبة ، وهو على ارتفاع غير
 قليل من الأرض . وقد أمر بصنع الباب الخالى الملك عبدالعزيز
 آل سعود ، وكان الباب الذى قبله مهدى للسكبة من السلطان مراد خان
 قبل ذلك التاريخ بنحو ١٢٥ سنة .

وفتح الشيبى الباب . . .

الله أكبر ، الله أكبر ! ! !



... وانفتح باب الكعبة !

لقد كنت منذ لحظات أملاً ناظري وخاطري بمشاهدة الكعبة ،
 في بنائها الرهيب وأستارها السوداء ، وأطوف حولها في خشوع وتجرد
 وإبتهاال ، وأطويها في مشاعري بكل ماتفيض به روعة الحاصر
 وذكريات الماضي البعيد . وهأنذا الآن أخطو إلى جوف الكعبة
 فتطوينى هي بين حناياها ، وإذا بروحى تمتد وقلبي يكبر حتى يملأ جوف
 الكعبة خافقاً بالتسبيح والدعاء ، وإذنى أحس كأننى جزء حتى في ذلك
 البناء الخالد ، هو بمثابة القلب في كائى ينبض بالحياة . . .
 وصرفى هذا الشعور لحظات لا أدرى مداها عن أن أتبين معالم
 الكعبة أو أصغى إلى مايتحدث به الدليل . . .

ثم أفقت من هذا الاستغراق الروحى ، وتقدمت إلى الجدار الذى
 يقابل الباب ، ووقفت تجاه علامتين إزاهه أقيم الصلاة ، إنه المسكن
 الذى كان يصلى فيه محمد عليه الصلاة والسلام ١١

والكعبة عبارة عن بهو مربع الأضلاع ، مشطور الزاوية الشمالية
 إلى يمين الداخل ، وهذه الشطرة باب صغير يؤدى إلى سلم يصل
 إلى السطح . ويعتمد سقفها على أعمدة ثلاثة من خشب العود ، امتنعت على
 البلى من عهد عبد الله بن الزبير حتى الآن ، إلا ما أصاب قواعدها من التآكل
 فى العهد الأخير فشدت هذه القواعد بأطواق من الخشب لدعمها
 وحمايتها . وتكسو جدران الكعبة أستار من الحرير مطرزة بالآيات
 القرآنية وغيرها . وقد تنافس الملوك والأثرياء فى تقديم الهدايا
 النفيسة وتزيين جوف الكعبة بالقناديل الذهبية والأستائر الثمينة فى مختلف
 العصور . ولكن هذه النفائس كانت عرضة للنهب والسلب . وأشهر ما يذكره

التاريخ من ذلك ، حين أغار القرامطة على مكة سنة ٣١٧ هـ فحردوا الكعبة بما في خزائنها من الجواهر ، وانتزعوا ما كان بها من صفائح الذهب ، واقتلعوا الحجر الأسود من مكانه وعادوا به إلى « هجر » ، وهي قرية من أعمال البحرين كان قد نبى بها أبو طاهر القرمطي بيتاً أراد أن يصرف المسلمين عن الكعبة بالحج إليه . . .

قيل : وقد سار أبو طاهر هذا في زحفه على مكة في عسكر كثيف ، وكان المسلمون وقتئذ في موسم الحج ، فبغتهم ورجالهم بالسيوف تحتز أعناقهم وتسفك دماءهم في الشهر الحرام والبلد الحرام ، حتى صرع منهم ثلاثين ألفاً أو يزيدون !!

على أن القرامطة فشلوا في صرف الناس عن قبائهم هذه ، إلى تلك القبلة التي أقاموها في « هجر » واضطروا فيما بعد إلى إعادة الحجر الأسود إلى مكانه من الكعبة ، وظل البيت — كما كان من عهد إبراهيم — مثابة للناس وقبلة للطائفين والعاكفين والركّع السجود . . .

٣

وعادت بي خواطري إلى الماضي البعيد . . .

إلى ذلك اليوم الذي عاد فيه محمد من دار هجرته عزيز الجانب منصور اللواء ، وقد أظهره الله على قريش ، فدخل مكة في عشرة آلاف تهدر بهم شعاب مكة وتحقق بهتافهم الأجواء . . .

لأنه يقف على باب الكعبة هذا ، وقد مكّنه الله من رقاب أعدائه ،

وهم فزعون واجهون ، تتطلع أبصارهم وتتعلق قلوبهم بالكلمة ينطق بها فمه ، فيقرر بها مصيرهم الرهيب !!

ولكن محمدا لا يجد أبلغ في شكر الله على هذه النعمة التي أفاها عليه إلا أن يقول قوله الخالدة :

— يا معشر قريش ، ما تظنون أني فاعل بكم ؟

قالوا في ضراعة وندم ورجاء :

— خيراً . . أخ كريم وابن أخ كريم !

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

ثم ها هو ذا يدخل الكعبة ، فإذا جدرانها مملوءة بالصور التي تمثل عقائد الجاهلية ، فيأمر بها فتمحى وتطمس معالمها ، ثم يظهر البيت من الأصنام وكانت عدتها ثلثمائة وستين .

وبذلك عادت الكعبة بيتاً للتوحيد كما أقامها إبراهيم ، وكما أرادها الله هدى للعالمين !

وطابت أنفس الانصار بهذا الفتح المبين ، أكثر مما طابت أنفس المهاجرين الذين كانوا مستضعفين في الأرض يتخطفهم الموت من كل مكان ، ثم أظهرهم الله على أعدائهم وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

طابت أنفس الانصار أن قام على أيديهم بناء هذا الدين وحمايته وغلبته . ولكن خالط شعورهم هذا ما رأوه من استسلام قريش ، وعفو محمد الشامل عن جرائمهم ، ثم دخولهم في دين الله أفواجا ، واعتباطه

الرسول بإسلام قومه ، وقال بعضهم لبعض :

— أترون رسول الله اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟
وبلغت هذه المقالة محمدا فقال للأنصار :

— معاذ الله ... المحيا محياكم والممات مماتكم .. ولم يلبث بمكة إلا
خمسة عشر يوما عني فيها على آثار الجاهلية ، وأقام دعائم التوحيد ، ثم
انصرف عائدا إلى مهجره الحبيب ...

٤

قلت لصديقي :

— فلنتابع تحقيقنا التاريخي لمعالم الحرم ، وزيارة بعض المشاهد
والآثار ... ونظرت إلى أستار الكعبة السوداء ، فبدأ لي أن أسأل :
— لماذا اتخذت هذه الستائر ذلك اللون الأسود ، وإلى أى عهد
يرجع اتخاذ هذا الشعار ؟

قال : أما كسوة الكعبة فترجع إلى عهود بعيدة ، وقد قيل إن أول
من كساها أحد ملوك « حمير » في أواخر القرن الثالث قبل الهجرة وفي
ذلك يقول :

فَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مُلَاءً مُتَمَصِّبًا وَبُرُودًا .

ثم ظلت الكعبة تسكنى بالخلد والقباطي — وهو قماش مصري —
وكساها الرسول ثياباً يمانية ، وكانت الأستار يوضع بعضها فوق بعض

حتى أنقلبت بناء الكعبة . فأمر الخليفة المهدي العباسي بالاعتصار على كسوة واحدة من الحرير الأسود ، وكان السواد شعار العباسيين ...

ومن الموافقات اللطيفة ، أن هذه الستائر كانت تصنع في مدينة مصرية اسمها « تنيس » بالقرب من دمياط ، وفي بعض البلاد المصرية الأخرى ، إلى أواخر عهد العباسيين . ثم استأثرت مصر فيما بعد بالامر كله ، فصارت هي التي تتولى كسوة الكعبة على نفقتها ومن صنع أبنائها حتى اليوم ...

قال صاحبي :

أما المسجد الحرام فلم يكن على عهد الرسول يتعدى حدود المطاف ، وهو الفضاء المرصوف الذي يحيط بالكعبة . وكانت تحيط به الدور ، ومن بينها دار الندوة التي كانت برلمان قريش في الجاهلية ، والتي شهدت أخطر اجتماع بعد البعثة المحمدية ...

إن قريشا قد هالها أن ينفذ محمد من ذلك النطاق الحديدي الذي ضربوه عليه وعلى دعوته ، فيتصل بأهل يثرب ثم يبايعوه على الهجرة اليهم ، وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأولادهم . إن هذا الاسد الحبيس يوشك أن ينطلق من إساره ، ثم لا يلبث أن يرتد اليهم وقد انتفضت الجزيرة العربية عن آسائها تنساب بهم شعاب مكة وهم من ورائه يزأرون ويثأرون .

واجتمع في دار الندوة يومئذ نحو مائة من زعمائهم ، يديرون الرأي

فما ينبغي أن يكون للقضاء على هذه الفتنة قبل أن يستفحل خطرها .

فقال أحدهم :

احبسوا محمداً في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله ...

ف قيل : ما هذا برأى ، والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلا وشكوا أن يثبوا عليكم ، فينتزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم . ما هذا لكم برأى ، فانظروا في غيره فتشاوروا عليه ...

فقال آخر : نخرج محمداً من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فلا نبألى أين ذهب !!

قيل : لا والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا إلى حسن حديثه ، وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به . والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم اليكم حتى يظأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . دبروا فيه رأياً آخر غير هذا ...

فقال ثالث : والله إن لى فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد . أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتى جليداً نسيباً وسيطاً فينا ،

ثم نعطى كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فندستريح منه ، فانهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً فرضوا منا بالدية بلا قصاص !!

وأقر المؤمنون هذا رأى الأخير ، وأعدوا له عدته ...

وَلَا يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ،
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ،



معالم و زكريات ...

١

قلت لصاحبي :

فلندع حديث الحرم وعماراته ، ولننض مع القصة إلى معالمها
الأخرى ...

لندع زمزم ومقام إبراهيم ، وحجر إسماعيل والحطيم ، وما أحدثه
الخلفاء والملوك والولاة في عمارة المسجد الحرام من توسعة وتجديد ،
حتى صار إلى ما هو عليه الآن ، ولنعش في جو تلك القصة الإنسانية
الخالدة ، فما أحب أن ننقل من هذا الجو التاريخي الرائع إلى سواه ،
قبل أن تبلغ مشاعرنا مداه !!

قال : إذن ، إلى جبل ثور ...

... وأوحى الله إلى محمد بنبأ هذه المؤامرة الكبرى ، وأذن له في الفرار
بحياته ودينه ، وأسّر محمد بالنبأ إلى صديقه أبي بكر ، فانطلقا تحت جنح
الظلام في الطريق إلى الين ... تضليلا للطلب ، في الليلة التي حددتها
قريش لتنفيذ المؤامرة !!

ووقف محمد يلقى على مكة نظرة الوداع ، وهو مفطور القلب موجه النفس وقال :

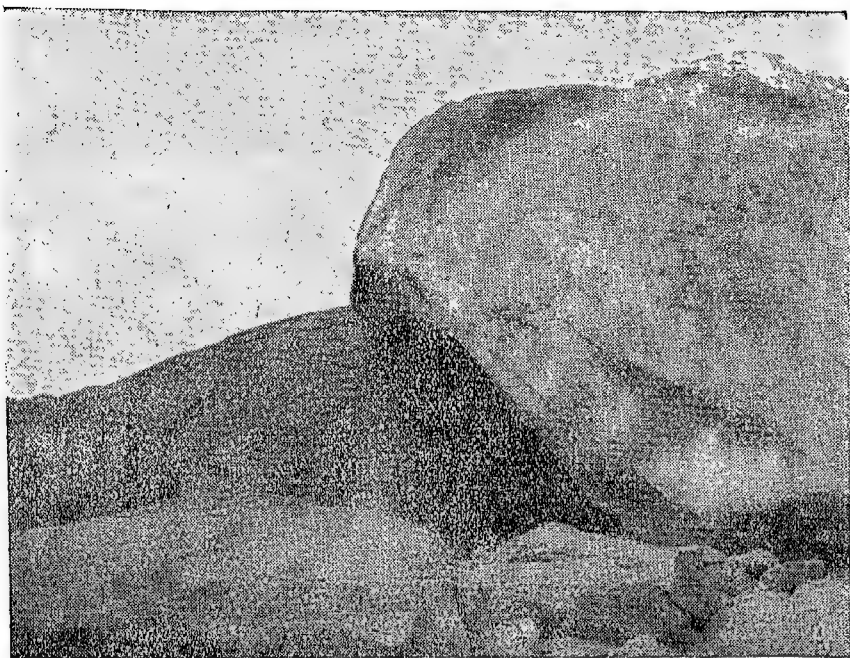
— والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله . ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت منك !!

وحملتنا السيارة إلى جبل ثور ، جنوب مكة . وأغفت عيني حين استيقظت مشاعري فإذا بي ألمح شبحين قد تدثرا بالظلام ، يتخلف أحدهما فيسير من وراء مرة ، ثم يسرع فيسير مر أمام مرة أخرى ... ثم إذا بي أسمع همس الشبح الآخر وهو يسأل صاحبه عن أمره ذاك ، فيقول له :

— يا رسول الله .. أذكر الطلب فأمشى خلفك ، ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك !!

فيلشرق وجه الرسول بالتسامة جميلة ، ثم يقول :
— يا أبا بكر ، لو كان شيء أحببت أم يكون بك دوني ؟
فيمجيبه أبو بكر في حرارة دافقة :

— نعم ، والذي بعثك بالحق !!
... وبلغنا قمة الجبل بعد جهد ، ثم وقفنا أمام الغار الذي احتضن الدعوة الإسلامية وهي وليد طريد ، وحى صاحب الدعوة وصفيه من كيد المشركين ...



ثم عادت بي مشاعري إلى أعماق الماضي البعيد ...
وانبثقت من جوف الغار المظلم أضواء ذلك الماضي ، فإذا أبو بكر
يسبق محمداً في الدخول إلى الغار ، فيستبرئ مما عساه أن يكون فيه . ثم
ها هما يصلبيان في جوف الغار شكرآ لله الذي هيأ لهما هذا الحى الآمين ...
وطلعت شمس ذلك اليوم فكانت أظلم على قریش من قطع الليل
الأسود !!

إن محمداً قد فر من مكة ، وإن هذا الذى كان ينام على فراشه
ويتربصون به الموت ، ليس إلا علياً بن أبى طالب !!
إذن فقد أفلت الأسد الحبيس من أسارم ، ولم يبق إلا أن يرتد
إليهم بعد قليل وقد انتفضت الجزيرة العربية عن آسائها ، تنساب بهم
شعاب مكة وهم من وائه يزأرون ويثأرون !!

وجن جنون القوم ، فانطلقت خيالهم تركض في كل سبيل ، وتعدو في كل اتجاه . وانطلق قصاصو الأثر يستنطقون ذرات الرمال ومسارب الجبال ، وبلغ بعض فتيانهم جبل ثرر ، ثم خطر لهم أن يصعدوا فيه فينظروا لعل محمداً وصاحبه قد أويا إلى غاره ...

وأحس الرجلان وقع أقدام وهمهمة حديث تقترب منهما رويدا رويدا ، ووجم أبو بكر لحظات ، وكان كلما اقترب الصوت ألصق جسمه بمحمد يستره ويحميه وقد استلبد به الحزن حتى تندت عيناه بالدموع ...

ووقف أحد الفتيان على باب الغار يحيل بصره فلا يرى شيئا ...

وهمس أبو بكر في أذن صاحبه يقول :

— لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا !!

فيمجبه محمد في طمأنينة وعزاء :

— يا أبا بكر ، ما ظنك في رجلين الله ثالثهما . . . لا تحزن إن

الله معنا !

« إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السَّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ،

ثم قفلنا راجعين إلى مكة . وتواعدت مع صاحبي على أن نقصد في صباح اليوم التالي لزيارة غار حراء . . :

وقال صاحبي وهو يودعني :

أخشى أن تكون قد أصابتك عدوى كثير من الحجاج، الذين يعتبرون زيارة هذه المشاهد من مناسك الحج ، ويسرفون فيما يذهبون من ذلك أيما إسراف . . .

قلت: معاذ الله أن أكون من الجاهلين !! بل إنني في نظرتي إلى هذه المشاهد أكاد أن أكون من غلاة الإخوان ، من أهل نجد ، فلم تكن هذه المشاهد مزارا في عهد الرسول وأصحابه . ولإني لا أنكر على أولئك الإخوان كثيرأ بما فعلوا لمحاربة العقائد الفاسدة التي طغت على كثير من المسلمين في عصور الجهل والاحلال ، والتي رسبت في أعماقهم من آثار الوثنيات الأولى في مصر وفارس والهند وغيرها من البلاد ، وآثار السموم الاسرائيلية التي سرت في كثير من كتب الدين ، وما حرص عليه كثير من الولاة لتوطيد سلطانهم وتوهين القوى الواعية الرشيدة في شعوبهم ، من طريق اشاعة الخرافات والاساطير ، واحتضان المذاهب الفاسدة والشعائر الباطلة ...

ولإني لأؤمن أن الوثنية والانحراف عن التفكير السليم في ملكوت السموات والارض ، إنما تصيب العقول - أول ما تصيب - عن طريق الترخص في تقدير قيم أمثال هذه المشاهد ، والانسياق في تيار ما تخلعه على العاكفين عليها من تصورات تجعلها آخر الأمر موضع العبادة

والتقديس ، وهل كانت دعوى العرب في الجاهلية عن أصنامهم
إلا أن قالوا :

— مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ، ؟

وهل يقول بغير ذلك — مع اختلاف في العبارة - أولئك القبوريون
الذين تعج بهم الأضرحة والمشاهد ، ولو كانوا مخلصين حقيقة لمن
تضمهم هذه القبور من الشهداء والصالحين عن بصيرة وإيمان ، لابتغوا
إلى الله الوسيلة بمثل ما كان عليه أولئك الشهداء والصالحون ، من
حفاظ على دين الله وجهاد في سبيله ؟

ثم ألا ترى معنى في هذا المبدأ الخطير ، مبدأ الوساطة بين الانسان
وربه ، أساساً من أسس الفساد الديني والسياسي ، الذي استغله - وما زال
يستغله - من يسمون أنفسهم رجال الدين ، وكثير من الحكام ، في القضاء
على الحرية الذاتية والكرامة البشرية للإنسان ، تحقيقاً لمطامعهم الخاصة ،
وتمكيناً لسلطانهم الزائف ؟

أما أنا يا صديقي ، فأعوذ بالله أن تصيبني هذه الفتنة ، وأبرأ إليه
من أن أتصور هذه المشاهد والمعالم على غير صورتها التي فطرها الله
عليها . وما كان لي أن أقصدها التماساً للبركة بالتمسح والمناجاة ، وإنما
أقصدها لاستنطقها ما انطوت عاياه من عبر التاريخ ، كما أقرأ ذلك في
صحيفة أو أدبره في كتاب !!

وأقلتنا السيارة فجر اليوم التالي في الطريق الذهاب إلى منى . وهناك

على مسيرة بضعة كيلومترات ، يقوم جبل النور شاهقاً منفرداً بين
الجبال ، يروى للانسانية منذ أربعة عشر قرناً الى أن تقوم الساعة ،
تلك الآية الخالدة التي انبثقت أنوارها في قلب محمد بن عبد الله ، وهو
يتحنن في غار حراء !!

ورقمنا الجبل حتى بلغنا قمته ، ثم انحدرونا قرابة خمسين متراً فإذا نحن
أمام الغار، حيث كان محمد يقضى الليالي ذوات العدد في رياضة روحية ،
يستغرقه التأمل في ملكوت السموات ؛ والتطهر من نوارع البشرية
وهوم الحياة ، إذ كانت العناية الإلهية تعدّه لتلقى الرسالة الكبرى التي
أضاء بنورها الخافقان .

وأشهد أني في مقامى هذا من غار حراء ، قد أحسست تبديلاً في
مشاعري وتحولاً في نظرتي إلى الحياة ، ولم يمض على وقوفي به إلا لحظات
قصار ، فلا عجب أن يكون محمد — وهو صفوة الله من خلقه — قد
أصاب في مقامه ذاك من مراتب القرب والجلال ، ما جعله قبيل مبعثه
لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

واستغرقى التأمل والاعتبار فإذا أنا روح يحوم حول قمة الجبل ثم
يخلق على باب الغار ، وإذا أضواء ساطعة تنبعث من جوف الغار فتأخذ
بالقلوب والابصار ، وإذا نى أكاد أسمع صوتاً رقيقاً يقول : اقرأ . . .
فيجابه صوت آخر فيه دهشة وصدق : ما أنا بقارى !



وأكد أسمع صوت غظة شديدة بين جسمين ، يتكرر بعدها الامر
والجواب . حدث ذلك ثلاث مرات ، كأن قد سمعت بعدها ذلك الصوت
الرفيق يقول :

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ : خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ .

قال صاحبي :

— حسبك . . . والآن إلى أين تريد أن تذهب ؟

قلت : إلى أم المؤمنين خديجة بنت خويلد . . . تلك الزوج الرؤوم
التي انصرف إليها محمد وقد أخذته حمى الوحى ، فإذا هو يرجف من
خشية وإشفاق ، ثم يدخل عليها وهو يقول :

— زملوني . . . زملوني !

فتلقاه حانية مواسية مشجعة .

فيقول : لقد خشيت على نفسي .

فتقول : كلا . والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل
الكّل ، وتسكب المعدوم ، وتسكّر الضيف ، وتعين على نوائب الحق .
رضى الله عنك أم المؤمنين . والله قلبك الكبير وما أفاض على
رسوله من بر وعزم وإيمان ، وما وهب البشرية من مآثر خالدة على
وجه الزمان .

قال صاحبي : لاذن إلى مقبرة المعلاة .

وتقع هذه المقبرة عند مدخل مكة من جهة « الحجون » ذلك الجبل
الذي ذكره عمرو بن الحارث الجرهمي في قصيدته المشهورة التي قالها وقد
وقف يبكي بجد قومه « جرهم » إذ كانت لهم السيادة على البلد الحرام
فأدلتهم عنها « خزاعة » وأجلتهم إلى اليمن .
وقف عمرو الجرهمي يقول من قصيدته ، وقد حيل بينه وبين
دخول مكة :

وَقَائِلَةٌ وَالدَّمْعُ سَكَبٌ مُبَادِرٌ

وَقَدْ شَرَقَتْ بِالْدمْعِ مِنْهَا الْمُحَاجِرُ

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصَّفَا

أُنَيْسٌ ، وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

فَقُلْتُ لَهَا ، وَالْقَلْبُ مَنَى كَأَنَّمَا

يَلْمِجُجُهُ بَيْنَ الْجَنَاحِينَ طَائِرُ

بَلَى ، نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا

صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ

وكانت مقبرة المعللة وما تزال ، مشوى لموتى أهل مكة منذ الجاهلية حتى الآن . فهذا قبر عبد المطلب جد الرسول ، وهذا قبر أبي طالب عمه ، الذي حماه ونصره حين أفتقد الحماية والنصر ، وكأني أسمعه في دفاعه عن محمد ، ومناشدته قومه — وهو في أخريات أيامه — أن يؤيدوه ويتبعوا النور الذي أنزل معه ، وهو يقول :

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَقَلْبُ الْعَرَبِ . فَيَكُمُ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ ، وَفِيكُمْ الْمُقَدِّمُ الشَّجَاعُ ، وَالْوَاسِعُ الْبَاعُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَمْ تَتْرَكُوا لِلْعَرَبِ فِي الْمَآثِرِ نَصِيْبًا إِلَّا أَحْرَزْتُمْوهُ ، وَلَا شَرَفًا إِلَّا

أدركنتموه . فلكم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة .
وانى أوصيكم بمحمد خيرا ؛ فانه الأمين فى قريش ، والصدق فى العرب .
وقد جاءنا بأمر قبله الجنان ، وأنكره اللسان ، مخافة الشنآن . وأيم الله
كأنى أنظر الى صعاليك العرب ، وأهل الأطراف ، والمستضعفين من
الناس ؛ قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا أمره ، نفاض بهم
غمرات الموت ، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنانا ، ودورها
خرابا ، وضعفائها أربابا . وإذا بأعظمهم عليه أحوجهم اليه ، وأبعدهم
منه أحظاهم عنده . قد محضته العرب ودادها ، وأصغت له فؤادها ،
وأعطته قيادها . . .

يامعشر قريش : كونوا له ولاية ، ولحزبه حماة . والله لا يسلك أحد
سبيله إلا رشد ، ولا يأخذ أحد بعهد إلا سعد ، ولو كان لنفسى مدة ،
ولأجلى تأخير ، لكففت عنه المزاهر ، ولدفعت عنه الدواهي .

لقد كان أبو طالب فى مقاله هذا - بعد ما أسلف من مواقف
خالدة - يصدر عن مشاعر عدة : عن إيمانه العميق بصدق محمد ، وغيرته
الأبوية على ابن أخيه ، وحرصه الشديد على ألا يفوت قومه شرف
تأييد هذه الدعوة . . .

أى قلب كبير هذا الذى يجمع كل هذه المعانى القوية ، وأى نظر
ثاقب هذا الذى نظر من وراء الغيب الى مستقبل محمد والاسلام !!

* * *

. . . وهذا قبر خديجة بنت خويلد ، التى فقدها الرسول وفقد عمه
أبا طالب فى عام واحد ، سماء عام الحزن !

وهذا قبر أسماء بنت أبي بكر ، تلك التي كان لها في تاريخ الهجرة - وهي جويرية صغيرة - شأن لا يغفل ، وذكر لا ينسى . . .

أليست هي التي كانت تخرج في جنح الظلام كل يوم ، تحمل الطعام إلى أبيها وإلى الرسول في مختمها بغار ثور ؟

ثم أليست هي التي سأها أبو جهل ، وهو مغيط محق ، عن أبيها أين ذهب ، فلما أجابته : لا أدري . . . لطمها على وجهها لطمه أطارت قرطها وأسالت من أذنها الدماء ؟

بلى ، وإن لها في تاريخ الاسلام والبطولة العربية شأننا لا يغفل ، وذكرنا لا ينسى . . .

أليست هي التي دخل عليها ابنها عبد الله بن الزبير ، والحرب مستعرة بينه وبين بى أمية ، يتعرف صبرها على فقده فيقول :

— يا أمه ، خذاني الماس حتى أهلى وولدى ، ولم يبق معى الا قليل .
وقد أعطاني القوم ما أردت من الدنيا ، فماذا ترين ؟
فتجيبه في غير ما تردد :

— ارى أن تخرج الى القتال ما دمت تعتقد أنك على الحق ، فوالله
لضربة بسيف في عز ، أحب الى من ضربة بسوط في ذل !
فيقول : ولكى أخشى أن يمثلوا بى بعد موتى . . .
فتقول : إن الشاة المذبوحة لا يؤلمها السليخ !

. . . بلى ، وهذا قبر عبد الله بن الزبير !

قال صاحبي :

— هل لك في زيارة دار الأرقم ؟ فإلست أرى من الأمانة - وقد عرفت مبلغ حرصك على زيارة المشاهد التاريخية ، وأطمأننت الى سلامة قصدك من هذه الزيارة - الا أن أحجبتك الى هذه الدار ، التي آوت المسلمين في فجر الدعوة قبل أن يستعلنوا بها ، ولما الى ذلك أثبت الدور التاريخية نسباً في وقتنا الحاضر . . .

قلت : شكر الله حسن ظنك ، وجميل صنعك .

وانطلقنا في طريقنا الى الصفا ، ثم عرجنا من حارة الباب ، فإذا نحن أمام دار تعرف باسم دار الخيزران ، نسبة الى أم الخليفة هارون الرشيد إذ قيل إنها جددت بناء هذه الدار ، على أن المتفق عليه أن هذه الدار تقوم في المكان ذاته الذي كانت تقوم فيه دار الأرقم منذ أربعة عشر قرناً . وهذه الدار كانت تشغلها الى ما قبل مشروع توسعة الحرم مدرسة لدراسة الحديث النبوي .

ويقترن تاريخ هذه الدار بحادث له خطره في تطور الدعوة الإسلامية من السر الى العلن ، ومن الضعف الى القوة ، فهذا عمر بن الخطاب قد اعتزم أمراً يهوى به ذلك الصراع المستعبر بين محمد وقريش ، إنه يحمل سيفه ويغدو على محمد في دار الأرقم ليقتله ، ويريح قريشاً

منه ومن دعوته تلك التي يلحد بها في دينهم ، ويعيب آلهتهم ، ويسفه
أحلامهم ...

ثم هاهو ذا يلقى نعيم بن عبد الله ، فيطلعه على وجهته ، فيقول له نعيم :
— والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر !! أترى بنى عبد مناف
تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا ؟ أولا ترجع الى أهل بيتك
وتقيم أمرهم !!

— وعلم عمر من صاحبه بالقارعة !!

إن أخته فاطمة ، وزوجها سعيد بن زيد قد آمنا بمحمد !!
واقبل عمر راجعا وصدرة بغلى ثورة وغضبا على أخته وزوجها ،
وتراعى الى سمعه وهو يخطو نحو الباب صوت قارى* يقرأ القرآن ...
فلما أحسوا وقع قدميه ، اختفى القارى* ، وأخفت فاطمة الصحيفة .
وقال عمر غاضبا والشرر يتطاير من عينيه :

— ما هذه الهيئمة التي سمعت ؟

لقد علمت أنكما تابعتما محمدا على دينه !!

. ثم بطش بسعيد وشج أخته ، فثارا به وقالوا في تحد وإصرار :
— « نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله ، فاصنع ما بدالك ... »
وثاب عمر قليلا ، ثم طلب من أخته الصحيفة فأبتها عليه ، ثم أعطتها
له بعد إلحاح ، وقرأ عمر ما فيها فاذا هو مأخوذ بما تضمنته من روعة
وجلال !!

وتبدلت نفس عمر ونظراته شيئاً آخر ، ثم لم يلبث أن غادر الدار
وقد اعتزم أمراً آخر غير ذلك الأمر الذى كان قد اعتزمه منذ قليل . .
هاهو ذا يبلغ دار الأرقم فيطرق بابها ، فيقوم رجل فينظر من
خلل الباب ثم يعود فى فزع واضطراب وهو يقول :

— هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف !!!

قال حمزة بن عبد المطلب يخاطب الرسول :

— فأذن له إغان كان جاء يريد خيراً بذلناه له ، وإن كان يريد
شراً قتلناه بسيفه . . .

وأذن الرسول ففتح الباب ، وها هو الرسول يأخذ عمر بجميع
ردائه ويجهذه بقوة وهو يقول :

— ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟

والله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة !!!

ولكن عمر الجلد القوى يخشع فى يد الرسول ويقول :

يا رسول الله ، جئتكم لأومن بالله وبرسوله ، وبما جاء من عند الله !!

■

قال صاحبى :

إنك قد زرت كثيراً من المشاهد التاريخية ، بما لا يتصل بشعائر
الحج فى كثير ولا قليل ، ومع ذلك أراك قصرت فى أداء إحدى سنن
الحج ، وكان أجدر بك ألا تفعل . . .

قلت : وما داك ؟

قال : تقبيل الحجر الأسود . . .

قلت : لأنى لم أقصر فى أداء هذه السنة ، فقد كنت أشير إلى الحجر الأسود بىدى مكبراً حين أحاذيه فى الطواف .

قال : ولماذا لا تقبله أسوة بالرسول ؟

قلت : أولاً ترى هذا التزامم الشديداً على تقبيله ، وهذا الشرطى القائم على سور الكعبة بمقرعته ، يصد ذلك التيار المتدفق ويحاول تنظيم موجاته المتدافعة فلا يكاد !!

قال : فلتحاول حين تهدأ موجة الطواف . . .

قلت : نعم ، ورحم الله ابن الخطاب إذ يقول : لأنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك !!

قال : ولكن ألا تدرى الحكمة من تقبيل الحجر الأسود ؟

قلت : إن الحكمة فى كثير من الأمور والتعبدية ، قد لا تكون واضحة المعنى ، محدودة المعالم . وحسبها أن فيها معنى الخضوع والامتثال لما أمر الله به ، أو الناسى بما فعله الرسول الذى لا ينطق عن الهوى . . .

قال : إنه لكذلك ، وإن للأستاذ محمد رشيد رضا صاحب « المنار » رأياً فى ذلك هو أذن إلى العقل لمن أراد أن يزن الأمر بميزانه ، إنه يرى قيمة الحجر الأسود فى أنه العلامة الظاهرة المميزة بلونها المغاير للبناء ، والتي يبدأ منها الطواف حول الكعبة . كما يرى أن هذا الحجر هو الأثر

الوحيد في بناء الكعبة الذي يمكن القطع بأنه الاثر الباقي من عهد
إبراهيم ، لم يدركه البسلي أو تبدله يد العماره على اختلاف
الاحداث والعصور ...

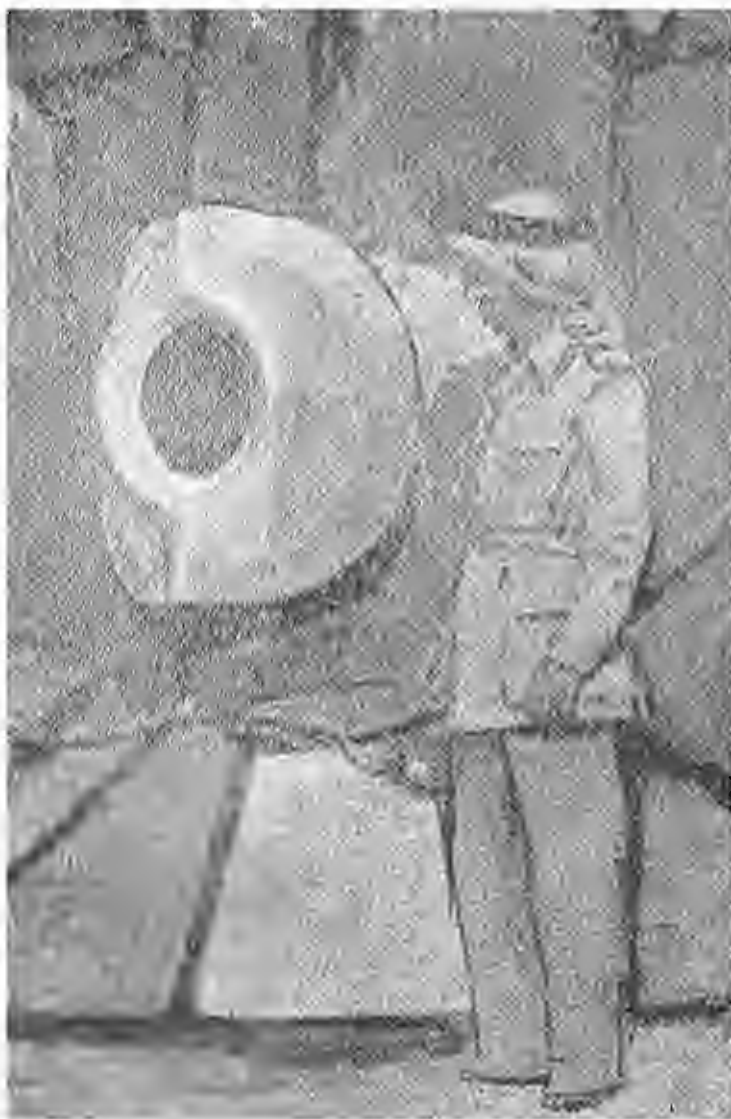
ثم هو على وذاك جدير بالاحترام لانه من بيت الله ، والشاهد
الواحد الذي يهتدى به الحجاج في أداء شعيرة الطواف ...

... وانتظرت حتى هدأت موجة الطواف في المربع الاخير
من الليل ، ثم أقحمت نفسي في صف متدافع من الحجاج حتى بلغت
الحجر الاسود ، فأدخلت رأسي في طاقته التي برتها قبلات الملايين بعد
الملايين على مر السنين والاحقاب ، وقبلته وأنا أردد قول ابن الخطاب !
وتدافع من ورائي جماعة فدفع أحدهم رأس صاحبه بعنف في هذه
الطاقة وهو يصيح في نشوة ولهفة : حج ! حج !

وبظرت فاذا رجل يسيل وجهه بالدماء ، وهو في غمرة البهجة
والسرور ... وكذلك فعل أصحابه واحداً بعد الآخر ...

إن الحج عند هؤلاء لا تتم مناسكته ، ولا يكون مقبولا عند الله ،
إلا إذا أريقت هذه الدماء الزكية على الحجر الاسود !

وحمدت الله أن لم يكن موضعي في تقييل الحجر الاسود بين جماعة
من هؤلاء .. وتمنيت لو أن عمر بن الخطاب هو ذلك القائم على سسور
الكعبة ، لا يضرب بدرته هذه الرءوس ولكن يضرب بسيفه الاعناق !!



وانتظرت بالمسجد حتى أديت صلاة الفجر ، ثم عدت إلى الفندق لاستريح وأتأهب لصلاة الجمعة ، فقد كان ينبغي أن أعود إلى المسجد قبل موعد الصلاة لساعات ، حتى أستطيع أن أدرك مكاناً في الظل آوى إليه . . .

ولكن هيات ، فقد عدت إلى المسجد قبل موعد الصلاة بثلاث ساعات ، فإذا جميع الأماكن المظلمة غاصة بالناس ، واستطعت بعد جهد أن أجد مكاناً على الحصباء بين الظل والحرور . . .

وأخذت أتلى في كتاب الله ، وأنا أحس الصفوف المظلمة تمتلئ وتنفج جنباتها كجسم يوشك أن تنهطم أضلأته ، إن أحداً لا يستطيع أن يتقدم خطوة فيلبس قدمه فناء المسجد الكبير لشدة وقدة الحصباء ، فضلاً عن أن يجلس هناك تحت الشمس المحرقة ساعات في انتظار موعد الصلاة . .

ولا تسلم عما حدث وقتئذ من ضيق وتبرم بين المصلين ، ولا أقول من تدافع وتنازع وملاحاة . .

ولكن هذه الصورة المؤذية من سوء الخلق عند البعض ، كانت تقابلها صورة جميلة من البعض الآخر ، لا تقتصر على التعاون والايثار والحلم وأدب الخطاب ، بل إن منهم من كان يقوم بين المصلين فيروح عليهم بروحته أو طرف ردايته ، فيرد عليهم أنفاسهم المختنقة ، ويرفقه عنهم بعض ما يعانون من وطأة الحر والزحام .

وكننت في ذلك اليوم قد أخذت زيمتى ، وارتديت جلباباً أبيض جميلاً ، افتن في نظافته وتسويته السكواء ، ولهذا كننت ضيق الصدر

بما أصابني في هذا الزحام وأصاب جلبابي من لئذاء وتشويه ...
 انها بقية من شعور المدنى الأنيق ، يحالطها شعور مما يجب أن يكون
 عليه المصلون من آداب الجماعة التى حرص القرآن على أن يذهبها
 فى النفوس إذ يقول :

— يَا بَنَى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ،

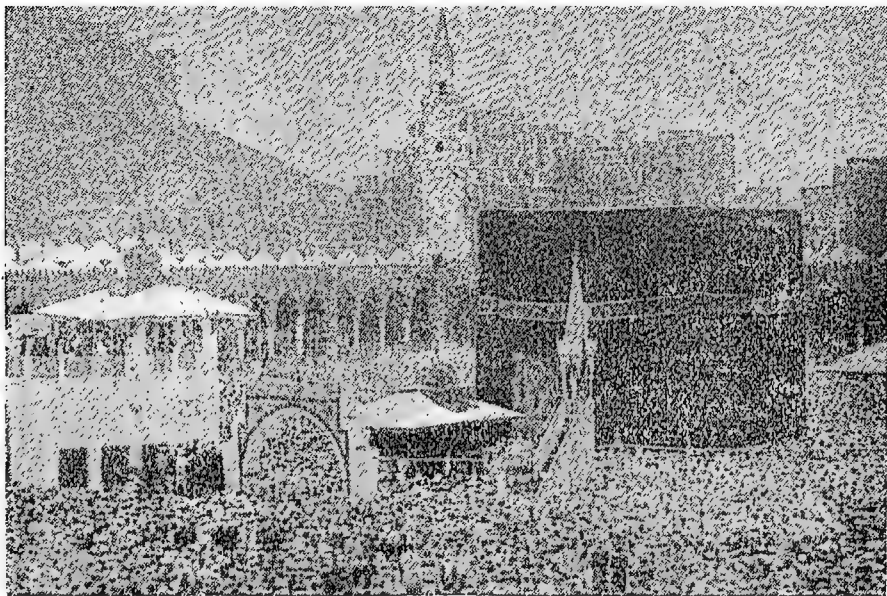
والتي كره الرسول من أجملها أن يؤدى الرجل صلاة الجمعة فى ثوب
 عمله الملوث بأدران العمل ، أو يدخل الصلاة وقد أكل من الطعام
 ما لا تطيب رائحته ...

وزاد فى شعورى بالضيق والأذى ، أن انحشر إلى جانب أعرابي
 ينضح جسمه بالعرق ، وقد تباكأ كأعلى قدمغ جلبابي الأبيض بألوان
 شتى من عرقه المحتلط بالأفذار ١١

وثارت نفسى ، وضاق صدرى أيما ضيق ، وشغلت عن
 تلاوة القرآن ولاستغراق فى العبادة ، بهواجس شتى كادت تفسد على
 ما كنت فيه من عبادة وبحوى ، وما أنا مقبل عليه من صلاة ، وأطلت
 من عيني نظرات السخط واللعنة على هذا الأعرابي الجلف الذى أكرثنى
 بجواره الكبريه .

ولكن سرعان ما انتفضت نفسى من هذه الهواجس الثائرة وتلك
 الوسوس الجمقاء ، حين تذكرت قول الرسول — عليه الصلاة والسلام :

— رَبِّ اشْعَثْ اغْبِرْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَرَهُ ،



... وكان كلما قرب موعد الصلاة ، واشتد ضغط الوافدين امتدت الصفوف نحو الكعبة على الحصبة الملهمة وتحت أشعة الشمس التي تصهر الحديد ، حتى قامت الصلاة .

أى إيمان هذا الذى يدفع بالمصلين إلى موقفهم هذا ، فيستهيئون بلذع النار من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولا يحسون إلا أنهم بين يد الله ، وفي بيته العتيق ، يؤدون صلاتهم الجامعة في طاعة وصبر وإقبال ، ويضرعون إليه وهم في وقدة الحر الجامعة ، أن يجعلها كفارة للذنوب . . وأماناً من عذاب جهنم ونار السموم !!

ولكن رحماك يارب !

لماذا كل هذا العناء والشقاء !؟

لماذا يرهق المصلون هذا العسر والبلاء ، وقد تقارف خواطرهم في هذا الموقف ما يحبط الاجر ويفسد الوجدان ...

ولماذا لا يقام على المسجد الحرام ، وليسكن مما يلي المطاف سُقف تتدلى منها المراوح الكهربائية وقاية للمصلين من وقدة الشمس وحرها الشديد . .

على أن هذا السؤال لم يطل العهد به ، ولن يطول . . ذلك لأن مشروع توسعة الحرم الذي بدأ في العام الماضي ، سوف يوفر للمصلين كل أسباب السعة والظل وتكييف الهواء .

٧

ثم تأهبنا لمخادرة مكة فطفت بالكعبة طواف الوداع .

يا للموقف الرائع الرهيب !

أشهد أنني لم أشعر باللوعة تلذع قلبي وتهز مشاعري ، وأنا أودع أهلي وولدي في إسنا وحلوان ، كما شعرت بهذه اللوعة الحارقة الطاغية وأنا في موقفى هذا أودع الكعبة وأغادر المسجد الحرام ...

لقد عشت تلك الايام القليلة في مهبط الوحي ، ومشرق النبوة ، ومسرح الذكريات الحية الخالدة ، ومشاعر التجرد والانطلاق في تلك الأجواء الروحية الصافية ، فإذا أنا خلق آخر يدور في فلك بعيد جذبته

أسراره ، وغمرته أنواره ؛ فلا يطبق الإفلات من أسر هذه الجاذبية
الحبيبة ، ولا تطيب نفسه بالانسلاخ عن تلك الهالات والأنوار ...

ولقد تهمنى بالمبالغة في التصوير ، والإغراق في الوصف ، وأنا أصور
لك هذه الحقيقة الوجدانية وأصف تأثيرها على حواسي جميعاً ، ولكن
دونك ما يحملك على أن تهمنى بما هو أكبر من المبالغة والإغراق .

أقسم لقد سلختني هذه الحقيقة الوجدانية التي عشت فيها ما أقمت
بمسكة ، عن أخص مشاعر البشرية ، فإذا أنا قد نسيت أهلي وولدي
وكأن صورهم وذكرياتهم قد انمحت من عقلي وقلبي جميعاً ، فلا أكاد
أذكر منهم أحداً إلا حين يجلس رفيق فيكتب رسالة إلى أهله .

وأقسم لقد كنت وأنا أجلس بجانبه أكتب مثل رسالته ، أحاول
أن أستعيد في تخيلتي صور أولئك الأهل والولد ، فلا أكاد أتبين ملامحهم
إلا بعد جهد يعتصر الذهن والخيال !

حقيقة وجدانية واعية ، وليست اختلاطاً في العقل أو مساً في الشعور !
ودونك صورة أخرى قد تكون أقل من هذه الصورة غرابة وعجبا ؛
لأنني تبينته أنه يشاركني في الإحساس بها الكثيرون .

كنا حين يجلس لبعض الحديث أو السمر ، يعن لأحدنا أن يسأل :
— ما اليوم ؟

فيجيب أحدهما إنه الأحد . ويقول آخر : إنه الثلاثاء !

أو يسأل سائل : في أي يوم نحن من سبتمبر ؟

فيقول أحدهما : إنه اليوم الخامس . ويقول آخر : بل اليوم العاشر !

ويختلف الرأى ويشتد النقاش ، فلا نكاد نتفق إلا حين يخرج أحدا
مفكرته فيخرجنا من هذا الخلط العجيب !

انسلاخ مطلق عن فلك هذه الحياة إلى ذلك الفلك البعيد ، الذى
جذبنا أسرارهِ وغمرتنا أنواره ...

وما حاجتنا هنالك إلى مواقيت الناس تلك التى ترتبط بها حياتهم الرتيبة
المتراكمة ، ونحن لا نعيش إلا فى أيام معلومات هى اليوم التاسع من ذى
الحجة أيا كان اسمه حيث الوقوف بعرفة ، وما يليه فى منى من أيام التشريق
وكيف نستطيع أن ندخل هذه الايام الأربعة وما حولها فى حساب
الزمن ومقاييسه ، وإن الدقائق فيها واللحظات لتمتد وتوسع وتعمق حتى
لكأننا الاحياء السابحة فيما يشبه المحيط من المشاعر والاحاسيس !

قل ما شئت عن هذا التصوير لتلك الحقيقة الوجدانية ...
قل إنه « شطحة » من شطحات التصوف . أو وثبة من وثبات
الخيال البعيد ...

أو لوثنة من اختلاط العقل واضطراب الشعور ...
أما أنا فأسجلها حقيقة وجدانية واعية ، لا أكلف نفسى تعليلها ولا
يردنى عن الجهر بها ما قد تثيره من دهشة وإنكار ..

إلى رآرا الهجرة..

١

وانطلقت بنا السيارة إلى جدة بعد الغروب ، وكأنها تحمل أجساداً
انخلعت عن قلوبها وأرواحها المتعلقة هنالك بأستار السكبة !
ولكن طائفاً من الذشوة والسرور رد إلينا هذه القلوب المنخلعة
وتلك الأرواح الهائمة ، فإذا هى تتواثب بنا فى غبطة واشتياق ،
تسكاد تسبق السيارة فى انطلاقها البعيد ...

ألشنا نغادر مكة فى طريقنا إلى مدينة الرسول ١٩

وتناولنا العشاء فى فندق البساتين بجدة ، ثم تزودنا بشى من الطعام
والماء المشلىح ، وبدأنا رحلتنا قبيل منتصف الليل ، وكان الجو منعشاً
تغمره أنسام البحر الرطبة الباردة ، بساما تتراقص فيه أشعة القمر
الفضية الخالمة . وقد بدت الصجرا عن يمين وشمال ، وعلى مد البصر
البعيد ، طروبة مزهوة بتلك المواكب الراكبة والراجلة ، والى تسرى
فى دوربها آمنة مطمئنة ، يحدوها الشوق إلى زيارة مسجد النبى
ومقامه الشريف ...

وتمثلت فى مسراى هذا فوافل الحجاج منذ عشرات السنين ،

وهي تنساب على ظهور الابل فتبدد وحشة الليل ورهبة الصحراء
بالأهازيج والأغاريد، لأنها مواكب أفراس قدسية تغمر القلوب بفيض
زاخر من الأشواق والمشاعر الجميلة، وتعمر الصحراء بمشاهد الأسرار
والبهجة والانتشاء...

وتتمثل إلى جانب هذه الصورة الباسمة الجميلة، صوراً أخرى لما كان
يخامر النفوس من القلق والحذر والإشفاق، وما كان يصيدها من غوائل
الغدر والعدوان...

قلت: لأن حرمنا العهد الجديد بمواكب السيارات المتدفقة في
عجلة واندفاع لا تلوى على شيء، الاستمتاع بتلك الصور الجميلة
الخافقة بألوان النشوة وأصداء الأهازيج والأغاريد، لقد عوضنا عن
ذلك أمناء تغمر ظلاله الأرحاء، وتسيطر روحه حتى على مفاز
الصحراء، وإنك لتجد الرجل يدب في سمره الموحش البعيد وحيداً
أعزل، لا يخشى إلا الله والذئب!

على أن السيارة لم تسكن تمنحني هنا في طريقها المعيد ونحن نتمثل
هذه الذكريات، حتى أدرنا جهاز الإذاعة فإذا بما نعيش جأة في جو تلك
الأفراس القدسية التي تغمر القلب بفيض زاخر من الأشواق والمشاعر
العلوية الجميلة...

هذه أم كلثوم تحيي ليلتنا هذه في مطلع الرحلة المباركة، بأشودتها
الروحية الخالدة:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وتشاء!

لقد كانت تحية السماء تبارك بها خطواتها المشوقة الهائلة ، أرسلتها
على لهاة معجزة الفن أم كلثوم ، وأنطلقت تردددها معجزة العلم في
بطون الأودية ومعارج الجبال ...

وشتان بين ما تثيره هذه الانشودة الرائعة من الذنوة والطرب
وأنت تستمع إليها في الندى الخافل أو في مخدعك الوثير ، وما تثيره في
أعماق روحك من هذه المشاعر وأنت في مسراك المنطلق بين الأودية
والوهاد ، إلى حيث يرقد الرسول في مشواء الحبيب !!

وكنا نؤثر السير دائماً بالليل ، تجنبنا حرارة الشمس التي تلهب
الاجسام وتسكاد أن تصهر جهاز السيارة . ثم نأوى بالهار إلى مقهى
من تلك المقاهي المنتشرة على طول الطريق ، نفي إلى الظل ، ونصيب
عسطا من النوم والراحة ، ونلتمس شيئا من الطعام والشراب .

وقد أعدت في هذه المقاهي مقاعد كبيرة ذات قوائم مرتفعة ،
شدت بالليف أو الخوص ، يستخدمها الرواد للنوم والجلوس .

وفي أحد هذه المقاهي بالقرب من « راغ » وهي البلدة التي تعتبر
مقات الإحرام للحجاج مصر وشمال أفريقيا ، شهدت منظراً آذى
شعورى وأثار حنقى ، لأنه يصور الاستغلال على أبشع صورة
وأحط أسلوب ...

كان المقهى يضيق بالرواد الذين لاذوا بظله يستريحون ويترددون ،
وكان على مقربة منى شيخ تركى ما إن فرغ من شرابه ونقده الغلام الثمن ،

حتى طلب إليه الغلام في غلظة وفطاطة أن يعادر المسكن ..
وقال الشيخ في عربية ركيكة تخالطها بعض الانفاظ التركية
ما معناه :

— ألسنت قد طلبت شراباً وأديت الثمن ؟

قال الغلام وهو يجذب الشيخ من كتفه :

— بلى ، دفعت ثمن الشراب ، ولكنك لم تدفع ثمن الظل !!

أنه يريد أن يتقاضى الشيخ نصف ريال إذا أراد أن يبقى بعد اللحظة
الآخيرة ، وإلا كان عليه أن يعادر الظل إلى جحيم الصحراء ...

وإني أبحل هذه الصورة المثيرة ، التي يتعرض الحجاج وخاصة
من غير البلاد العربية لكثير مثلها على ألوان أخرى ، لأخذ الحكومة
السعودية بالشدة والحزم أولئك الذين ماتت صمائهم وضربت نفوسهم
فهم يتألون أضياف الله بالشراسة والأذى ، ويصدون بهذه الضراوة
والشراسة عن بيمة الحرام .

٢

وكان الطريق في بدايته ممهداً مرصوفاً إلى مسافة لا تتجاوز
الخمسين من السكيلومترات ، هي التي أتمت الشركة المختصة رصفها حتى
ذلك الوقت ، في مدة عام ونصف العام ، وكان مقرر أن ينتهي
رصف الطريق كله - ويبلغ طوله نحو أربعائة كيلومتر - في
أربعة أعوام !!

ذلك لأن الشركة توقفت عن العمل بحجة ثمن ارتفاع القار من ثمانية جنيهات للطن الواحد إلى ثمانية وعشرين . ونظراً لتوقف استيراد هذه المادة من معامل الزيت في إيران . . وقد وكلت الحكومة لإتمام هذا المشروع إلى مديرية الإنشاء والتعمير فقامت به على خير وجه ، وأتمته في فترة وجيزة ، وصار هذا الطريق كله مرصوفاً تقطعه السيارة من جدة إلى المدينة في نحو ست ساعات .

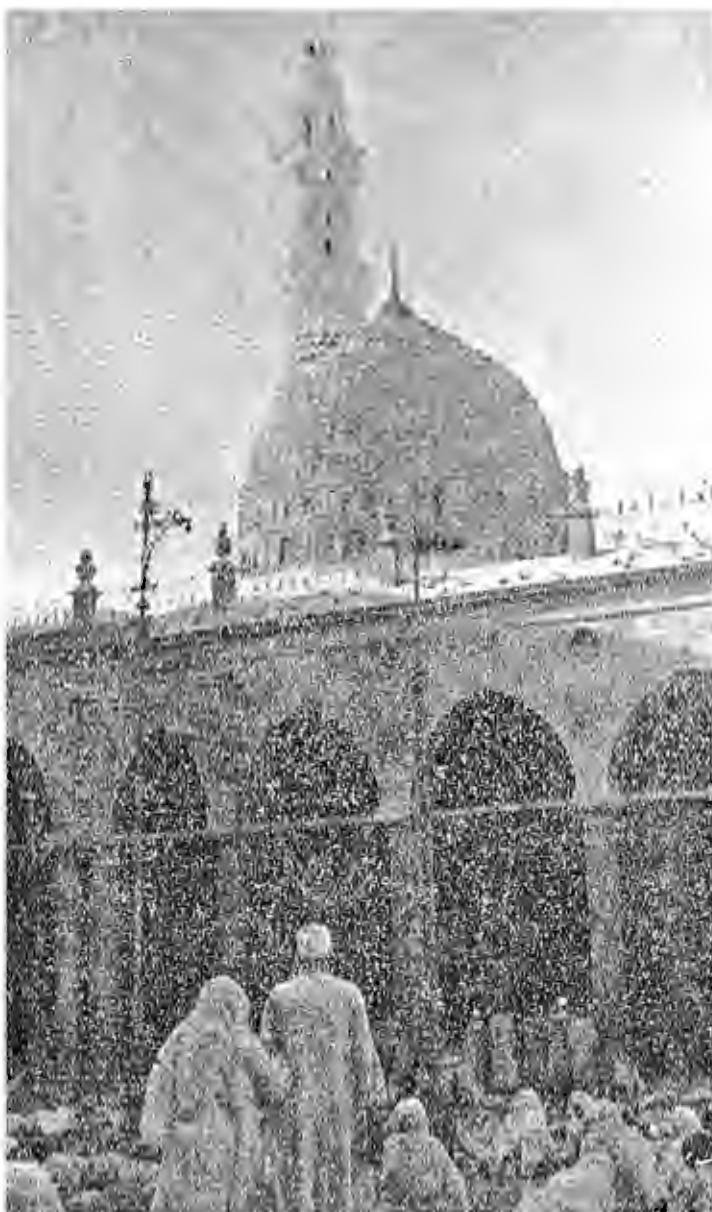
وتبسم الفجر من وراء الجبال الشاهقة فيما يلي قرية « مسيجيد » وهي إحدى المحاط القائمة على طريق المدينة ، وأوفرها استعداداً وراحة . وبينها وبين المدينة نحو خمسة وسبعين كيلو متراً وكلها أوغلت السيارة في طريقها انفرج الوادي وأخذ ضوء الشمس يمتد في الأفق ، ثم يغمر السهول الواسعة التي تراءت لما خلاها أشجار النخيل والزروع والأعشاب

٢٣

ثم ها نحن أولاء على قاد أميال من مدينة الرسول تطالعنا ضواحيها باسمه ريانة ، وهاهي قلوبها تخفق بالشوق والحنين ، وماقمنا تسيل بدموع الفرح والاشفاق ...

ثم ها هي المدينة المنورة تبدو من بعيد ، فتنتطق الالسنة بالصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين .

وتنتطق السيارة فترتقي بنا طريقها وعراً بين الصخور البركانية ، إنها « الحرة » التي تشرف على المدينة من الجنوب ، ثم تنحدر بنا فإذا نحن في المدينة يغمرنا جوها الباسم وأنفاسها العطرة ، وقد تطلعت قلوبنا نحو منائر الحرم وقبته الخضراء .



وأحسبنا بكثير من الحرج والحياء ونحن محترق بالسيارة طرقات
المدينة فما كان ينبغي أن ندخلها إلا راجلين .

وتذكرت الامام مالكا وقد كان - رضى الله عنه - لا يركب
بالمدينة دابة قط ، وكان يقول

- أخشى أن يقع حافرهما على محل مشى فيه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم !!

وقصدنا إلى فندق التيسير فخططنا رحالنا ، ثم أخذنا زينتنا تأهباً
لزيارة المسجد النبوى والتشرف بالسلام على صاحب الرسالة فى مقامه العظيم
وكانت خطواتنا إلى المسجد خفيفة الوطء خاشعة الحركة ، فعلى هذه
الارض سارت أقدام الرسول وصحبه من المهاجرين والانصار ، وإلى
أكاد لاحس هذه الارض تدهق فتنبعث منها أطياف الذكريات البعيدة ،
فإذا د طيبة ، فى يوم عيد بهيج وقد انتفضت عن رجالها ونساءها وأطفالها ،
فى مواكب تموج بقعة السلاح وأغاريد الفرح ونشوة النصر ، وهى تحف
بمحمد على ناقته د القصواء ، وقد أردف خلفه أبا بكر وأرخى لناقته الزمام ،
فكان لا يمر بدار من دورها إلا صاح أهلها وهم يتعلقون بحطام الناقة :

- يارسول الله : هلم إلى القوة والمنعة ، والعز والثروة ، والعدد والعدة
فيقول : خيراً ، بارك الله عليكم ، خلوا سبيل الناقة فإنها مأمورة .

وظللت أتابع خطاى فى طريقى إلى المسجد وأنا أقول : د بسم
الله لا قوة إلا بالله ، رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج



باب السلام . . . في الحرم النبوي

صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً . حسبي الله ، آمنت بالله ،
توكلت على الله .

ذلك من آداب الزيارة - كما يقول الرسول - وإني لأطمع إذ
أتأسى به في هذا المقام أن يتغمدنى الله بفضلِهِ فيكلى سبعين ألف ملك
يستغفرون لى . وأن يُقبل على - سبحانه - بوجهه الكريم .

حتى إذا ولجت باب المسجد النبوى ، وفقت أستجمع مشاعرى
وأمسك أنفاسى وأنا أتأهب لمواجهة أنوار النبوة التى أصابها الخافقان ،
منبعثة من جثمان طاهر يحتويه هذا المقام .

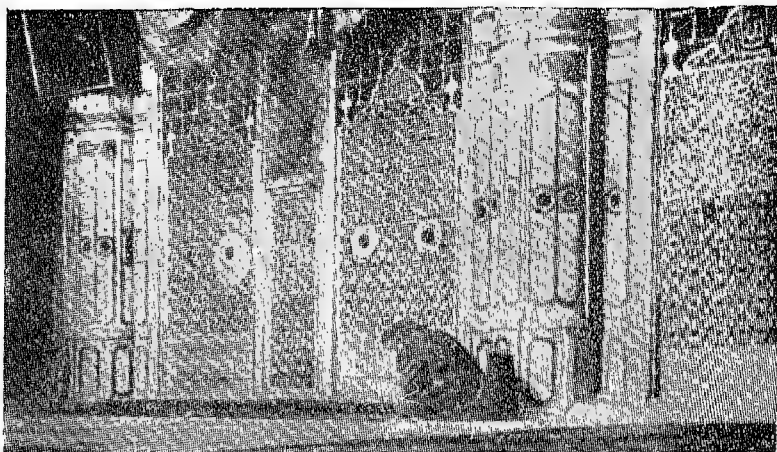
ودخلت المسجد فأديت الصلاة فى الروضة الشريفة ، وتذوقت فى
صلاتى هذه بين يدي الحى القيوم الذى تعنو لعظمته الوجوه ، أسرار
قوله صلى الله عليه وسلم :

— « ما بين بلى ومنبرى روضة من رياض الجنة » .

ثم أقبلت على المقام فى شوق طاغ وقلب مشبوب ، إنه مقام الحب
والرحمة والهداية والنور ، فما استفتحت بالسلام حتى عرّتنى هزة عمّدت
لسانى عن القول وأطلقت مآقئ بالدموع .

أى لسان يستطيع أن يفصح فى هذا المقام ، وأى بيان يستطيع
أن يبين !

وعدت أستجمع مشاعرى وأمسك أنفاسى وأنا أواجه أنوار النبوة
التي أضاء بها الخافقان ، منبعثة من جثمان طاهر يحتويه هذا المقام . . .



ثم توجهت اليه أحبيبه وأناجيهِ :

— السلام عليك يا نبي الله !!

السلام عليك يا حبيب الله !!

السلام عليك يا صفوة خالق الله ...

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا معبود بحق
سواه ، وأشهد أنك عبده ورسوله ، بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ،
ونصحت الأمة ، وجاهدت في سبيل الله ...

ثم خطوت الى الدين أواجه صاحبيهِ أبا بكر وعمر ، وهما ينعمان
بجوار الرسول في مثواه ، كما نعما بصحبته في السراء والضراء في دنياه ،
فألهميت التحية ، وذكرت موافقهما الخالدة في تأييد دعوة الله ، وبلائهما

الصادق في نصره رسوله ، ثم دعوت لهما بماهما أهله من حسن المشوبة .
وعظيم الجزاء . . .

٤

وتقع الحجرة النبوية في ركن المسجد الى الجنوب الشرقي منه ، ولم
تكن بادي الامر في نطاق المسجد ، وإنما أدخلت فيه أواخر القرن
الاول للهجرة . وشتان ما بين المسجد النبوي في عمارته الحالية وما كان
عليه في عهد الرسول . . .

حين قدم الرسول الى المدينة ، كان أول ما شغل به إقامة مسجده
هذا ، وكان يعمل فيه بيده ، حتى لكبار أصحابه على المشاركة في البناء ،
وفي هذا الميدان كانت تتوالى صور مختلفة ، بعضها يثير الإعجاب ، وبعضها
يثير الأسفاق ، وبعضها يثير غير قليل من الضحك والفكاهة ..

فهاهم أولاء سواد المسلمين يتسابقون في عجن الطين ، وإعداد اللبن ،
وحملها الى البنائين . أما كبارهم فينظرون من بعيد ، وهم يتحافون نشر
الطين وذرات الغبار !!

وهاهو ذا محمد يعمل مع أولئك السواد ، فينقل اللبن الى البناء ،
فيعترضه أحدهم يريد أن يحمل عنه فيقول له الرسول :

— اذهب نخذ غيرها ، فلست بأفقر الى الله مني !

ويثير هذا المنظر كبار الصحابة ، فيهبون للمشاركة في العمل وهم
يرتجزون :

لَسَّ قَعْدَنَا وَالنَّبِيَّ يَعْمَلُ
ذَلِكَ إِذَنْ لِّلْعَمَلِ الْمُضَلِّلِ

ويتقدم عثمان بن عفان ، وهو الثرى الوجيه المتوفى وقد استجيا أن
يألف من عمل يؤديه الرسول ؛ فيحمل اللبنة إلى البناء ، ولكنه يجاى
ها عن ثوبه ، فإذا وضعها نفض كفه وما يكون قد أصاب ثوبه
من التراب ...

وهذا على بن أبي طالب يعمل ويرتجز ، معرضاً بأولئك الذين
لا تطيب نفوسهم بأن تغبر جسومهم وأثوابهم في سبيل الله ، فيقول :

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَا
يَدَابُ فِيمَا قَائِمًا وَقَاعِدًا
وَمَنْ يَرَى عَنِ التَّرَابِ حَائِدًا

ثم هاهو عمار بن ياسر يدخل وقد أثقلوه بالبن ، فيقول :

— يا رسول الله ، قتلوني ... يحملون على ما لا يحملون !!
فيمنفض محمد عنه التراب بيديه وهو يقول :

« ويح ابن سمية ، ليسوا بالذين يقتلونك ، إنما تقتلك الفئة
الباغية (١) ... »

(١) قتل عمار بن ياسر في موقعة « صفين » التي كانت بين علي ومعاوية .
ويومئذ دخل عمرو بن العاص على معاوية فزعاً وهو يقول : قتلنا هذا الرجل وقد
قال فيه رسول الله — صلى الله عليه عليه وسلم — ما قال !! فأجابه معاوية : اسكت
أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من أخرجه .

فيعود عمار إلى عمله طيب النفس ، وهو يردد تلك الأرجوزة
التي يرددها على بن أبي طالب :

لا يسنوى من يعمر المساجدا
يدأب فيهما قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

فيسمعه عثمان فيظن أنه يعرض به ، فيذفض غضبا ويقول وهو
يلوح بعصاه :

— قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية ، والله إنى لأراني
سأعرض هذه العصا لأنفك !!

وتبلغ هذه المقالة رسول الله فيغضب ويقول :
— « ما لهم ولعمار ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار !! »



وقام المسجد إذ ذاك جدرا به من اللبن ، وأعمدته من جذوع النخل ،
وسقفه من الجريد ...

ولكنه كان على بساطة تلك ، آية الآيات في روحه وفيمن يضم من
أئمة الهدى وأعلام الجهاد ...

كان داراً لعبادة الله ، أروع وأخلص ما تكون العبادة !!
وكان منارا للعلم والحكمة ، ومنبعاً للهدايا والنور . .

وكان مجمعا للشورى في سياسة الامة واقامة دعائم الاسلام ..
وكان ملاذا لاهل الصفة من العجزة والفقراء ، يجدون فيه الكمال
والرعاية التي فرضها الله .

وكان ثكنة لاعداد خطط الحرب ، ونفاز كتائب الجهاد .
كان المسجد النبوى كذلك ، وأكثر من ذلك وهو في بساطته تلك...

أما الآن ، فما أبعد الفرق بين الحالتين !

لقد تطورت عمارته فلم تعد جدرانها من اللبن ، وأعمدته من جذوع
النخل ، وسقفه من الجريد ؛ وإنما صارت عمارة ضخمة رائعة تنهر الأبصار
بعمدها الرخامية الموشاة بالذهب ، وسقفها العالية التي تتدلى منها الثريات
والمراوح الكهربائية ، وجدرانها السامقة المحلاة بالنقوش وروائع
الفنون ، وفرشها الثمينة من الطنافس والسجاجيد ..

ولكن أين هذا التطور في العبارة ، مما صار إليه المسجد في روحه
ورسالته ، وأين أمسه الحافل بالماجدين والأتجاد من يومه ، وإن
الآلاف المؤلفة التي تعد عليه من الحجاج لا تقصده بالذات ، ولا تشد
الرحال إليه باعتباره ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال ، وإنما تحضر
إلى المدينة لزيارة قبر النبي الكريم ، ولو لم يكن القبر في المسجد لتبدلت
الوجهة ولتغير الحال !!

وهذه حجرة النبي ، التي دفن فيها بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى ،
فلم تسكن إذ ذاك إلا قبر أمسوى بالأرض ، وكانت منفصلة عن المسجد

فلم تدخل فيه إلا في عهد عمر بن عبد العزيز ، ها هي ذى صارت جزءاً من المسجد ، وقد أقيمت عليها المقاصير المنقوشة بماء الذهب ، وامتلأت في وقت ما بالنفائس والجواهر والتحف ، ومن بينها القناديل الذهبية ، وعقود اللؤلؤ ، والأساور والأقراط ...

نعم ... وقد جاء في كتاب الرحلة الحجازية ، أن هذه النفائس التي اشتملت عليها الحجرة النبوية ، والتي كان السلاطين والولاة يتنافسون في اهدائها لمقام الرسول ، كانت تقدر بسبعة ملايين من الجنيهات ... ما أبعد الفرق بين ماضى المسجد النبوى وحاضره !!

وما أبعد الفرق بين ماضى الحجرة النبوية وحاضرها ...
لأنه الفرق لا بين عمارة وعمارة ، ولكن بين عقلية وأخرى ...

لأنه الفرق بين الإسلام في صورته الأولى ، البسيطة السمحة العملية؛ وبين الإسلام فيما انتهى إليه في العصور المتأخرة ، في صورته المتراكبة المملوكة بالهناويل والأوهام ...

أما تطور فن العمارة ، فأمر لا ينكره الدين ، لأن التطور سنة من سنن الخالق في جميع الكائنات ، وإن تجدد لسنة الله تبديلاً . ولكن الذى ينكره الدين ، وتأباه سنة الله ، هو أن يكون فن العمارة في مسجد الرسول وقبره ، فناً دخيلاً على طبيعة الإسلام ، وأنه يمثل عقليات انحرفت عن حقيقة هذا الدين ، وتأثرت بموارث فنية وشعورية دخيلة ، لافناً يستمد عناصره من الفكرة الإسلامية ، ويمثل عقلية صافية سليمة ، لها ذاتيتها المتصلة بروح الإسلام وإلهامه ...

وليس أدل على هذا من أن معظم الذين أسرفوا في عمارة المسجد والقبر النبوي على هذا الطراز ، وتغالوا في تقديم الهدايا إلى مقام الرسول ، ومن بينها القلائد والأساور والأقراط ، إنما هم من سلاطين الأمم غير العربية وولاتها وأثريائها ، أو بعض الأمم العربية التي ترسب في أعماقها مشاعر دينية ووجدانية قديمة ، انبعثت من جديد في عصور الضعف والانحلال .

ولا أستطيع أن أقتنع بأن ما يسمونه الفن الإسلامي في العمارة ، والذي يتمثل في كثير من المساجد والأضرحة في العواصم الإسلامية ، هو فن يصور طبيعة الإسلام ويدل عليه ، وإنما هو فن يصور طبيعة العصور الإسلامية التي نشأ فيها ؛ وشتان ما بين الفنين ، لأنه شتان ما بين النبعين .

يصور هذا الفارق ما عُبِّر عنه أبان بن عثمان ، وهو في فطرته العربية السمحة النقية ، حين وقف بالمسجد النبوي بعد أن جدد الوليد بن عبد الملك عمارته عما كان عليه في عهد عثمان ، واستقدم لذلك أهل الفن من بلاد الروم ، وأنفق في تجميله وزخرفته ثمانين ألف دينار ...

وقف أبان بن عثمان مع الوليد ، وكان الوليد مرهوا بما أبدع في المسجد والحجرة النبوية من فن وعمارة ، ثم نظر إلى أبان وقال :

— أين بناؤنا من بنائكم ؟

فأجابه أبان قائلا :

— بنينا بناء المساجد وينتشموه بناء الكنائس^(١) . . .

ثم يصور هذا الفارق في تمثل روح الإسلام، وإدراك معاني الهدى المحمدى، ما كان من أمره - صلى الله عليه وسلم - حين تجبى إليه الأموال فيجلس في مسجده لا يقوم إلا وقد فرغ من انفاقها على كل محتاج. ثم هو مع ذلك يقول :

— ولقد أتت على ثلاثون بين يوم وليلة، مالى ولبلال طعام يأكله ذوكبد إلا شيء يواريه إبط بلال . . .

ولماته المجلس ذات يوم، فجاء إليه رجل يسأله فقال له :

— اجلس سيرزقك الله . . .

ثم جاء ثان وثالث . . .

وجاء رجل ومعه أربع أواق فأعطاه إياه وقال :

— يا رسول الله، إن هذه صدقة . . .

فدعا الأول فأعطاه أوقية، ثم دعا الثانى فأعطاه أوقية، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقية. وبقيت الأوقية الرابعة فعرضها للقوم فما فام أحد. فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وقد افترش عباءته، وظل ساهراً لا يطرُق النوم جفنه، فيقوم فيصلى، ثم يرجع إلى فراشه فلا يستطيع النوم، فيعود إلى صلاته، فعل ذلك مرات عدة، حتى ظننت به عائشة أمراً فقالت له :

— يا رسول الله، هل بك شيء ؟

١ - لهذا الحديث بقية عند الكلام على تجديده الحرم النبوى وتوسعته في الرحلتين الثانية والثالثة .

قال : لا

قالت : فجاءك أمر من الله ؟

قال : لا

قالت : إنك صنعت منذ الليلة شيئاً لم تكن تفعله ...

فأخرج الأوقية وقال لها :

— هذه التي فعلت بي ما ترين ... إنني خشيت أن يحدث أمر من أمر الله ولم أمضها !! ،

هذه حال محمد في ليلته تلك ، وقد أرق جفونه وأقضى مضجعه أن يبيت وفي حجرته أوقية من الذهب أو الفضة ، دون أن يؤديها في سبيل الله ...

فكيف به الآن ، ومنذ الأمس القريب أو البعيد ، وهذه حجرته قد تحولت إلى متحف ملوئ بالجواهر والنفائس ، التي قدر ثمنها بسبعة ملايين من الجنيهات ، وإن من بينها القلائد والأساور والأقراط !!

٦

... قال صاحبي :

هل أتاك نبأ العبارة التي أحدثها نور الدين بن زكي في الحجرة النبوية ؟

قلت : نعم ، وخيراً ما فعل ...

وللهذه العبارة قصة تروى ، فقد كان نور الدين مشغولاً بحرب الصليبيين في أواسط القرن السادس للهجرة . وإنه لفي ذات ليلة إذ رأى

فى منامه رؤيا أفرعته ، رأى البى - صلى الله عليه وسلم - يشير الى رجلين أشقرين وهو يقول :

— أبجدنى ، أنقذنى من هذين ١١

رأى هذه الرؤيا ثلاث مرات فى ليلته تلك ، فأرسل فى طلب وزيره جمال الدين الموصل ، وكان معروفاً بالتقوى والصلاح ، وقص عليه رؤياه فقال الوزير : وما قعودك ؛ هذا أمر حدث فى مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليس له غيرك ، فأخرج الآن إلى مدينة الرسول واكنم أمرك .

وما طلعت الشمس حتى كان نور الدين فى طريقه إلى المدينة هو ووزيره ومعهما ألف راحلة ، حتى إذا بلغها بعد مسيرة ستة عشر يوماً قصد إلى المسجد وصلى فى الروضة ثم جلس لا يدرى ما ذا يفعل .

واستدعى أهل المدينة فوزع عليهم ما كانت تحمل القوافل من أموال وأرزاق .

ثم قال :

-- أبقي أحد لم يأخذ حطه ؟

قالوا : لم يبق إلا رجلان من أهل الأندلس صالحان غنيان ، لا يأخذان من أحد شيئاً ويكثران الصدقة على المحاويع .

قال : على بهما .

وجىء بالرجلين فرأى فيهما شهماً من ذينك اللذين رأهما فى المنام ، واسكنهما

كانا في حديثهما مثالا للتعوى والصلاح ، وإن أهل المدينة يشهدون
بأنهما يصومان الدهر ، ويلازمان الصلاة في الروضة ، ويكثران من
زيارة الحجرة النبوية والبقيع وبقية المشاهد الأخرى ، ولا يردان
لسائل حاجة .

على أن ذلك كله لم يبدد ما وقر في نفس نور الدين من وساوس
وشكوك ، فقصداً إلى دارهما قرأ فيهما مالا كثيراً ، وأخذ يجوس خلال
الدار ثم رفع حصيراً في إحدى غرفها فإذا تحنه سرداب يتجه صوب
الحجرة النبوية ١١

واضطربت المدينة حين بلغها النبأ ، والناس بين مصدق ومكذب ،
ولسكن الرجلين - وقد برحهما الضرب - اعترفاً لنور الدين بالسر الخطير...
لقد أوفدهما الصليبيون في زى حجاج المغاربة ، وأمدوهما بأموال
طائلة للاحتيال على سرقة جثمان الرسول ١

فأمر نور الدين فضربت عنقاهما ، ثم عمد إلى الحجرة النبوية فحفر
حولها خندق عظيم حتى بلغ منابع الماء ، ثم صب الرصاص حتى مالا
الخندق وصار منه سور متين لا تنفذ منه يد آثمة ، ولا تنال منه
يد الزمان.

في مسرح الذكريات ..

١

ومهرت ليلى الأولى بالمدينة . وكان الوحي فيها لم ينقطع ونحن
إلى جوار الرسول !

هذه أطياى الذكريات تخفق حولى صاعدة هابطة تصل ما بين
الأرض والسماء ...

وهذه صور الماضى تتواثب أمامى حية نابضة ، فإذا أنا أعيش فى
أعماق التاريخ البعيد ...

وهذا محمد وقد بركت ناقته حيث شاء الله لها أن تبرك ، فطابت بهذا
المنزل نفسه وطابت نفوس الأنصار . وها هو ذا يقيم مسجده وداره ،
ويلحق بهما مأوى لاهل « الضعفة » من الضعفة والفقراء والمعوزين ...
وهامم الأنصار من الأوس والخزرج يستبقون الحفاوة والإيثار
على أروع صورة شهدتها الإنسانية ، فينزلون المهاجرين فى دورهم ،
ويقاسمونهم أموالهم ، بل إن أحدهم تكون له أكثر من زوجة ، فيطلق
أجلهن وآثرهن عنده ليزوجها من أخيه المهاجر فى سبيل الله ! !

وها هو ذا محمد يبارك هذه الرابطة الروحية التي صاغت للبشرية
أروع نماذج الإخاء والتضحية والوفاء ، فيجعل من كل اثنين من
المهاجرين والانصار ، أخوين لهما كل حقوق الأنساب والدماء ...

ثم هاهي ذى « طيبة » تلك البلدة المغمورة الشاوية في قلب الصحراء ،
تشهد ميلاد الإنسانية في تاريخها المشرق الرشيد ، وتسدق منها موجات
الهداية والتور والخير والجمال ، فتبديد غياهب الظلم والظلام ، وتطهر
البشرية من أرجاس العبودية لغير الله ، وتشرع للمجتمع الإنساني تقاليد
خالدة من التكافل والترأحم والعدل والمساواة ...

وانطلق أذان الفجر من مآذن الحرم يشق سكون الليل ويوقظ
قلوبا لا تنام !

وتذكرت « بلالاً » في موقعه ذاك على سطح الحرم ، وقد ارتفع
صوته الجميل بالنكبير والتهليل ، وما خفت هذا الصوت يوماً حتى
وهو يعاني سكرات الموت على رمضاء مكة ، وقد شد وثاقه بالحبال ،
وأقيمت على صدره الخافق بالتوحيد قطع الجبال !

... وأقيمت الصلاة ، فسكأنما كنا نصلى مؤتمنين بالرسول ، وهو
بيننا حاضر بجسمه الطاهر وإن روحه لتغمر المسجد وتعمر القلوب .
وهل في حضرة الرسول يتقدم غيره من إمام ؟ !

٢

ثم انصرفنا مع طلوع الشمس إلى الفندق ، ريثما نتناول بعض
الطعام والشراب ولنلمس قسطاً من الراحة . وعدنا إلى منطقة الحرم

لزيرة بعض المعالم التي تحيط به ، والتي تحمل أرواحاً من تلك الذكريات
البعيدة الخالدة . . .

فهذه دار أبي أيوب الأنصاري ، التي أقام بها الرسول لأول عهده
بالمدينة حتى أتم بناء بيته في المكان الذي يشوي فيه جثمانه الطاهر ،
وهذا أبو أيوب الأنصاري يحدثنا عن ذكرياته فيقول :

— لما نزل عليّ رسول الله — ﷺ — في بيتي ، نزل في
السفل وأنا وأم أيوب في العلو . فقلت له :

— يا نبي الله ، بأبي أنت وأمي ، إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك
وتكون تحتي ، فأظهر أنت فسكن في العلو ونزل نحن فنكون في
السفل . . .

فقال : يا أبا أيوب ، إن أرفق بنا وبين يغشانا أن نكون في سفلى
البيت .

قال أبو أيوب : فكان رسول الله — صلى الله عليه وسلم —
في سفلى ، وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حب لنا فيه ماء ،
فعمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء
تخوفاً أن يقطر على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منه
شيء فيؤذيه !!

هذه هي دار أبي أيوب الأنصاري . . .

ثم ها هي ذى دار أبي بكر ، وها هي ذى دار عثمان !

نعم ، هذه دار عثمان التي شهدت ألجفج صورة لمصرع هذا الإمام
الشهيد ، والتي انبثقت منها الشرارة الأولى التي أشعلت نار الفتنة
الكبرى في تاريخ الإسلام والمسلمين . . .

ثم خرجنا إلى ظاهر المدينة لزيارة « البقيع » ، حيث قبور عشرة
آلاف من الصحابة والشهداء والأئمة وأهل بيت النبوة . أولئك الذين
سقطوا بدمائهم وأرواحهم أروع آيات البطولة والاستشهاد في سبيل الله ،
وأقاموا بتضحياتهم الفذة وإيمانهم العميق دعائم الدين الخنيف . . .

وفي طريقنا إلى البقيع ، مررنا ببعض جوانب السور العظيم الذي
كان يحيط بالمدينة ، فيحميها من عدوان البدو وهجماتهم المتكررة على
أهلها للسلب والنهب . وكان أول من أقام سوراً حول المدينة الملك
عضد الدولة ، ولكن هذا السور لم يبق له أثر الآن . وقام من بعده
جمال الدين الجواد فبنى سوراً آخر . أما السور الحالي فقد أنشأه سليمان
القانوني سنة ٩٤٨ هـ وكان يبلغ طوله أربعة آلاف ذراع ، وأنفق على
إنشائه مائة ألف دينار ذهباً ، عدا ما استخدمه من مواد البناء التي
حملها من مصر ، وآلاف الأراذب من القمح والأرز والفول والشعير
وغيرها من مواد التموين . وقد استغرق بناء هذا السور ثمانية أعوام .
ثم طالعنا البقيع خارج المدينة ، فدخلنا إليه في هيبة وخشوع ،
وقد تذكرت وأنا أخطو في أرضه الطاهرة خطواتي الأولى ، محمداً
وهو يودع يوماً بعد يوم من يستشهد من أصحابه وأنصاره ، ثم وهو
يتردد على هذا المكان بين الفينة والفينة للذكرى والترحم على ساكنيه .

وأذكره حين بدأ به وجعه الذى مات فيه ، يخرج إلى البقيع فى جوف الليل ومعه غلامه أبو مويهبة ، فيقول له :

— يا أبا مويهبة ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع .
حتى إذا وقف بين أظهرهم قال :

— السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنىء لىكم ما أصبحتم فيه عما أصبح
الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة
شر من الأولى !

ثم يقول لغلامه : يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن
الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، نضرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة . . .

قال الغلام : بأبى أنت وأمى ، نأخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد
فيها ثم الجنة !

قال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة !

ها نحن أولاء فى جنة البقيع . . .

على أنك لا تستطيع أن تتبين قبر واحد من أولئك الصحابة
والشهداء والأئمة وأهل البيت ، إلا إذا صاحبك الدليل أو د المزوّر ،
كما يقولون . . .

ذلك لأن جميع هذه القبور قد سويت مبانيها ومعالمها بالارض كما
سويت قبور د المعلاة ، فى مكة . وهو ما عيب على الحكومة السعودية .
وليس فى الامر ما يعيب ، وقد نهى الرسول عن إقامة الاضرحة

والتهاويل فوق القبور ، ولكن كان يجدر أن يظل على كل قبر شاهد يحمل اسم صاحبه للذكرى ، فليس في نشدان الذكرى والترحم على الصحابة والشهداء والأئمة وأهل البيت وغيرهم ، ما يتنافى مع ما أوصى به الرسول وشرعه في زيارة القبور . . .

إن محمداً حين دفن ولده ابراهيم ، هنا في البقيع ، سوى على قبره بيده ثم أعلم عليه بعلامة وقال :

« وانها لا تضر ولا تنفع ، ولكنها تقر عين الحى ، وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه »

فما كان أخرى غلاة « الإخوان » الذين هدموا معالم البقيع ، كما هدموا معالم المعلاة ، أن يقيموا على قبورها علامات كتلك التى أقامها محمد على قبر ابراهيم ، وألا يدعوا هذه القبور التى تضم بين صفائحها الكثيرين من أهل الجنة ، بجملة لا يهتدى إليها الزائر إلا أن يصحبه « المزور » أو الدليل !

. . . وهنا يرقد ذو النورين عثمان بن عفان !

ذلك الخليفة الشهيد ، وأول مهاجر فى الإسلام ، والذى جهز جيش العسرة بألف دينار ، فجعل رسول الله يقرب هذه الدنانير فى حجره ويقول :

— اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض . ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم !
نعم ، ولقد أصاب الناس فى عهد أبى بكر قحط شديد ، فذهبوا إليه وقالوا :

— يا خليفة رسول الله ، إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت ، وقد توقع الناس الهلاك ... فإذا تصنع ؟ .

قال : انصرفوا واصبروا ، فإنى أرجو ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم ...
فلما كان آخر النهار ، وردت الأنبياء بأن عير آل عثمان بن عفان قدمت من الشام وتصبح في المدينة ، فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هي ألف بعير موسوقة برا وزيتا وزبيبا ، فأناخت عند باب عثمان ، فلما جعل أحملها في داره جاء التجار فقال لهم :

— ماتريدون ؟

قالوا : إنك لتعلم ما تريد ... بعنا من هذا الذى وصل إليك ، فإنك تعلم حاجة الناس إليه .

فقال عثمان : حبا وكرامة لكم تريحونى على شراى ؟

قالوا : الدرهم درهمين ! !

قال : أعطيت زيادة على هذا ...

قالوا : أربعة دراهم ...

قال : أعطيت أكثر ! !

قالوا : نربحك خمسة ...

قال : أعطيت أكثر ! !

فقالوا : ما فى المدينة تجار غيرنا ، وما سبقنا أحد إليك ، فن الذى

أعطاك أكثر مما أعطينا ؟

قال : إن الله قد أعطانى بكل درهم عشرة ، فهل عندكم زيادة ؟ !

قالوا : لا ...

قال : فإنى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على
المساكين وفقراء المسلمين ...

نعم ، وإنه لجو الذى وحد المسلمين على القرآن يتلونه بلسان قریش ،
فلا تقبلبل ألسنتهم ويختلف كتابهم ...

والدى امتدت فى عهده موجات الدعوه الإسلامية ، فشملت بحر
الروم وشمالى إفريقيا غربا ، وغمرت أواسط أوروبا وآسيا شمالا ،
ثم بلغت حدود الهند شرقا ، فى فترة قصيرة من الزمان ...

ولكن هذه المآثر المتصلة فى حياة عثمان ، وتلك المفآخر التى قال
الرسول فى إحداها ما قال ، لم تشفع لعثمان فيما أخذ عليه من إيشار بعض
ذوى قرباه بولاية الأمصار ، فاضطغنت عليه القلوب ولم تزل بها بقمية
من سورة الجاهلية ، فنالته سيوفهم غيلة وهو يتلو كتاب الله !!

ثم هاهو قبر الحسن بن على ، الذى أصلح الله به بنى فئتين ، واتقى به
المسلمون اطراد الفتنة فى عهد معاوية ، وبذلك وهب الدولة الإسلامية
فترة استقرار ، تنصرف فيها إلى نشر دعوتها فى الآفاق ...

وهنا يرقد زين العابدين بن الحسين ، الذى شهد وهو فى صغير مأساة
كربلاء الدامية ، وعاش فى جوها الرعب الرهيب ، لأنه ليقبل على
أبيه وقد علم أنهم يخبرون بين التسليم والموت فيقول :

— ألسنا على الحق ؟

فيجيبه الحسين : بلى ، والذى يرجع إليه العباد ...
فيقول الفتى قولته الخالدة :

— يا أبه ، فإذن لانبألى !!

وهذا قبر العباس بن عبدالمطلب ، وقد عرفنا موقفه من الانصار الذين قدموا يدعون محمدا إلى الهجرة ، ولم يكن العباس يومئذ قد أسلم ، ولكنه أراد أن يستوثق لابن أخيه فيما هو مقبل عليه ، وأن يطمئن إلى صدق هؤلاء الانصار في دعوته وحمايته . . .

نعم ، وهو صاحب الفضل والشرف في الجاهلية والإسلام ، أليس صاحب السقاية ، لصيف الله من حجاج بيته الحرام ؟
وهذا قبر الإمام مالك رائد الشريعة الإسلامية . وهنا وهناك قبور جماعة من أهل الفقه والرواية ، منهم عبدالله بن مسعود ، وأبوسعيد الخدرى ، وهذا جدث عبدالرحمن بن عوف الذى استخلفه عمر فى الصلاة بالناس على إثر اغتياله . وذلك جدث سعد بن أبى وقاص الذى دان له النصر فى كل ميدان . . .

حقا ما أحفل البقيع بأولئك الأئمة الاعلام ، الذين ينذر أن يجتمع مثلهم من الأئمة والشهداء فى غير هذا المكان . ولقد أصاب المستشرق الحاج عبدالله برخارت حين قال فى كتابه عن جولاته فى بلاد العرب :
— لقد بلغت المدينة من الغنى برفات القديسين العظماء ما كاد أن يفقد معه كل من هؤلاء جلال العناية بذاته ، على حين تسكن بقية من المدفونين بالبقيع لتجعل لآية مدينة إسلامية أعظم الشهرة !!

٣

وحملتنا السيارة صباح اليوم التالى إلى أحمد ، شمالى المدينة
بعدة أميال . . .

ذلك الجبل الذى شهد أول رجفة فى الإسلام ، تلك الرجفة التى
زلزلت القلوب والأقدام ، واصططعت فيها قوى الإيمان تقذف بها
قلوب المسلمين ، وما تغلى به قلوب المشركين من سورة الحقد
والثأر والانتقام . . .

أى ملحمة هذه التى احتشد لها الفريقان ، وأبلى فيها الجمعان أرواح
البلاء ، وتسابق فى لذكاء نارها وتفجير دماها حتى الحرائر من النساء !!
هاهم المسلمون قد دارت عليهم الدائرة بعد غلبة وانتصار ، فنهاوت
أعناقهم ، وسالت دماؤهم ، وتفرقت صفوفهم ، حتى انكشف الرسول
للعُدو فنالته قذائفهم حتى سقط على الأرض تنزف منه الدماء . . .

وهاهى أم عمار الانصارية تلقى ما كان بيدها من السقاء ، وتستل
سيفا فتقف به إلى جانب الأبطال ، تنافح عن رسول الله وقد تصايح
القوم يطلبون رأسه ، وتثير بموقفهما هذا الرائع حمية المنزمين
من الرجال !!

وفى الجانب الآخر نرى وهنداء زوج أبى سفيان ، تندب قتلى بدر
وتلهب مشاعر قومها بنار الحقد والثأر . فيشتدون فى التقتيل والتثميل .
ولا تطيب نفسها إلا أن تجدد الأنوف والآذان فتتخذ منها القلائد
والأقراط . ثم هاهى ذى تبحر عن جثة حمزة بن عبدالمطلب قاتل أبيها
فى بدر ، فتأبى إلا أن تبقر بطنه وتنزع كبده فتلوكمها بين أنيابها
فى وحشية حرام !!

وهاهى الموقعة تنجلي عن سبعين من الشهداء ومئات من الجرحى ،
قد تناثرت أجسادهم المضرجة بالدماء على سفح أحد وفى بطن الوادى .

وما هو محمد يقف على جثمان عمه حمزة وقد مثل به القوم شر تمثيل ،
فيحولن ويسترحعن في لوعة طاغية وهو يقول :

— إن أصاب بمثلك أبدا ، وماوقفت موقفا قط أغيظ لي من هذا !!
والله لئن أظهرنا الله عليهم يوماً من الدهر لأمثلن بهم مثلة لم يمثلهما أحد
من العرب !

لقد غلب الحزن على رسول الله ، حتى استبدت به المشاعر البشرية
وثارت به حمية الدم فقال ما قال ، حتى إذا نزل عليه قوله تعالى :

— وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ
أَهْوَجَ لِلصَّابِرِينَ ، وَأَصْبِرُوا مَا صَبَرَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ،
وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ،

عندئذ تطامنت نفسه ، وهدأت ثائرته ، واستوت على أقطار روحه
مشاعر النبوة العلوية الصافية . . .

وها نحن أولاء نقف على قبر حمزة سيد الشهداء ، في بطن الوادي
من جانب أحد ، نسترجع تلك الصور المضرجة بأزكى الدماء ، المشرقة
بنور الإيمان والتضحية والفداء .

٤

ثم عادت بنا السيارة تشق طريقها بين المراعي والبساتين الى مسجد
القبليين . . . وكان الرسول الى ما بعد مقامه بالمدينة سبعة عشر شهرا ،

يؤدي الصلاة مستقبلاً بيت المقدس . وأراد اليهود أن يمكروا به
ليخرجوه من المدينة ، بعد أن حبطت دسائسهم التي حاكوها منذ أول
يوم قدم فيه فقالوا له ...

— إن من سبقك من الرسل ذهبوا الى بيت المقدس ، وبه كان
مقامهم ، فان تكن رسولا حقما فاصنع مثل ما صنعوا ، ولتكن المدينة
مقاما وسطا في هجرتك بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى . .

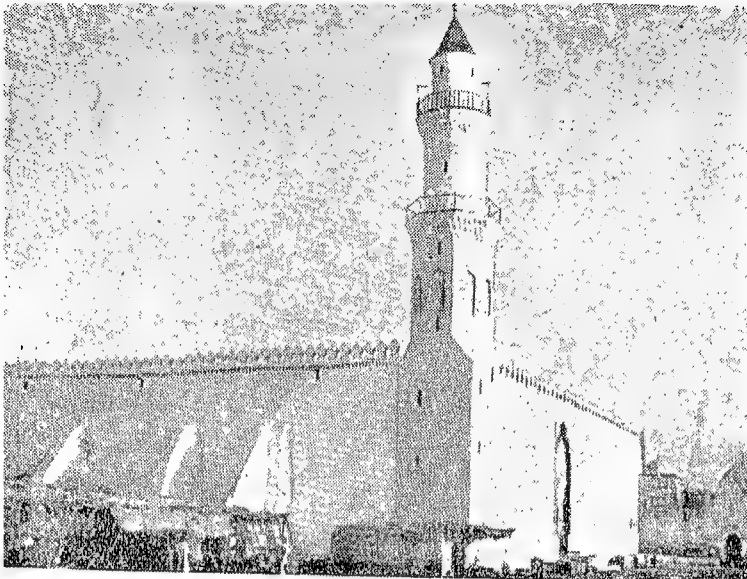
وضاق الرسول بمكرهم هذا ، وظل موزع القلب حائر القواد ،
حتى اذا كان قائما يصلي في هذا المسجد بظاهر المدينة مستقبلاً بيت
المقدس ، نزل عليه الوحي بهذه الآية :

— « قَدْ أَرَى بَقْلَبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْ أَنَّكَ قَبْلَةَ أَرْضَاهَا ،
فَوَلَّ وَجْهَكَ نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْنَمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ . »

فتحول الرسول وهو قائم في صلاته تلك من المسجد الأقصى الى
المسجد الحرام !!

... ثم انطلقت بنا السيارة الى قباء ، تلك القرية التي استقبلت
الرسول قبيل وصوله الى المدينة ، فأقام بها هو وصاحبه أبو بكر أربعة
أيام ، وبني بها أول مسجد في الاسلام ...

وها نحن أولاء تؤدي الصلاة في مسجد قباء !



مسجد قباء ... أول مسجد في الإسلام

٥

وأتممنا في المدينة أياما أربعة ، وددنا لو أنها طالت فكانت
الشهور والأعوام !

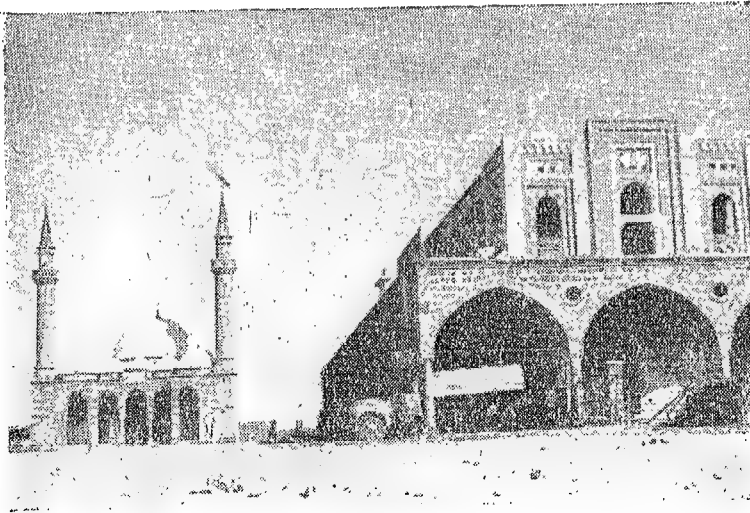
كنّا نقبل على المسجد النبوي فنسكث فيه من الصلاة ، وإنها لتعدل
في أجرها ألف صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام ، لما تفيضه
من مشاعر التجرد والخشوع والإقبال على الله ، وما تثيره من جلال
الذكرى وروعة المقام ...
ثم ننفلت من صلواتنا فنعود إلى المدينة نرتاد معالمها الأثرية ،

ونستطلع مظاهر الحياة فيها بعد ذلك التاريخ الحافل المشهود ، فتفتكس رموسنا من حسرة واشفاق ...

هذه مدينة الرسول التي عاشت دهرها وهي محور التاريخ الإسلامي وقطب رحاه ، ومصدر الاشعاع النبوي المنطلق في كل اتجاه ، والقلب الذي تتدفق شرايينه في مختلف الأقطار والامصار ، فتحيي موات الانسانية وتجدد شباب الحياة ...

هذه المدينة الخالدة ما خطبها اليوم وأين هي من ذلك الماضي المجيد وأينها ، لقد تعرضت هذه المدينة منذ التاريخ البعيد حتى الحرب العالمية الاولى لكثير من المحن والأرزاء ؛ بسبب الفتن والاضطرابات السياسية التي عانتها في تاريخها الطويل .

وقد آن للمدينة المنورة أن تسترد مكانتها منذ اتجهت العناية لتنفيذ كثير من المشروعات العمرانية والاجتماعية ، ومنذ تمت توسعة الحرم النبوي ، وبدأ العمل على إعادة الخط الحديدي بين المدينة والشام ...



محطة سكة حديد الحجاز ... بالمدينة المنورة

في طريق العودة

١

وأشد صديقي ونحن نأخذ أهبتنا لمغادرة المدينة قول الشاعر :

وَدَّعْهُ هُرَيْرَةً إِنَّ الرِّكْبَ مَرَّتَجِلٌ
وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَثْبَاهَا الرَّجُلُ ١١

نعم ، ما أروع تلك اللحظات التي استقبلنا فيها مقام الرسول نافي عليه تحية الوداع !

... وانطلقت بنا السيارة إلى جدة بعد الغروب ، وكأنها تحمل أجساداً قد انخلعت عن قلوبها وأرواحها تلك الهائمة حول القبة الخضراء ...

وَلَمَّسْتِ عَيْنِي قَمُودَ حَفِيَّتِ
عَنِّي الرُّسُومُ كَنَامَتْ الْقَلْبُ ١

ثم بلغنا جدة بعد أربع وعشرين ساعة ، فقد كان السائق مشوقاً إلى أهله وبذورته^(١) ... وكان لا يشتد به الشوق إلا حين تشتد حرارة

(١) الذورة - في لغة أهل مكة - الأولاد ...

الشمس ، فيأبى إلا السير في حمارة القيظ . ولسائق السيارات هنالك
سيطرة وساطان !!

وكانت السيارة وهي تنطلق بنا كأنها قذيفة من الجحيم ، نغمرنا
أنفاسها المحترقة ويلفح وجوهنا حرور الصحراء الملتهب ، فقللت للسائق :
— على رسلك يا ابراهيم ، فما أظنك إلا من حفدة سويد اليشكري
الذي يقول :

كَمْ قَطَعْنَا دُونَ سَلَمَى مَهْمَهَا
نَازَحَ السَّحُورِ إِذَا الْآلُ^(١) لَمَعَ
فِي حَرَرٍ يَنْضَجُ اللَّحْمُ بِهِ
يَأْخُذُ السَّائِرُ فِيهِ بِالصَّعَقِ^(٢)

وفي هذا الوصف الشعري الدقيق ، الذي لا يجيده إلا ابن الصحراء ،
تتمثل لك على أروع صورة ما يعانيه المضطرون للرحلة في هذه الدروب
والمفاوز في وقدة الشمس وقيظ الصيف ، من شدة الحرارة التي تنضج
اللحم وتشوى الوجوه وتحرق الأكباد . وإن السائر فيها لتذوب
رأسه حقيقة لا مجازا وهو ما يصيب بعض الحجاج من ضربة الشمس !!
على أن ابراهيم كان في شغل عنا وعمنا نعانيه ، وعن اليشكري
وشعره ، فقد كان يهزج بأغانيه البدوية الرقيقة ، يناجي بها « سلما »
تلك المقيمة في شعاب مكة « ترعى » البذور « والأغنام » .

(١) الآل ، السراب . . .

(٢) الصقع ، أى الصق : وهو ما يذيب الرأس من شدة الحر . . .

وحين بلغنا طرف الجزء المرصوف من الطريق ، بدأت نسائم
الاصيل تهب علينا ندية ببخار البحر ، ثم لم تلبث أن لاحت لنا جدة
مع الغروب ، تستقبلنا مجلوة في زينتها من عمارة وأضواء ..

وأبك لتشعر بالانتقال المفاجيء من حياة الصحراء الموحشة القاسية
إلى صميم الحضارة المنرفة الناعمة ، وأنت تحط رحالك معنا في فندق
البساتين بجدة ، وتبيت ليلتك في مسكن منفرد أنيق ، مزود بالثلاجة
الكهربائية وتسكيف الهواء !!

٢

ومدينة جدة هي الثغر الاول للمملكة العربية السعودية ، أنشأها
عثمان بن عفان ، وبلغت شأوا بعيداً من العماره والتجديد في عهد الملك
عبد العزيز ثم في عهد الملك سعود . وكان بها مقر وزارة الخارجية
والسفارات الاجنبية . وهي مركز النشاط التجاري والاقتصادى ،
وحلقة الاتصال بين المملكة وأقطار العالم .

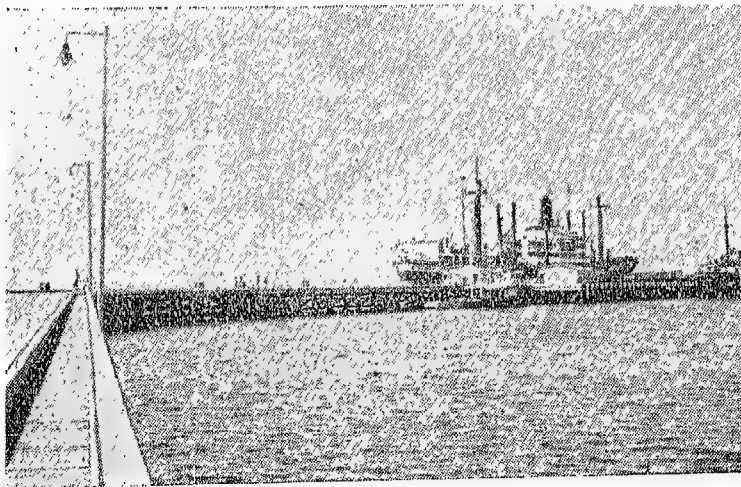
وقد امتد العمران في هذه المدينة إلى الشرق في طريق مكة ، وإلى
الشمال في طريق المدينة ، حتى نشأت أحياء جديدة متعددة ، تسكده
تؤلف مدائن أخرى على أحدث طراز ...

وكان أشد ما يلقاه أهل جدة والحجاج الوافدون عليها من العناء ،
بسبب قلة المياه الصالحة للشرب ؛ إذ كانوا يعتمدون على مياه الأمطار
التي يخزنونها في أحواض كبيرة ، ولم يسكن في طاقة الغالبية العظمى

منهم أن يحصلوا على ماء البحر المقطر لكثرة تكاليفه وقلة انتاجه .
ولهذا كان مشروع إمداد جدة بالمياه العذبة النقية ، وهو المشروع الذى
بلغت تكاليفه مليوناً من الجنيهات ، من أجل المشروعات الإنسانية
والعمرانية التى تمت فى تلك البلاد .

وقد حفز نجاح فكرة مدينة الحجاج فى جدة إلى وضع مشروع
لإقامة عدة مدن أخرى بالقرب من الميناء ، تخصص كل منها للحجاج كل
قطر من الأقطار الإسلامية .

وقد زرت ميناء جدة ، وكنت أسمع من الحجاج الذين كانوا
ينزلون به منذ سنوات أن البواخر لم تكن تستطيع أن ترسو على الميناء ،



وأنها كانت تقف بعيداً في عرض البحر ، ثم ينزل الحجاج منها إلى زوارق بخارية أو شراعية تنقلهم إلى الساحل . وتروى في ذلك مما كان يعانيه آلاف الحجاج ألوان من الشدة والفرع والاضطراب ...

أما الآن فقد أقيم الميناء الجديد الذي بلغت تكاليفه اثني عشر مليوناً من الدولارات ، بحيث يستقبل باخرتين كبيرتين من عابرات المحيط زنة كل منهما عشرة آلاف طن ، تفرغان حمولتهما من الركاب والمتاع في وقت واحد .

على أني شهدت في الميناء أفواجا من الحجاج العائدين إلى بلادهم ، وهم في حالة من الكرب والبلاء تشير الالم والراء ...

لأنهم بعد أن حجزوا أما كنهم في إحدى البواخر ، وانتقلوا من مدينة الحجاج إلى الميناء استعداداً للابحار إلى بلادهم ، إذا بهم يفاجأون بالباخرة وقد شغلت جميع أماكنها ولا أمل لهم في السفر ، ولا سبيل إلى مأوى يعودون إليه وقد تقطعت بهم الأسباب ...

وتحرير الأمر فإذا صورة من الاستغلال والعبث بحقوق الحجاج وعواطفهم ، ذكرتني بتلك القصة التي مثلها أحد مكاتب السياحة في القاهرة ، إذ تقاضى من بعض الحجاج نفقات السفر فلما ذهبوا إليه بعد أيام يتسلمون تذاكرهم ، لم يجدوا المكتب ولا الكتاب .

إنها ناحية هامة ينبغي أن تخضع لرقابة شديدة وضمانات كافية ، واشراف دقيق على التنفيذ .

قال صاحبي :

— إنك رجل عاق ، لا تعرف للأمومة حقها .
قلت منزعجاً : كيف ، وما أدراك ؟ لقد كانت أولى القربات التي
تقدمت بها إلى الله بين يدي فريضة الحج ، هي أن أقطع عشرات المئات من
الأميال بين يوم وليلة لأؤدي حق الأمومة وواجب البنوة ، نحو تلك
السيدة المقيمة في موطن الأسرة بأقصى الصعيد .

قال : لقد أبعدت ، فلست أعنى إلا أملك الشاوية هنا في جدة !
قلت : أو تهزل يا صاحبي ، ثم لا تجد مادة للزحل إلا الأمومة والام !
قال : عفواً ، إنها أملك وأمي حواء !
قلت : وهل أمنا حواء تثوى هنا في جدة ؟

قال : نعم . وإن لها مزاراً يحج إليه كثيرون من أبناءها البررة الأوفياء
قلت : أما أنها تثوى هنا في جدة فأمر لا أطمئن إلى صحته . وما
أظن من البر بأمنا حواء أن نزور ما يتوهم هؤلاء الكثيرون أنه قبرها ،
ولكن البر كل البر بهذه الأم الكبرى هو أن يبر كل منا بأمه الصغرى
حفيدة حواء ، والتي يشمل فيها معنى الأمومة المتجددة الخالدة .
ثم وافقت صاحبي على أن نزور هذا الذي يسمونه قبر حواء ، لاضيف
إلى مشاهداتي لونا من ألوان المشاهد والآثار .

وهناك في ظاهر جدة بالقرب من المطار، آثار هذا القبر الذي يبلغ
طوله ١.٥ أمتار ، وكانت تقوم عليه قباب وأبنية ، ومن طريف

ما ذكره البتوني في « الرحلة الحجازية » أن الشريف عون الرفيق أمير مكة حينما أراد هدم تلك القباب ، تعرض له قناصل تلك الدول الأجنبية في جدة ، باعتبار أن « حواء » أم البشر جميعا وليست أم المسلمين وحدهم !

٤

وفي يوم السبت غرة المحرم قصدنا إلى قصر الملك في جدة نستأذن الملك سعود في السهر ، واجتمعنا هناك بالاستاذ عبد الله بلخير الوزير المفوض وسكرتير الملك . وهو شاب ممتلي حيوية ولباقة ، متنوع الثقافة والتجربة ، أتم دراسته العالمية في الجامعة الأمريكية ببيروت ، واكتسب ثقافته العملية في قصر الملك وبين مضارب البادية . وهو في مكتبه يستقبل أخطا من الزوار الأجانب وزعماء العشائر ، فإذا هو مع هؤلاء رجل المدنية والدبلوماسية ، ومع أولئك ربيب البادية وفي الصحراء .

وتفضل الملك سعود فدعانا لتناول طعام العشاء قبل أن يأذن لنا في السفر . وعدنا إلى القصر بعد الغروب ، فإذا رحاب القصر قد تحولت إلى مسجد كبير يقوم فيه الخند والخدم بأداء الصلاة .

وفي الطابق العلوى من القصر ، التقينا بالمستشرق الانجائزى جون فلبى أو الخاح عبد الله فلبى في لباسه البدوى . . تلك الأسطورة الحية التي عاشت في صحراء الجزيرة العربية منذ ربع قرن من الزمان !

وخفّ الرجل مسرعا إلى الشرفة يتطلع نحو الأفق البعيد .

لأنه يرصد هلال المحرم الوليد . . .

اندماج مطلق في حياة البادية ، استغرق هذا الأوربي ربيب المدنية

والحضارة ، فأحاله بدوياً قحداً في مظهره ومخبره ، وفي تأثره بتقاليد
البادية وحياة الصحراء .

وقال صديق مخاطباً الحاج عبد الله فلي :

-- أعلم أن لك مكانتك في هذه البلاد بما شاركت من رأى وعمل
أكثر من ربع قرن من الزمان ، ولكنك في نظر الكثيرين أسطورة
غامضة تنطوى على كثير من الخفايا والأسرار .

قال : أفصح ...

قال صاحبي : أى أنك حلقة جديدة في سلسلة الجاسوسية البريطانية
يا خليفة لورنس العظيم !

ولم يغضب الرجل لهذه المصارحة القاسية ، ولم تستطع حرارة
الشمس وحمية البادية التي عاش فيها ربع قرن من الزمان ، أن تغير من
طبيعته الانحازية « الباردة » .

ولكنه أجاب في سخرية لاذعة :

— الحق يا صديقي أن الانجليز ليسوا في حاجة الى بث الجواسيس
من أبناء جلدتهم في البلاد التي يستعمرونها أو التي تمتد اليها مطامعهم ،
لأنهم يجدون دائماً من أبناء هذه البلاد وتلك من يقوم لهم بأداء هذه
المهمة خير قيام ...

وغص صاحبي بريقه فلم يعقب ...

وانبرت أتلقف الكرة ثم أقذف بها اليه فقالت :

— ولكن الانجليز هم المسئولون عن إفساد هذه الضمائر ، وان
جرائمهم في حكم هذه البلاد والقضاء على مظاهر القوة وعناصر التقدم ،
واشاعة الفقر والجهل والانحلال ، واثارة الفتن والخلافات . . . كل
ذلك لا تستطيع أن تنكره يا خليفة لورنس العظيم ١١
فأجاب في برود الانجليزى وصراحة البدوى :
— لا أنكر ذلك ولست في حاجة الى انكاره . ولكن قل لى —
ورب الكعبة :

— على يد من كان الانجليز ينفذون هذه السياسة الرقطاء ؟
أليس على يد الرؤساء والزعماء من رجالكم بلا مراة ١٢
وغصصت بريق فلم أستطع جوابا ، ولم يستطع صاحبي . . وماذا
عسانا أن نقول ١٣
وأثقتنا من هذا الموقف صوت الملك سعود يدعونا للعشاء . . .
كان ذلك منذ أربعة أعوام . . .

وكانت هذه السياسة البريطانية الرقطاء التى صورها فلمي في برود
الانجليزى وصراحة البدوى ، قد ولدت في وجدان الأمة العربية
براكين من الثورة أن لها أن تنفجر ، وأن تقذف حممها المدمر على تلك
الاضلاع الفاسدة التى أقامها الاستعمار في كثير من البلاد العربية ، وأن
تحترق بلمبيها تلك الاصلنام التى نصبها الاستعمار من صنائعه في تلك
البلاد . . .

فكانت ثورة مصر التحريرية ، وامتداد هذه الثورة في شرايين

الامة العربية في كل مكان ... من شمال أفريقيا إلى الاردن ، وإمارات الخليج الفارسي ، وجنوب الجزيرة العربية .

ثم كانت الهزيمة الساحقة لصنائع الاستعمار ، الذين كان يتحدث عنهم ولي في خبث وشماتة ، وكانت النهاية المحتومة لمسترجون فلبى — خليفة لورنس العظيم — إذ طرده الملك سعود من المملكة العربية السعودية ، بعد أن انكشف عن وجهه قناع الزيف والخداع .

(٥)

وأبلغنا المطار موعد قيام الطائرة من فجر يوم غد ، فبينا نيلتنا في الفندق ساهرين .

وكانت تتنازعنا في تلك الليلة مشاعر مختلفة ، فنحن إذ نشعر بالغبطة والطمأنينة والرضا بعد أن وفقنا الله لإداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي والمقام الشريف ، يخالط هذا الشعور كثير من اللوعة لمغادرة هذه الأرض الطيبة التي وصلنا فترة من العمر بالسماء ، وتمتزج بهذا الشعور وذاك أشواق الفرح بلقاء الأهل والولد بعد غيبة وانقطاع وحلقت بنا د زمزم ، قبيل الفجر في سماء جدة ، ثم انطلقت تأخذ بجراها نحو الشمال الغربي ، حتى إذا لاح ضوء الفجر على أطراف الأفق البعيد ، أذن بيننا مؤذن أن حى على الصلاة !

موقف آخر من تلك المواقف الرائعة التي تملك العقل والقلب والوجدان ، ونحن نؤدي صلاة الفجر فوق مجارى السحاب ، ونستقبل السكينة متعلقة بها قلوبنا وأبصارنا ، وكأ أننا نمارس تجربة روحية لا يزيدنا

فيها انطلاق الطائرة بعيداً بعيداً إلا قرباً من السكينة واندماجاً في جوها
القدسي وتعلقاً بأستارها السوداء ... تجربة نفيد منها حين نغمرنا موجة
الحياة الصاخبة ، وتتجاذبنا تياراتها العاتية من جديد .

وشهدنا مولد الشمس أول من شهد من الأحياء ، وما زالت الأرض
من تحتنا تظلل أوديتها بحجاب رقيقة من الظلام .

وبعد قليل أحسنا بالطائرة وهي تهبط بنا على غير توقع منا ولا
انتظار ، فما زال بيننا وبين الطور أكثر من ساعة ، فاحلعت قلوبنا
وأوجسنا شراً من وراء هذا الهبوط المفاجئ في قلب الصحراء ... ولكن
تبين لنا بعد أنها محطة بالقرب من الوجه ، هبطت فيها الطائرة لتزود
من الوقود ...

وأقبل علينا من قرية الوجه القريبة من البحر بعض الغلمان يحملون
أنواعاً من السمك والأحياء المائية مختلفة الأشكال والألوان ؛ أنواعاً
عجيبة ذات ألوان زاهية منمقة كأنها طيور الزينة ، وأخرى غنية بالمواد
الحيوية يتهافت عليها الخبراء في فن تجديد الشباب .

واستأنفت الطائرة سيرها حتى بلغنا الطور وقد غمرتنا فرحة الوصول
إلى أرض مصر ، ثم حملتنا السيارات إلى الحجر ، الصحنى في مكانه
المنعزل بالصحراء ، وهناك في ذلك المسكان الذى كان مأوى للمعتقلين
الأحرار من ضحايا العبود المظلمة السوداء ، وطرائد الظلم والاستبداد ؛
أقمنا أياماً ثلاثاً داخل الأسوار الشائكة في مبان حديثة مزودة بالماء
والنور ، وقد أعدت في بعض أقسامها الأسرة والمقاعد لمن شاء من النزلاء

مقابل ثلاثة جنسيات في الدرجة الاولى ، وجنيتين في الدرجة الثانية ، أما الدرجة الثالثة فيفترض نزلاؤها ما لديهم من فراش على ألواح خشبية بالحان ويتألف المحجر من عدة مجموعات من المباني منفصل بعضها عن بعض ، وهي تتسع لنزول بضعة آلاف من الحجاج ، وفي كل مجموعة مقصف للطعام والشراب ، أظنه لم يتغير أكثر عما كان عليه وقت أن كان المحجر معتقلا للمخضوب عليهم من الأحرار ...

وبكل مجموعة مكتب يتولى إرسال البرقيات والمحادثات التليمونية ، أما البرقيات التي ترد إلى النزلاء فيحملها إليهم من المكتب الرئيسي بالطور سعاة يقومون من وراء الأسوار الشائكة ، وينفخ أحدهم في مزماره فيجتمع الحجاج تجاهه يسمعون لما يلقي عليهم من أسماء .

وكانت إقامتنا في الطور رتيبة مملة ، لا سيما في تلك العزلة المضروبة علينا فيما وراء الأسوار ، وقد أنشأت هذه العزلة شيئاً من الآف والتعارف بين النزلاء ، فكنا نقضى الوقت في التزاور وتبادل الأحاديث والأسمار ... ووددت لو أمكننى الفرصة من زيارة د جبل موسى ، في ذلك الوادى المقدس طوى ، حيث وقف موسى يناجى ربه ويقول :
 — رَبِّ ارْنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ ...

قال : لَنْ تَرَانِي ، وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَسَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي .

فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَسَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ۖ

وأُذن لما أن تغادر المحجر ... ولا تسل عن الفرحة تهن المشاعر
نحن نتخطى الأسلاك الشائكة ، وننطلق إلى المطار ، حيث تقطع
بنا الطائرة آخر مرحلة في تلك الرحلة المباركة .

وما هي إلا ساعة حتى كانت الطائرة تحوم بنا على سماء مصر الجديدة ،
ثم تدور عدة دورات وهي تهبط رويداً رويداً ، وكأنها تنهه أشواقنا
الخائفة المتدفقة نحو أرض الوطن الحبيب .

الرحلة الثانية

نداء الوطن الأول

استجابة...

هأبدا أعود إلى الأرض الطيبة^(١) والعود أحمد
إن شاء الله ...

منذ عامين ونصف ، قدمت إلى هذا البلد الأمين استجابة
لدعوة إبراهيم من وراء الغيب البعيد ، فقضيت شهراً في
حساب الم من ولسكنه كان عمراً لأحدود لأبعاده الزمنية ، منذ
عشت فيه بره حتى ووجداني في التاريخ الحى المتجدد ، منذ
منذ رفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، إلى عهد
الاشراق المسمى الذى أضاء بنوره الخافقان ، وما زلت
أنتقل في عوالم الذكرى حتى انتهى بي المطاف إلى عهد
البعث العربى الذى انبثى من قلب الجزيرة ، على يد المغفور
له الملك عبد العزيز آل سعود ...

(١) ديسمبر ١٩٥٤ .

ثم ها هنا أعود إلى الأرض الطيبة ، مهد العروبة ، ومنزل
الوحى ، ومشرق النور ، وقبلة الإسلام . .

أعود إليها في هذه المرة استجابة لدعوة أخرى ، هي
دعوة الملك سعود التي وجهها على إثر ولايته العرش إلى
أنباء الجزيرة في مختلف الملاد ، ليسهموا في بناء العهد
الحديد ، عهد النهضة والارتقاء ، بعد عهد التأسيس والبناء
هذه الدعوة التي وعيتها بمناها الواسع العميق ، دعوة
الوطن العربي الأول ، الذي تدافعت موجاته منذ ثلاثة عشر
قرباً ، تحمل رسالة العروبة والإسلام إلى مختلف الآفاق ،
توجه الآن من جديد إلى أحفاد أولئك الرواد العرب في
مختلف الأقطار . . .

إن لهذا البلد الأمين حقاً على كل عربي ، وكل مسلم .
هو حق الأبوة التي تجري في دماء العرب حيثما كانوا على
تماقب العصور والأجيال ، وحق العقيدة التي تنبض بها قلوب
المسلمين في شتى بقاع الأرض . . .

وهذا الحق هو الذي اقتضاني أن ألبى تلك الدعوة في
عبطة وسرور ، وأن أعود إلى الممالك العربية السعودية
لأسهم في بناء النهضة الصحفية في هذه البلاد . . .

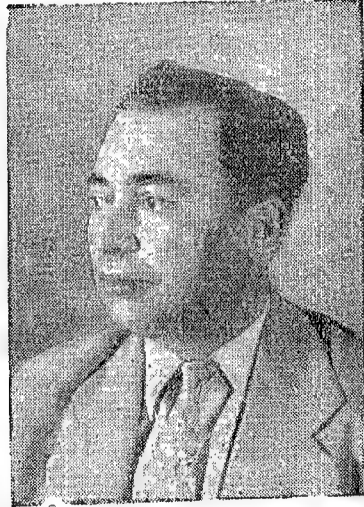
في ميدان الصحافة

١

قال لي السيد أحمد عبيد
المؤسس والمدير العام لمؤسسة
الطباعة والصحافة والنشر بجدة ،
وهو يودعني بمكتب الاستاذ
أحمد قاسم جودة في القاهرة ، ليلة
سفرى إلى المملكة العربية
السعودية :

— إن رئيس تحرير مجلة
الرياض في انتظارك ...

ثم ابتسم ابتسامة ذات
مغزى ، وإن لم أفهم مغزاها الا
يوم وصلت الى جدة ، وقصدت
الى دار مجلة الرياض ...



الأستاذ أحمد قاسم جودة
رئيس تحرير جريدة الجمهورية
كان مديراً لمكتب المؤسسة بالقاهرة



السيد مدني بن محمد
رئيس تحرير مجلة الرياض



السيد أحمد عبيد
رائد الطباعة والصحافة والنشر

فقد الملاحظات الأولى من وصولي ألفيت نفسي فجأة في دوامة عنيفة،
مصدرها هذا الإعصار الذي يجتذب في دوامته ويلف في محيطه كل من
يعمل معه . . .

ولم ألبث الا فترة يسيرة ، ثم استأذنت ، وأحرمت بالعمرة ،
وفزعت الى بيت الله ألوذ به من هذه الدوامة الرهيبة ، وأستعين رب
البيت على حمل العبء في هذا الميدان الخطير . . .

لقد عشت عشرين عاما في محيط الصحافة ، مهنة البحث عن المتاعب.
كما يقولون ، وشهدت نماذج لاحصر لها من الصحفيين الذين يحرقون
أعصابهم ويذيبون شبابهم في البحث عن المتاعب ، ولكنني اكتشفت
هنا نموذجا جديدا لا يكتفي بالبحث عن المتاعب فحسب ، بل إنه يتعب
هذه المتاعب حين تقع في قبضته !

وواجهنى طوفان من العمل . . .

لإخراج العدد الجديد من محلة الرياض ، دراسة حلقات جريئة من سلسلة المشروعات التى تعدها مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، تنفيذ تصميمات مهيمة لمشروعات أخرى . . .

كل ذلك ورسائل البرق والتليفون والبريد تستنجز صدور العدد الجديد من المحلة ، بعد أن تأخر صدوره عن مواعده المحدود . . .

وفلت الأستاذ مدنى بن حمد رئيس التحرير :

— أمرى الى الله . . . لا حيلة لى فى الهروب من دأخطبوط ، العمل الذى فرضته على نفسك ، وعلى من يعملون معك . فأنا بين يديك بياض النهار وسواد الليل ، أضرب معك فى كل ميدان ، ولكنى أرجو — للتوفيق بين جميع الاعتبارات — أن نعمل على إصدار العدد الجديد من الرياض فى عشرين صفحة . . .

ولكنه أجاب فى عناد :

— بل عدد ممتاز فى ٥٢ صفحة !

ودارت فى الأرض ... إن مثل هذا العدد يحتاج اعداداه وإخراجه الى جهود مضنية فيما لا يقل عن خمسة عشر يوما ، فكيف بنا نصدره على هذه الصورة فى بضعة أيام ؟

وكان ما لا بد أن يكون . . .

إن مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر عامة ، وقسم الصحافة خاصة ،

انقلب ذلك كله الى ما يشبه خلايا النحل في الحركة الدائبة وفي الطنين أيضا... وتبارت الأقسام المختلفة : التحرير والادارة ، والتصوير والحفر ، والجمع والتوضيب ، والطبع والتجليد ، في انجاز هذا العدد الممتاز ...

تحوّلت كل هذه الأقسام الى أعصاب مرفقة لاخراج هذا العدد ، في الوقت الذي تقوم فيه بأعمال أخرى هامة ، تتصل بالمشروعات الكبيرة التي رسمت المؤسسة خطوطها وأوشكت أن تنفاجى بها القراء ...

وبدور الجهاز الكبير ، ولا أكاد أضع الساعة لأبدأ في إعداد ملزمة من ملازم المجلة ، حتى أرفع الساعة لأسمع من رئيس التحرير أمرا بأعداد الملزمة التي تليها ، ولما يرض على أمره الأول لحظات ... وما إن أضع الساعة ، حتى يدخل على الساعي وفي يده مظروف ضخم وعليه إشارة من رئيس التحرير بعمل « ما كيت » لهذا المواد وارسالها الى المطبعة فوراً ...

وتدور في الأرض كلما دق جرس التليفون أو دخل مكنتي ساعي رئيس التحرير !

ويجلس معي في الغرفة زميلي المترجم العتيد الأستاذ كامل صموئيل مسيحة ؛ لأنه « دينامو » لا يهدأ عن الترجمة ، ولكنه يثير أعصابي أضعاف ما يثيرها رئيس التحرير ...

أطلب منه أن يترجم للعدد مختارات من المجلات الإفريقية ، وبعد عشر دقائق يقدم لي مائة صفحة من حجم الفولسكاب ، فألقضها منه



الأخ سلامة حسين حمودة
عامل فدائي ...

الأستاذ كامل صموئيل مسيحية
مترجم ذرى !!

مهورا بهذا النشاط الذرى ... ولكنى أكاد أضعق حين أقرأ عنوان
الصفحات المائة ... إنها ترجمة كتاب عن مدينة جدة !

ويدخل الأخ سلامة والدم ينزف من يده اليمنى ...

لأنه العامل الذى يقوم بالجمع على آلة « اللينوتيب » وقد أصابه جرح
خطير أثناء العمل ...

وبقدر ما تأملت لهذا الحادث ، فقد شعرت بالارتياح !

لأنها فرصة أعاد فيها مراجعة رئيس التحرير فى عدد صفحات
المجلة ...

ولكن رئيس التحرير يلتسم فى هدوء وهو يقول :

— إلى أن يتم شفاء الأخ سلامة ، فإن قسم الصف يستطيع أن
يمدنا بمائشاه من الصفحات . . .

وقبل أن أغص برقي ، ينهزى الأخ سلامة في احتجاج مذهب قائلاً :

— لا والله . . . لأن أصدبت يدي اليمنى ، فليسوف أعمل يميدي
اليسرى حتى يخرج العدد ممتازا كما تريدون ويريد القراء !
سلمت يمينك يا سلامة . . .

هذا الروح القدائية التي تسيطر على جميع أسرة « الرياض » وأعضاء
المؤسسة ، كانت تحية طيبة استقبلت بها العمل في مؤسسة الطباعة
والصحافة والنشر ، التي تعتبر صرحا قويا للنهضة الصحفية والثقافية في
المملكة العربية السعودية ، ومركزا للإشعاع الفكري في هذه البلاد .
وبهذه الروح القدائية ، والجهود المخلصة الصادقة ، صدر العدد
الممتاز من مجلة الرياض . . .

وواصلت المؤسسة جهادها في دعم النهضة الصحفية والثقافية على
صورة سابقة بها الزمن ، وواصلت بمجلة الرياض إلى مستوى رفيع لا
يقل عن مستويات الصحافة الحديثة في أرقى البلاد العربية . . .

٢

وللصحافة في هذه البلاد تاريخ يرجع إلى نحو ٧٦ عاما . . .

فقد صدرت أول صحيفة بمكة سنة ١٣٠١ هـ وهي صحيفة رسمية
كانت تصدر باللغتين التركية والعربية باسم « الحجاز » ثم توقفت عن
الصدور سنة ١٣٢٧ عند قيام جمعية الاتحاد والترقي .

وصدرت بعدها بمكة صحيفة «شمس الحقيقة» باللغة العربية .
ثم صدرت صحيفةتان بجدة هما «الإصلاح والصفاء» ولكنهما احتجبتا
بعد بضعة أشهر ، وكان ذلك في العهد العثماني ...

فلما قام العهد الهانسي صدرت في سنة ١٣٣٤ جريدة «القبلة» وبعد
بضع سنوات جريدة «الفلاح» ثم «المجلة الزراعية» .

ولما انتهى عهد الملك حسين في الحجاز ، وتولى ابنه الملك عليّ حكم
البلاد وانتقل إلى حدة ، أصدر بها جريدة «بريد الحجاز» وظلت
تصدر حتى تنازل الملك علي عن العرش في سنة ١٣٤٣ ...

ومن ثم بدأ العهد السعودي فأصدر جريدة «أم القرى» وهي الجريدة
الرسمية للملكة العربية السعودية وأقدم الصحف التي تصدر الآن ...
وكان يقوم على تحريرها وتوجيه سياستها معالي الشيخ يوسف ياسين ، ثم
تولاها على التوالي الأساتذة رشدي ملحس ، ومحمد سعيد عبد المقصود
وعبد القدوس الانصاري ، وفؤاد شاكر ، والطبيب الساسي .

وقد أعدت مديرية الإذاعة والصحافة والنشر التي أنشئت أخيراً
برئاسة معالي الشيخ عبد الله بلخير ، مشروعاً لإصدار هذه الجريدة
يومية بدلاً من صدورها أسبوعية .

وفي سنة ١٣٤٧ صدرت مجلة «الإصلاح» وكانت خاصة بالشئون
الدينية ، وتولى إدارتها وتحريرها الشيخ حامد الفقي .

ثم صدرت في سنة ١٣٥٠ جريدة «صوت الحجاز» وكان صاحب
الامتيازها الشيخ صالح نصيف ، ثم انتقل امتيازها سنة ١٣٥٤ إلى شركة

تألفت برئاسة معالي الشيخ محمد سرور الصببان وهي « شركة الطبع والنشر » وتعاقب على رئاسة تحرير هذه الجريدة عبد الوهاب آشي ، ومحمد حسن فقي ، ومحمد حسن عواد ، وسعيد العامودي ، وأحمد إبراهيم الغزاوي ، ومحمد حسن كتيبي ، وأحمد خليفة ، ومحمد علي رضا ، وحسين عرب ، وحسين خازندار ، وأحمد السباعي ، وأحمد فنديل . ومحمد علي مغربي ، وفؤاد شاكر ، وعبد الله عريف ، وظلت هذه الجريدة تصدر حتى قيام الحرب العالمية الثانية حيث توقفت عن الصدور .

وهؤلاء الذين تولوا أمر جريدة أم القرى ، وجريدة صوت الحجاز هم رواد الصحافة في المملكة العربية السعودية ، وما زال بعضهم يعمل في ميدان الصحافة ، واتجه الكثيرون منهم إلى ميدان السياسة والأدب والاقتصاد ، فصاروا من أعلام هذه الميادين ...

وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، عادت جريدة « صوت الحجاز » إلى الصدور باسم آخر هو « البلاد السعودية » صدرت آنشد أسبوعية ثم مرتين فثلاث مرات في الأسبوع . وفي سنة ١٣٧٣ صدرت يومية وهي الجريدة اليومية الوحيدة التي تصدر في هذه البلاد ، ويرأس تحريرها الآن الأستاذ فؤاد شاكر .

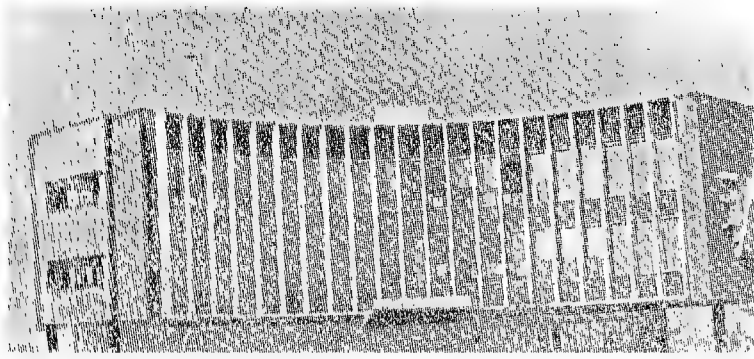
ومن الصحف التي تصدر الآن وتمثل التطور الصحفي في المملكة العربية السعودية مجلة « المنهل » لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، وقد مضى على صدور هذه المجلة أكثر من عشرين عاما ، وهي مجلة شهرية تعنى بالعلوم والفنون والآداب ، وتبلغ مستوى رفيعاً في التحرير والإخراج ...

وأنشأت الإدارة العامة للحج في سنة ١٣٦٦ مجلة «الحج» وكان يرأس تحريرها الأستاذ هاشم يوسف زواوي، ويشرف عليها الآن الأستاذ سعيد العامودي، وهي تعنى بالشئون الدينية والتاريخية، وبكل ما يتصل بشئون الحج من مباحث وقرارات.

وكانت تصدر بالمدينة المنورة في العهد التركي صحيفة باللغتين التركية والعربية، وكانت تطبع على «البالوظة» أما الآن فتصدر بها مجلة أسبوعية باسم «المدينة المنورة» لصاحبها الأسناذين على حافظ وعثمان حافظ، وهي الصحيفة الوحيدة التي تصدر بالمدينة وتؤدي في ميدانها جهوداً طيبة.

وصدرت في الرياض سنة ١٣٧٢ أول صحيفة هي مجلة «اليمامة» لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ حمد الجاسر، وقد أنشأ لها داراً للطباعة وسد بها فراغاً في ميدان الصحافة الأدبية والاجتماعية. وهناك مجلة «أخبار الظهران» ومجلة «قافلة الزيت» وهما تصدران في المنطقة الشرقية، وتكملان الشبكة الصحفية التي تمتد في جميع أنحاء البلاد وكان أهم حدث في تاريخ الصحافة بالمملكة العربية السعودية هو إنشاء مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر.

كانت فكرة نبئت في جوار النهضة المنطلقة التي شهدتها المملكة العربية السعودية في عهد الملك سعود، هذه النهضة التي شملت مختلف الميادين وكان لابد أن تشمل ميدان الصحافة، لتسهم بالصحافة في تدعيم هذه النهضة وإطلاق الأنوار الكاشفة إلى الآفاق البعيدة التي تنطلق إليها الجهود والأفكار.



وذاث يوم من أيام رمضان سنة ١٣٧٠ ولدت هذه الفكرة في خاطر السيد احمد عبيد المدير العام للزراعة وقتئذ ، فعرضها على الملك سعود فباركها وأيدها . واجتمع صفوة من الأمراء ورجال المملكة العربية السعودية فأعلنوا في أعقاب عيد الفطر المبارك ميلاد هذا المشروع الجليل وقام السيد احمد عبيد برحلات عدة إلى أوروبا وإلى مصر لاستيراد الآلات ، والتعاقد مع وكالات الأنباء ، والاستعانة بالخبراء والمستشارين . وفي يوم الاثنين ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٣ افتتح الملك سعود مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة ، وانطلق في الجو هدير تسع وأربعين آلة من أحدث آلات الطباعة ، ومن ورائها مائة وستون من العمال والمهندسين والخبراء .

وأنشئت مكاتب المؤسسة في كثير من العواصم ، وكان أول إنتاجها صدور مجلة « الرياض » ووضع المؤسسة برنامج ينفذ في خمس سنوات يتضمن المشروعات الآتية :

جريدة بومية باللغة العربية .
 جريدة يومية باللغة الانجليزية يقرأها الأجانب المقيمون بالمملكة
 مجلة أسبوعية للشئون العربية والإسلامية .
 مجلة أسبوعية للشئون الاقتصادية .
 مجلات شهرية للعلوم والفنون والآداب والتربية والتعليم .
 سلسلة كتب شهرية في مختلف نواحي المعرفة .
 دائرة معارف عربية إسلامية .
 مصحف يصدر من منزل الوحي .
 نشر التراث القديم الذى تزين به مكتبات الحرمين .
 طبع الكتب المدرسية والمطبوعات الحكومية والأهلية .
 هذا هو مشروع السنوات الخمس الذى وضعته المؤسسة لإحداث
 أعظم نهضة صحفية وثقافية في المملكة العربية السعودية ، تواكب بها
 النهضة العمرانية والاقتصادية التى قطعت أشواطاً بعيدة في العهد الأخير .
 ومضت المؤسسة في طريقها فأقامت داراً فخمة عند الكيلو الخامس
 في طريق مكة ، وظلت مطابعها تواصل العمل ليل نهار . ونجحت مجلة
 الرياض في أداء رسالتها فكانت صورة مشرفة للفن الصحفي والليقطة
 الواعية في هذه البلاد ، ومعرضاً لإنتاج الكتاب والشعراء والإخصائيين
 من أبناء الجزيرة وغيرها من البلاد العربية والإسلامية .
 ولكن لم تلبث أن تعرضت المؤسسة لمحنة أصابت أول ما أصابت
 مجلة الرياض فتوقفت فجأة عن الصدور ، وعدت أدراسى بعد خمسة
 أشهر إلى القاهرة ، حيث دعانى السيد أحمد عبيد لأعمل معه مديراً لتحرير
 مجلة « صرخة العرب » التى أصدرها بالقاهرة .



الأمير محمد بن عبد العزيز في زيارته لدار مجلة صرخة العرب



اسرة صرخة العرب في السفارة السعودية يوم عيد الجلولس

وفي الوقت الذي تعثر فيه مشروع مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، كانت الدولة تعد مشروعاً آخر في هذا الميدان، إذ أصدر جلالة الملك سعود في ١٦ شوال سنة ١٣٧٤ مرسوماً بإنشاء مديرية عامة للإذاعة والصحافة والنشر، يشرف عليها



سكرتير جلالتهم الوزير المفوض معالي الشيخ عبد الله بلخير.

ومهمة هذه المديرية — كما جاء في المرسوم الملكي — هي التنظيم والتنسيق والإشراف على وسائل النشر في المملكة، ونشر الحقائق والمعلومات عن سير حركة الإصلاح فيها والدفاع عن سمعتها، كما تشمل شؤون الصحافة والإذاعة والمطبوعات.

وقد قام معالي الشيخ عبد الله بلخير بزيارات عدة إلى العواصم العربية لدراسة أساليب الإعلام واقتباس أفضل ما يقوم عليه هذا الجهاز من أنظمة وبرامج، ولإنشاء فروع المديرية العامة بهذه العواصم.

ثم عاد فبدأ بتكوين هذا الجهاز الذي يشمل عدة أقسام: للإذاعة والصحافة والمطبوعات والنشر.

وقد زرت المديرية العامة في رحلتى الأخيرة وشهدت مظاهر العمل الدائب الذى تقوم به مختلف الأقسام ، ومن ورائها الوزير الشاب يوجه الجهود ويرسم الأهداف ، ولن تمضى فترة طويلة هى فترة الإعداد التى تمر بها المديرية الآن ، حتى تبرز مشروعاتها الصحفية والإذاعية والثقافية ، وتسهم فى نهضة البلاد بأوفر نصيب .

وحبذا لو حرصت هذه المديرية على أن تشمل رسالتها إلى جانب ذلك ، إنقاذ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر من المصير الذى انتهت إليه واحتضان هذا المشروع الذى يتصل برسالها أوثق الصلة ، والذى لا يمكن أن ينهض به فرد على الوجه الذى يحقق أهدافه القومية .

وقد يكون من الخير أن تحتفظ تلك المؤسسة بكيانها المستقل ، وأن تكون مظهراً من مظاهر النشاط الشعبى فى هذا الميدان ، ولما كان المصير الذى انتهت إليه يجعل ارتباطها بجهاز الدولة خيراً من تركها حرة فى وضعها الأخير ، وهو وضع وقف بها عن الماضى فى سبيل تحقيق المشروعات الصحفية والثقافية الكبيرة التى أنشئت من أجلها ، وحصر جهودها فى أضيق الحدود .

هنا مكة المكرمة !

١

كان ذلك في يوم الحج الأكبر ...

التاسع من ذى الحجة سنة ١٣٦٨

ومئات الألوف من حجاج بيت الله الحرام يقفون في عرفات ،
مكبرين مهللين مبتهلين ، ومئات الملايين في العالم الإسلامي يتمجدون
بقلوبهم إلى ذلك الموقف العظيم ... حين انطلق صوت الإذاعة لأول
مرة من البلد الحرام هاتفا : باسم الله ، هنا مكة المكرمة !

وترددت أصدااء هذا الصوت الحبيب ، يجاوبها هتاف مئات الألوف
من حجاج بيت الله الحرام ، ومئات الملايين من مسلمي الأرض ...
وكانت أول كلمة تذاع ، هي الكلمة التي أعدها المخفور له الملك
عبد العزيز وألقاها نيابة عنه الأمير فيصل حيث قال : -

« أحمد الله الذي جعل من هذا البلد الحرام مشابة للناس وأمناً .
أحمده وأشكره والشكر من نعمائه ، أن يسر للناس حج بيته العتيق ،
وجعل قلوبهم تهفو إليه ، ليشهدوا منافع لهم ، وتتألف قلوبهم بذكر

الله ، في هذه البقاع الطاهرة التي كانت منزلاً للوحي لهدى الناس أجمعين .
وأصلى على رسول الله الذي بعثه بالهدى ودين الحق . . .

وبعد ، فإنه ليسرنا أن نخاطب إخواننا المسلمين في مشارق الأرض
ومغاربها ، من هذا البلد الحرام في هذا اليوم المبارك ، ونذناصح ونتواصى
بالحب والتقوى ، ندعو الجميع للتمسك بكتاب الله وإخلاص العبادة له ،
كما أمرنا ربنا « إياك نعبد وإياك نستعين » ندعو حجاج بيت الله الحرام
لنبتذل ما يخالف أمر الله واتباع ما أمر الله به ، كما ندعو كل المسلمين
لأن يجمعوا قلوبهم على كلمة الإخلاص ، وأن يزيلوا ما بينهم من
خلافات ، وأن يعتصموا بحبل الله .

هذه دعوتنا لإخواننا المسلمين عامة وإخواننا العرب خاصة . ولأننا
لنرجو الله مخلصين ، أن يتقبل من إخواننا حجاج بيت الله الحرام
حجهم ، وأن يستجيب دعاءهم ، وأن يعيدهم إلى أهلهم فائزين غانمين
بغفرانه ورضوانه ، وأن يهدينا جميعاً سواء السبيل .

والإذاعة العربية السعودية كانت فكرة في خاطر « الأمير » سعود
ولي العهد ، كاشف بها والده جلالة الملك عبد العزيز ، وأيد جلالته هذه
الفكرة وأمر بتنفيذها ، ثم عهد إلى الأمير فيصل بالإشراف على شئون
الإذاعة في مراحلها الأولى ليكشف لها كل أسباب الرعاية والنجاح ، حتى
إذا ما استقرت دعائمها ورسخت تقاليدها تولى الإشراف عليها معالي
« الشيخ محمد سرور الصبان وزير المالية والاقتصاد الآن ، وقام بإدارة شئونها

الاستاذ إبراهيم فودة الذى سار بها فى طريق التطور خطوات واسعة ،
ثم ألحقت أخيراً بالمديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر .

وقامت الإذاعة العربية السعودية أول الأمر على قمة جبل هندى
بمكة المكرمة ، ثم اتسعت مرافقها فشغلت داراً أخرى بمكة وأنشئ
لها « استديو » بجدة ، ثم أقيمت فى جدة محطة لإرسال قوتها ٥٠ كيلوات
وقد افتتح الملك سعود هذه المحطة مساء يوم الثلاثاء ٧ صفر
سنة ١٣٧٧ الموافق ٣ سبتمبر ١٩٥٧ .

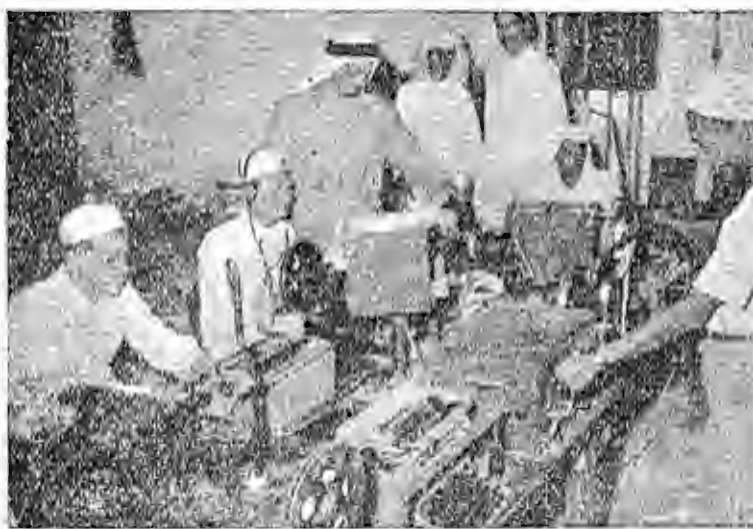
وتذيع دار الإذاعة العربية السعودية برامجها الآن على موجة
متوسطة طولها ٤١٣ متراً بذبذبة قدرها ٧٢٥ كيلو سيكل فى الثانية ،
وتوجهها على خمس موجات قصار اتجهاتها وأطوالها كما يلي :

- ١ - الرياض ومنطقة البحر العربى ٣١٣ متراً نهاراً و٧٥ متراً ليلاً
- ٢ - المدينة المنورة واليمن والسودان ٧٦٩ متراً .
- ٣ - جمهورية مصر ٢٥٢ متراً نهاراً و٤٨٩ متراً ليلاً .
- ٤ - سوريا ولبنان ٢٥٥ متراً نهاراً و٥٠٩ متراً ليلاً .
- ٥ - العراق والمملكة الاردنية الهاشمية ٢٥٦ متراً نهاراً
و٤٩٣ متراً ليلاً .

وهناك موجة قصيرة طولها ٥٠٢ متراً يذاع عليها من الحرم
مساء كل يوم القرآن الكريم وأذان العشاء . وتتضمن برامج الإذاعة
القرآن الكريم ، والأحاديث الدينية والاجتماعية والثقافية ،



الدكتور طه حسين في زيارة دار الإذاعة السعودية



أجهزة الاستقبال في محطة الإذاعة السعودية

والتشكيلات ، والموسيقى ، والتعليقات السياسية ، والأخبار العالمية والمحلية ، والأركان المتنوعة ، والتسجيلات الخارجية لصور النشاط الاجتماعي والاقتصادي في البلاد. ويشترك في هذه البرامج كثير من أعلام الفكر والثقافة والفنون في العالم العربي والإسلامي . . .

كما تذيع من الحرم خطبة الجمعة والصلاة ، وأذان المغرب في شهر رمضان ، ومواقف الحج من مناسكه المختلفة كل عام .

وللاذاعة برامج خارجية تذيعها باللغتين الأوردية والاندونيسية ، يستمع إليها ملايين المسلمين في اندونيسيا والهند وباكستان ، كما يستمع إليها أبناء تلك البلاد المقيمون بالمملكة العربية السعودية . . .

وتصدر الإذاعة مجلة شهرية تسهم في النشاط الثقافي والإذاعي ، وتُنشر برامج الإذاعة باللغة العربية والأوردية والاندونيسية وقدسدت حيزاً كبيراً من الفراغ الذي أحدثته توقف مجلة الرياض عن الصدور .



في موكب العلم والثقافة

١

شهدت المملكة العربية السعودية في النصف الثاني من شهر يناير سنة ١٩٥٥ مهرجاناً رائعاً للعلوم والفنون والآداب ، إذ كانت مقراً لاجتماع اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية في دورتها التاسعة .

واعتقد أن اللجنة الثقافية لم تلق دورة من دوراتها من الاحتفال بأمرها وتركيز الاضواء عليها ، كما لقيت تلك الدورة ، ويرجع ذلك إلى عاملين أساسيين : أما أولهما فهو مكان انعقاد اللجنة ، وأما الآخر فهو شخصية رئيس اللجنة ...

إن عقد هذه الدورة في المملكة العربية السعودية ، وفي هذا الوطن العربي الأول ، مهد العروبة والاسلام ، قد جاء على ميعاد مع اليقظة التي بدت مظاهرها تتألق في كثير من نواحي الحياة الاجتماعية والثقافية ؛ هذه اليقظة التي نرجو أن تكون موصولة للأعماق بماضي هذا الوطن العزيز على كل عربي وكل مسلم ، وأن تكون امتداداً للرسالة التي حملها السلف فجعلوا من هذه الأرض منارة يهتدى بنورها

العالم ، حملوها في هذا الوطن ثم انطلقوا بها ينشرونها في مختلف أرجاء الأرض ..

فليس يكفي أن يكون هذا البلد الأمين الذي أشرق منه نور النبوة واندثقت منه رسالة الإسلام ؛ قبلة يتجه إليها المسلمون في الصلاة فحسب ، ولكن ينبغي أن يعود هذا البلد الأمين — كما كان — مصدراً للإشعاع القوى الذي يهتدى بنوره العالم ، وقبلة تتوحد حولها العقول والافهام كما توحدت القلوب والأرواح ...

ولا شك أن بين هذا البلد الكريم وبلوغ هذه الغاية أشواطاً بعيدة ، وأن هذا البعد الذي تخلف بمهد العروبة والإسلام عن مقامه الأول في ميدان الحياة ، إنما تقع الشبهة فيه على العرب والمسلمين جميعاً منذ آماد بعيدة ، شغل فيها العرب بنشر الإسلام وتوطيد أركانه في أقطار كثيرة ، وعلى مدى السنين والاحقاب كانت الحضارة العربية الإسلامية تزدهر في هذه الأقطار ، بينما ظل هذا البلد الأمين يحتر ذكريات أمجاده الأولى ، ولا حظَّ له فيما أثمرت رسالته في مختلف الأقطار من ثمرات تلك الحضارة .

ومن العجيب أن يكون مبلغ إيمان العرب والمسلمين بحق هذا البلد الأمين عليهم ، هو أنهم كانوا يتبارون فيما مضى من الزمان في إهداء التحف والنفائس إلى الكعبة وإلى المقام النبوي ، وأن تتنافس الدول العربية والإسلامية في المواكب التي تحمل ستائر البيت العتيق ، وأن يتبرع الأثرياء بالأموال صدقة على جيرة بيت الله ..

وقد كان خليفاً بهذا البلد الأمين أن يكون له النصيب الأول
فما أثمرت رسالته في تلك البقاع من عزة وعلم وحضارة ، وألا ينسى
أولئك المسلمون بعد أن مسكن الله لهم في الأرض واستحلفهم في كثير
من أقطارها ... ما في أعناقهم من دين لهذا البلد الأمين ، وما يقضيه
هذا الدين من الوفاء والاخلاص — لا على تلك الصور الهزيلة الذليلة ،
وإنما على الصور الكريمة العزيرة التي تليق بمكانة هذا البلد الأمين وفضله
على الإنسانية جمعاء ...

كان لابد إذن من أن يعلم العرب والمسلمون هذا الحق على وجهه
الصحيح ، وأن يؤدوا هذا الدين على صورته الكريمة ... علماً وحضارة
وانطلاقاً في ميدان الحياة ، إن لم يكفل له القيادة كما بدأ أول مرة ، فلا
أقل من أن يكفل له المساواة بالبلاد العربية والإسلامية التي قامت
أمجادها وبلغت أهدافها على أساس دعوته وهدى رسالته ...

وقد أذن الله لهذا البلد الأمين أن يبعث من جديد ، منذ استقرت
فيه دعائم الوحدة والأمن والعدل ، بعد أن كان ممزق الأوصال تستشري
فيه الفتن وتخترم الحرمات ، ثم منذ تفجرت فيه ينابيع الثروة المعدنية
فلم يعد عالة على الحبيج والهبات ... فما إن توافرت فيه هذه المقومات
حتى انطلق من عقاله يركض ركضاً في ميدان الحياة ويطوى أشواطه
غير وانٍ ولا متربث ، كأنما يحاول أن يستدرك ما فات وأن يلحق
بركب الحضارة من أخصر طريق ، وليس ذلك على الطبيعة العربية بجديد ؛
فقد استطاع العرب في صدر الإسلام أن يؤدوا رسالتهم وأن يقيموا

حضراتهم في أقصر مدة عرفها تاريخ الحضارات الانسانية ...

وفي هذا الوقت الذي تنبعث فيه النهضة العربية الاسلامية في هذا البلد الامين ، تتخذ اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية من هذا البلد مقراً لعقد دورتها التاسعة ، فتلقى من الاحتفال بشأنها وتركيز الاضواء عليها ما لم تلقه دورة من دوراتها السابقة في أى بلد من البلاد ...

ذلك لأن هذا الاحتفال وتلك الاضواء ، انما ينبعث كلاهما من معنى واحد نجتمع فيه الوفاء ببعض ما لهذا البلد الامين على العرب والمسلمين من حق ، والامل فيما ستحققه النهضة القائمة فيه من أهداف ..

هذا هو أحد العاملين اللذين ركزا على اجتماع اللجنة الثقافية في المملكة العربية السعودية الاهتمام والاضواء .

أما العامل الآخر ، فهو شخصية رئيس اللجنة ...

أنه الدكتور طه حسين ...

فمنذ أعلنت الصحف والإذاعة نبأ اعتزامه الحضور إلى المملكة العربية السعودية رئيساً للدورة التاسعة ، سرت في المجتمع العربي السعوى هزة عنيفة ، تختلف بواعثها ومظاهرها أشد الاختلاف ...

أما في محيط الشباب المثقف ، فقد كانت هزة النشوة والسرور ، بقدم عميد الأدب العربي ورائد النهضة الفكرية والثقافية ، إلى مهد العروبة والمسرح الاول لتاريخها المجيد ...



المؤلف مع الدكتور طه حسين عقب وصوله إلى نجدة . . .

وأما في محيط رجال الدين ، فقد كانت هزة الإنكار والازورار..
إذ كيف يدخل البلد الحرام رجل كانت له مذاهب وآراء سمجت
عليه في وقت ما ظللاً مريبة نكرام ١٩

وأما في محيط الشيوخ من أهل العلم والأدب ، فقد كانت هزة يشوبها
الاشفاق مما سيكون عليه موقف الدكتور طه حسين بين أولئك وهؤلاء...

٢

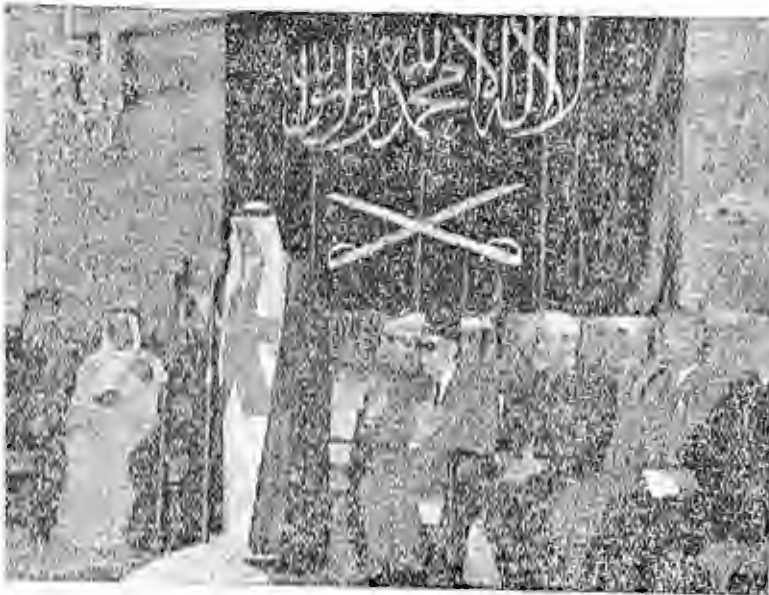
وحرصت على أن أختلي بالدكتور طه حسين في فندق الكندرة فور
وصوله إلى جدة ، ثم ألقيت إليه في صراحة مقنعة بكل هذا الذي أثاره
أمر زيارته للمملكة العربية السعودية ...

وعقدت اللجنة الثقافية يوم ١٥ يناير أول جلسة لها بفندق قصر
الكندرة ، وافتتح الدورة سمو الأمير فهد وزير المعارف بكلمة قيمة ،
ثم وقف الدكتور طه حسين ليلقي كلمته ...

وأرهم الجميع آذانهم وفلوبهم لما عساه أن يقول ...

واستفتح فيها جلالة الملك سعود ، ثم بدأ بقوله :

— سادتي : كان الفرنسيون في بعض أوقاتهم يتحدثون عن انتشار
ثقافتهم في الأرض فيقول قائلهم : أن لسكل مثقف وطنين ، أما أولهما
فوطنه الذي ولد ولشأ فيه ، وأما الآخر ففرنسا التي تتقف فيها أو تلقى
الثقافة عنها ...



الأمير فهد يفتتح الدورة التاسعة للجنة الثقافية



الدكتور طه حسين يلقى كلمته في حفل افتتاح الدورة

وهنا ظهرت على الوجوه آثار انفعالات شتى .. بعضها يئبي* عن
النرصد ، وبعضها يئبي* عن الإشفاق !!
ولكنه حين استطرده فقال :

— ... وكنا نسمع هذا الكلام ، وكنا نرى فيه شيئا من حق
وكثيرا من سرف ؛ ولكن الذى أريد أن أقوله الآن هو الحق كل
الحق ، لا نصيب للسرف فيه من قريب أو بعيد ، فاسكل مسلم وطان
لا يستطيع أحد أن يشك فى ذلك شكاً قويا أو ضعيفا ... وطنه الذى
نشأ فيه ، وهذا الوطن المقدس الذى هداه إلى الهدى ، والذى يسره
للخير ، والذى عرفه نفسه وجعله عضوا صالحا مصلحا فى هذا العالم الذى
نعيش فيه ...

عندما قال الدكتور طه حسين هذا القول ، تبدلت آثار
الانفعالات على الوجوه ... فقد تنفس المثقفون الصعداء ، ومسح
المتربصون على عيونهم يتأملون هذا الواقف على المنصة يلقى هذا
الكلام .. هل هو حقيقة الدكتور طه حسين ؟
ومضى الرجل فى خطابه المتدفق الساحر حتى قال :

— .. وثقوا أننا لا نغلو ولا نتسكث ولا نفاخر بالباطل ، اذا
قلنا إن الغرب الأوربى والأمريكى الآن على تفوقه ، إنما هو مدب
بتفوقه كله لهذه الأصول الخصبة الدائمة التى نقلها العرب إلى أوربا فى
القرون الوسطى ، ولا ينبغي مطلقا أن نتخرج من أن نطالب الأوربيين
— وقد طالبتهم كثيرا — بأن يردوا إلى الشرق بعض دينه عندهم ،

والأ يكتونوا ملتوين بما عليهم من الدين ... لا أن يسرفوا فى العزة بالإثم ، ولا أن يبعثوا على الذين أحسنوا اليهم ، والذين علموهم كيف يكون الإحسان !

ثم يتحدث الدكتور طه حسين عن واجب العرب الآن نحو أنفسهم، ونحو الأمانة التى ورثوها عن أسلافهم ، ويمضى فى حديثه فيقول :

— ... وواجب آخر يفرضه علينا الدين الذى أوحى إلى الإنسانية فى هذه الأرض المقدسة ، وتفرضه العروبة التى نقلت هذا الدين من هذه البيئة المقدسة إلى أقطار الأرض ، وهذا الواجب لا سبيل إليه الا بالعلم والثقافة ... هذا الواجب هو أن نكون هداة ، وقد أمرنا الله أن نكون هداة ؛ وقد ائتمننا على دينه لنشره ما وجدنا إلى نشره سبيلا ، وأمرنا أن نكون دعاة إلى الخير ، أمرين بالمعروف ، مسارعين إلى الخير ، نصنع هذا كله لا لشيء الا لتكون جديرين بهذا الدين الذى حملة العرب حملوا أمانته .

واختتم الدكتور طه حسين خطابه الرائع بقوله :

— أما بعد ، فاني أسعد الناس وأعظمهم غبطة بأن أشعر الآن بأننى أتحدث فى بلاد العرب التى عاش فيها محمد — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه ، وفى البلاد التى مر عليها وقت كان أهلها يقولون فيه : ما أشد قرب السماء إلى الأرض ... ثم مر عليها وقت بعد وفاة النبى كان بعضهم يبكى لأن شخص محمد قد انتقل إلى الرفيق الأعلى — بل لأن خبر السماء قد انقطع عن هذه البلاد !!

ودوت القاعة بالتصفيق . . .

تصفيق الايدى والقلوب !!!

وكانت هزة عنيفة ، لم تختلف بواعثها ومظاهرها هذه المرة في جميع
الاطراف ، هزة الغبطة والتقدير في محيط الشباب المثقف ، وشيوخ العلم
والادب ، ورجال الدين . . . على السواء !!!

ثم اذن للاذاعة التي سجلت هذا الخطاب ، بأن تنذره على الملأ
في المساحة العربية السعودية وفي مختلف الآفاق . . .

٣

ثم كانت الصورة الرائعة يوم أحرم الدكتور طه حسين لاداء
العمرة . . .

وهناك في المسجد الحرام طاف الدكتور طه حسين بالكعبة المشرفة ،
والتمت شفقاته بالحجر الاسود في قبلة عميقة خاشعة !!
وعاد الرجل يستأنف عمله في اللجنة الثقافية . . .

وفي الحفل الذي أقامته مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر لتكريم
أعضاء اللجنة الثقافية ، كان الاستاذ عبدالله عريف رئيس تحرير
جريدة « البلاد السعودية » وقتئذ ، يهمس في أذن الدكتور
طه قائلاً :

— بماذا دعوت الله وأنت تطوف ببيتته العتيق ؟ !

فأجاب الدكتور طه باسماً :



— ما أجرأكم أيها الصحفيون . . . إنكم لاتكتفون بأن تحاولوا
أن تدخلوا بين المرء وقلبه ، ولكنكم تحاولون أن تدخلوا بين المرء وربه !
على أن الدكتور طه حسين أجاب على هذا السؤال عندما عاد
إلى مصر وسأله الأستاذ كامل الشناوى فى حديث له بمجلة آخر ساعة :
— كيف كان شعورك وأنت فى هذه الأماكن المقدسة ؟

أجاب يقول :

— لقد سألتنى هناك مثل هذا السؤال . . . وقلت لهم : ما بالكم
تقحمون أنفسكم بين المرء وربه ! ؟



قال الشناوى :

لأننى بهذا السؤال لا أقحم نفسى بدينك وبين ربك ، ولا بدينك وبين قلبك .. ولكن أحاول أن أقحم معلوماتى عن المفكر الثائر ، طه حسين .
لقد عرفتك لا تبالى ما يقول الناس عنك ، وما أكثر ما صنعوا ..
لقد اتهموك بالكفر ... ووصل الأمر إلى النيابة العامة ، وخرجت من الاتهام بريئاً نقياً ... كان لذلك منذ ربع قرن أو أكثر ، عندما ألفت كتاباً عن « الشعر الجاهلى » .

... لقد عرفتُ الشائعات ، فمن حقى إذن أعرف الحقائق !!
وأطرق الدكتور طه حسين ، ومسح جبينه يده ، كأنما يحاول أن ينفض عن رأسه غبار بعض الذكريات ، وقال :

— لقد سبق أن عشت بفكرى وقلبي في هذه الأماكن المقدسة
زهاء عشرين عاماً ، منذ بدأت أكتب « على هامش السيرة » حتى الآن .
ولما زرت مكة والمدينة أحسست أني أعيش بفكرى وقلبي وجسدى
جميعاً ، عشت بعقلي الباطن ، وعقلي والواعى . استعدت كل ذكرياتي
القديمة ، ومنها ما هو من صميم التاريخ ، ومنها ما هو من صميم العقيدة .
وكانت الذكريات تختلط بواقعي فيبدو حقائق حيناً ورموزاً حيناً . .
وكان الشعور بها يغمرني ويملا جوانب نفسي . .

قال الشناوى :

— هل أخرجك هذا الشعور عن المؤلف ؟

فأبتسم الدكتور طه وقال :

— على أى حال لم أصل إلى درجة الانجذاب . . كنت دائماً في
كامل وعي . أخذتني الرهبة والخشية والخشوع كل ما أخذ عندما كنت
وحدى !

فسأله :

— هل زرت الأماكن المقدسة مرتين ؟

وأجاب :

— لا . . . بل زرتها مرة واحدة ، وكنت في هذه المرة الواحدة

مع الناس ومع نفسي في وقت معا !

قال الشناوى :

— هذا كلام يحتاج إلى إيضاح . . .

فقال الدكتور طه حسين :

... إليك هذا الإيضاح . لقد جرت العادة عندما يصل المرء إلى
الكنيسة ، أو المسجد النبوى ، أن تتسلط طائفة من الناس يسمون في
مكة « بالمطوفين » أى الذين يقومون بإجراءات الطواف بالكنيسة ،
ويسمون في المدينة « بالمزورين » أى الذين يقومون بإجراءات الزيارة
لقبر الرسول عليه السلام . وقد حاولت جهدى أن أنخلص من المطوفين
والمزورين ، « لكن محاولاتي ذهبت هباء ، ووجدتني بين أيديهم أردد
بلا وعى ما يقولونه . . . ووجدتني في الوقت نفسه وحدى وإن كنت
في صحبهم . . . كمت شخصيتين : شخصية واعية بلا كلام ، وشخصية
متكلمة بلا وعى !!

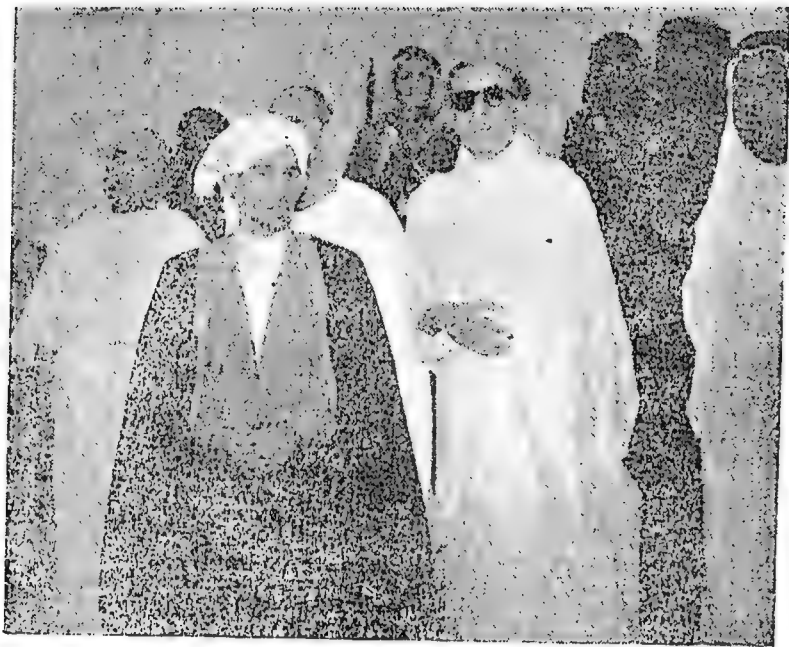
كانت الشخصية المتكلمة بلا وعى تردد كلام المطوفين والمزورين ،
وكانت الشخصية الواعية بلا كلام تماجى ربهما في صدق وصمت
وخشوع . . .

قال الشناوى :

— وبماذا ناجيت ربك في صمت وخشوع . . .

فأجاب الدكتور طه :

— قلت له ، سبحانه : اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات
والارض ، ولك الحمد أنت قيم السموات والارض ، ولك الحمد أنت
رب السموات والارض ومن فيهن . . . أنت الحق ، ووعدك الحق ،
والتار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق . . .



اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ،
وبك خاسمت ، واليك حاكمت .. فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ،
وما أسررت وما أعلنت ... أنت الهى ، لا إله إلا أنت ۝ ١ ۝

٤

وكان اجتماع اللجنة الثقافية فى الأرض المقدسة ، مهرجانه ثقافيا
تجاوز نطاق اللجنة فشمل المجتمع كله ، وأعاد إلى الأذهان صورة
أسواق العرب الأدبية فى الجاهلية .. عكاظ ، وذى المجنة ، وذى
الحجاز ... إذ أقيمت فى كل مكان الحفلات الحافلة ، يتحدث فيها أعضاء
اللجنة الثقافية من مختلف الدول العربية ، وعلى رأسهم الدكتور طه

حسين ، ويتجاوب معهم في بلاغة المصطفى وأصالة الشعور أدباء المملكة العربية السعودية ، تجاوبا بهر القلوب والاسماع ، وكشف عن عناصر مبدعة قادرة في ميادين الفكر وفنون الادب ..

وفي غمار هذا الموسم الثقافي الرائع ، تلقيت رسالة من ابني عبد الرحمن ، وهو طالب صغير أولع بالشعر نظما ورواية ، يسألني فيها :
— هل في الجزيرة العربية شعراء معاصرون ؟

واذا كان ثمة شعراء ، فهو يطلب مني أن أبعت اليه بمختارات من شعرهم ، لينمي في نفسه موهبة الشعر . . .

ووقفت طويلا عند هذه الرسالة ، واسترجعت الصور القوية الرائعة التي فتن بها شعراء الجزيرة في الجاهلية والإسلام ، قلوب العرب والمسلمين وعقولهم ، وغير العرب والمسلمين ، وهزت مشاعرهم على تعاقب العصور والأجيال . .

هذه الصور القوية الخالدة التي افنتت بها الكبار في دراساتهم الادبية ، والتي جعلت من الصغار — في حدود ما يقرأون وما يسمعون — من يتطلع بذوقه الأدنى إلى تلك المراتى اللامعة التي انعكست منها هذه الصور الرائعة . . إلى تلك البيئة العربية الخالصة التي ألهمت أولئك الشعراء فنون شعرهم القوي الجميل .

وليس هذا التساؤل عن الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية وعن الشعراء المعاصرين . . عما يدور في خلد هذا الصبي وأمثاله خصب ، ولكنه يدور كذلك في أخلاذ كثير من الأدباء والمثقفين في البلاد

العربية ، ولا أستثنى أولئك الذين ينسبهم أمر الأدب ويحسون على رصد معاملة وخصائصه واتجاهاته في مختلف البلاد العربية .

وقد سمع الدكتور طه حسين في رحلته هذه كثيراً من الشعر الحديث ، فلم يملك إلا أن يبدى إعجابه بما سمع ، وأن يعلن إعجبه إذ يسمع لأول مرة هذا اللون من الشعر القوي البديع ، وعقبه على أولئك الشعراء أنهم لم ينشروا شعرهم هذا على الناس ليعرفوه ويقدروه .

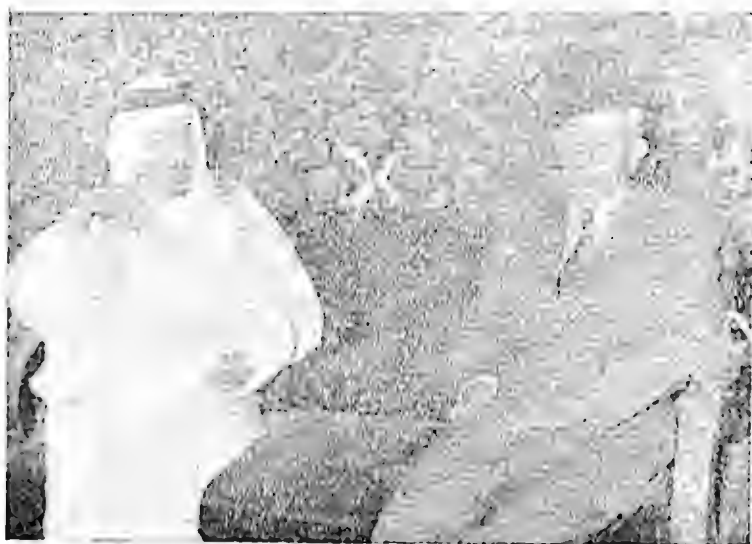
في هذه الملامح إذن شعر وشعراء ، وأدب وأدباء ... ومن هؤلاء من يقتصد الصف الأول بين أعلام الشعر والأدب في العالم العربي ، ولكن مكانه هذا قد يخفى على الكثيرين ؛ لأن وسائل النشر والإذاعة لم تبلغ بشعرهم وأدبهم الآفاق التي ينبغي أن يخلق فيها وتتردد فيها أنغامه وأصدائه ...

إن شاعراً واحداً خُصِب ، هو الذي استطاع شعره أن يطير في الآفاق وأن يتردد صدهاء في البلاد العربية ، ذلك هو الأمير عبد الله الفيصل ، وإن شعره لجدير بذلك ، ولكن من الحق أن نقول إن مكانة الأمير هي التي مكنت شعره من أن يجاوز الحدود ، وأن يطوف في الآفاق .

ولهذا كان على الأمير الشاعر واجباً مفروضاً نحو الشعر والشعراء في هذه البلاد ، هو أن يقيم دولة الشعر ، ويؤدى حق أولئك الشعراء في أن يبلغ شعرهم ما بلغ ديوان « محروم » من تألق في سماء الأدب وانطلاق فيها وراء الحدود .



الدكتور طه حسين مع الوفد السعودي في اللجنة الثقافية



الشاعر المحروم . . . والأخطل الصغير

وليس هذا مقام الحديث عن رواد الشعر وأعلامه في المملكة العربية السعودية وعرض نماذج من شعرهم القوي الرائع . ولكن حسبي أن أشير إلى بعض الأسماء ... محمد حسن عواد ، وفؤاد شاكر ، وأحمد إبراهيم الغزاوي ، وإبراهيم أمين فودة ، وخير الدين الزركلي ، وحسن عبد الله القرشي ، ومحمد بن علي السنوسي ، وطاهر زخشري . وحسبي الآن هذه الإشارة الموجزة العجلى ، إلى لقاء آخر أوفى فيه حق أولئك وغيرهم من شيوخ الأدب وشبابه .

٥

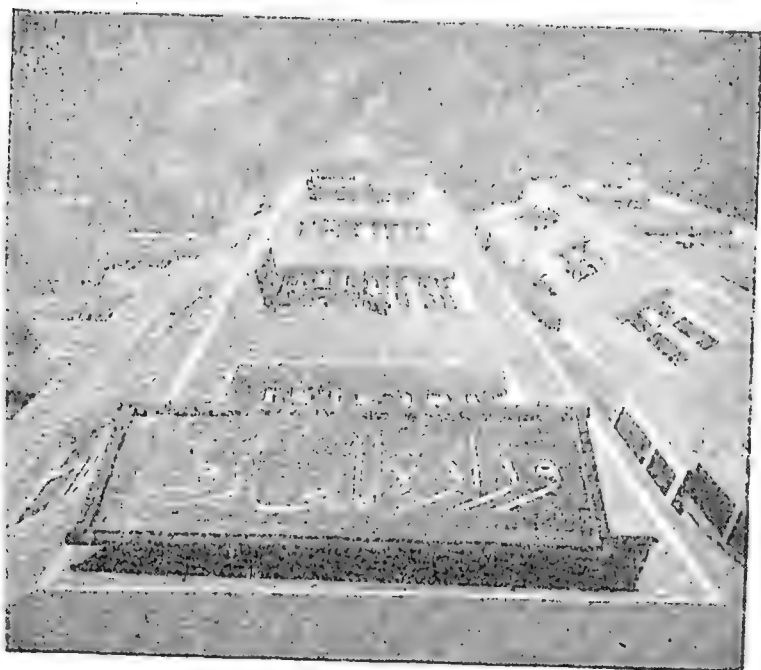
ويمكن أن نحدد التاريخ الحديث لليقظة العقلية والثقافية في هذه البلاد ، بقيام دعوة التوحيد في عهد الإمام محمد بن عبد الوهاب باعتبارها انتفاضة قوية كان لها أثرها في محاربة الخرافات وتحرير العقول من العقائد الباطلة ، وتحديد الصلة بمنابع الدين الصافية .

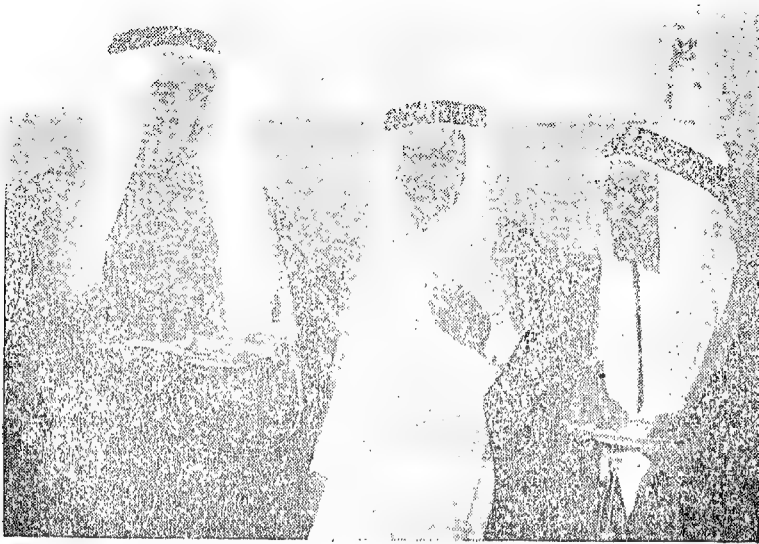
وكانت حلقات الدروس في الحرمین تؤدي رسالتها على صورة محدودة ، ثم برزت جهود طيبة للنهوض بالثقافة الدينية والمدنية على أيدي بعض الرواد الأوائل أمثال الشيخ رحمة الله الهندي ، والشيخ محمد علي زينل ، وأسرة السيد أحمد الفيض آبادي ...

فقد أنشئت معاهد العلوم الشرعية في المدينة ، والصلواتية والفلاح في مكة وجدة ، وفي هذه المعاهد تخرج طائفة كبيرة من القضاة والمدرسين والعلماء والادباء ، الذين ينهض بعضهم الآن بكتير من تبعات الحكم والإدارة والإنتاج في مختلف الميادين العامة .

أما النهضة التي قامت بها الدولة في ميدان الثقافة ، فترجع إلى نحو ثلاثين عاماً ، إذ أنشئ المعهد العلمي السعودي في الرياض لتخريج طائفة من الشباب يتولون مهمة التعليم في المدارس الأولية والابتدائية. ثم أُنشئت بعد ذلك عدة معاهد ابتدائية وثانوية ودينية في مكة والمدينة وجدة والطائف على نطاق محدود ...

وتطورت الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد بعد انبثاق موارد الزيت ، فكان لابد أن يصحب هذا التطور انطلاق في ميدان التعليم والثقافة ، يهيء أبناء هذه البلاد لاستيعاب الحياة الجديدة والاسهام في حمل أعبائها في مختلف الميادين ...





ومن ثم شهدت المملكة العربية السعودية في العهد الأخير ما يشبه
الطفرة في نشر التعليم والاختذ بجميع أسبابه ، كما يصورها هذا
الاحصاء المقارن :

| السنة | عدد المدارس | عدد الطلاب | عدد المدرسين |
|-------|-------------|------------|--------------|
| ١٩٥١ | ٢٠٨ | ٣٤٨٧٧ | ١٠٥٣ |
| ١٩٥٥ | ٤٩٧ | ٥٣٤٣٤ | ٢١٨٨ |

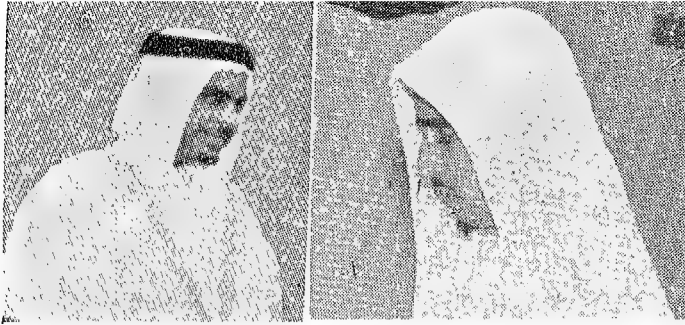
وهكذا نجد النهضة التعليمية قد سققت في مدى خمس سنوات ،
تقدما بلغت نسبته مائة في المائة ، وارتفعت ميزانية التعليم في خلال
هذه المدة من مليون جنية إلى خمسة ملايين ؛ الأمر الذي يدل —

لا على زيادة عدد المدارس بحسب - بل يدل كذلك على تنوعها وارتفاع مستواها بما افتضى زيادة ميزانية التعليم إلى خمسة أمثالها في هذه الفترة الوجيزة ...

ولبيان ذلك نورد هنا الإحصاء التفصيلي لهذه المدارس وأنواعها وعدد من فيها من الطلاب والمدرسين .

| أنواع المدارس | عددها | عدد الطلاب | عدد المدرسين |
|------------------|-------|------------|--------------|
| مدارس ابتدائية | ٤٧٤ | ١٩٥٧ | ٥٠٩٩٢ |
| » ثانوية | ١٢ | ١٣٥ | ١٣٥٥ |
| معاهد علمية | ٣ | ٥٨ | ٦٧٧ |
| » إعداد المعلمين | ٣ | ١٢ | ١٣٩ |
| مدارس مهنية | ٣٠ | ١٦ | ١٧٤ |
| كليات عالية | ٢ | ٢٠ | ٩٧ |
| المجموع | ٤٩٧ | ٢١٨٨ | ٥٣٤٣٤ |

وقد استقدمت وزارة المعارف السعودية عدداً كبيراً من الأساتذة المصريين ، من رجال وزارة التربية والتعليم والأزهر وغيرهم للتدريس في معاهدها المختلفة . وبلغ عدد هؤلاء نحو ستائة مدرس . كما أوفدت إلى الجامعات في مصر ولبنان وأوروبا وأمريكا بعوثاً كثيرة ممن أتموا الدراسة الثانوية ، وهي تكفل لهم نفقات التعليم والمعيشة عن سعة ، وبلغ عدد أعضاء هذه البعثات الآن نحو ألف طالب .

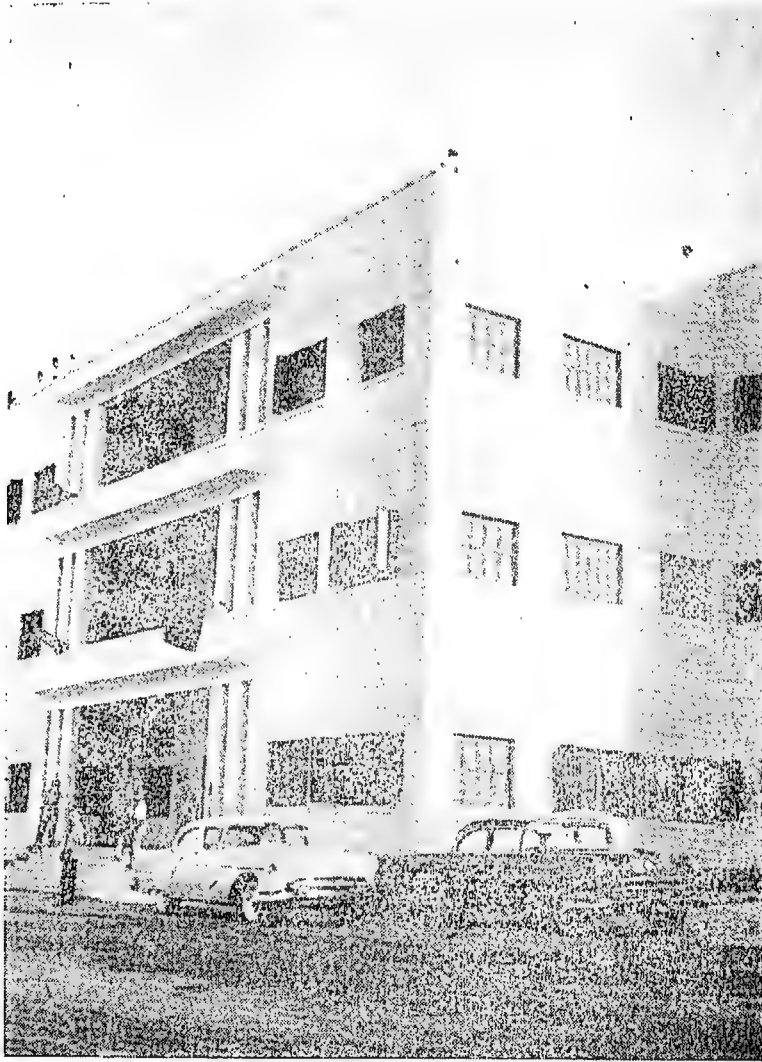


ناصر المنقور

الشيخ عبد العزيز الشبيخ

وقد عاد إلى المملكة عدد كبير من الجريجين الذين يشغلون الآن عدداً كبيراً من المناصب الهامة في الدولة ، ويسهمون في النهوض بمختلف مرافقها الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، ثم لم يكتفوا بأداء مهامهم الرسمية ، بل قاموا بإنشاء مؤسسة للثقافة الشعبية لنشر الوعي الثقافي بين المواطنين ، وإتاحة الفرصة للذين لم يستكملوا دراساتهم من الموظفين وغيرهم ؛ لكي يستدرکوا ما فاتهم ويحصلوا على إجازات دراسية تهيئهم للسكرتيرين منهم مجال النرقية في أعمالهم ومتابعة الشوط حتى نهايته بالانخراط في سلك الجامعات .

وهناك نوع من التعليم يتبع دار الافتاء ، هو التعليم الديني الذي تبلغ معاهده الثلاثين . وقد بلغت ميزانيتها في العام الماضي نحو مليون جنيه .

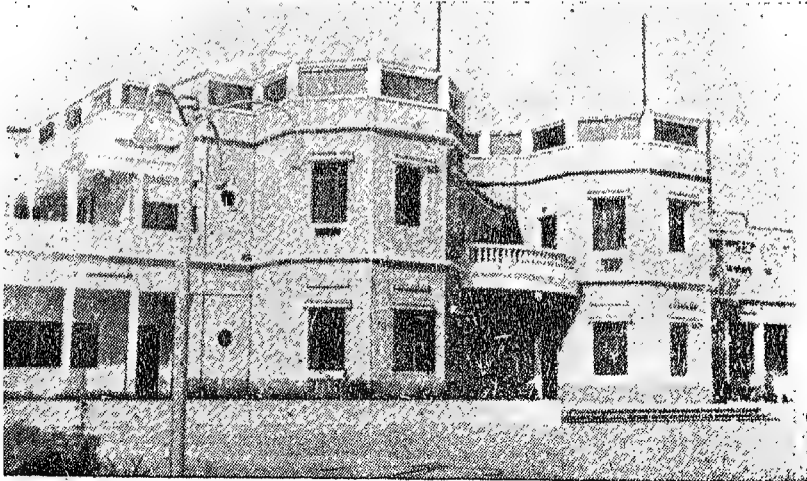


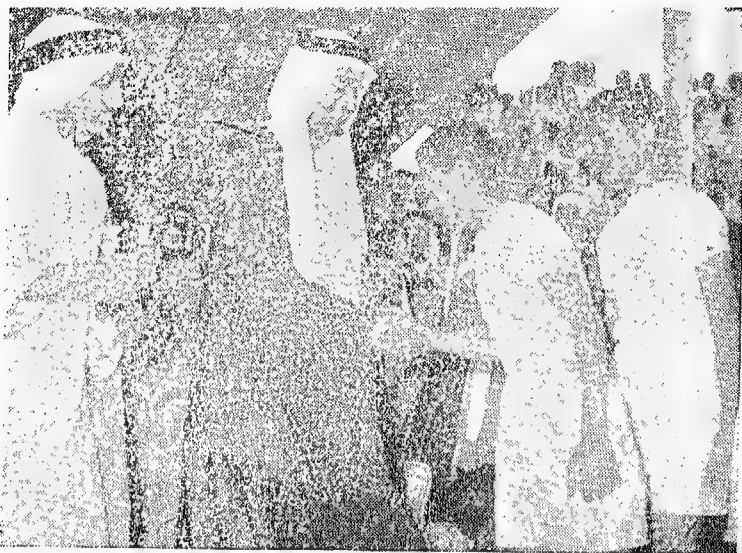
... وساهم الشعب في إنشاء المدارس . وأهدى آل الزاهد إلى وزارة المعارف
هذا المبنى الذي تشغله مدرسة الفلاح الثانوية .

والتعليم في مختلف مراحله وأنواعه بالبحر . بل إن المملكة العربية
السعودية تنفرد دون بلاد العالم بأنها تدفع لجميع طلبتها رواتب ثابتة
تصل في بعض الأحيان إلى ١٥ جنيهاً في الشهر ، عدا ما تتكفل به
نحو الكثيرين منهم من تدبير الإقامة والغذاء والكساء !

وحين تقرر منذ عامين استقدام جميع التلاميذ الذين يدرسون في
المدارس الابتدائية والثانوية في الخارج ، وإلحاقهم بمدارس المملكة
لينشأوا فيها نشأة قومية خالصة ، واجهت المسؤولين عقبة الأماكن التي
تواجه هذا العدد الوفير من التلاميذ ، وتتناسب مع مستوى المدارس
التي يتعلمون فيها بالبلاد الأخرى .

وعندئذ تبرع الملك سعود بعشرة من قصوره في جدة ، تحولت إلى
مدينة علمية على مستوى رفيع ، تشغلها الآن عدة مدارس نموذجية ...
ابتدائية وثانوية ، وكلية للعلمين ، ومعهد للصناعات ، وأقسام داخلية
لبعض الطلاب .





الامير فهد يوزع الجوائز على الطلبة في أحد المباريات

وتتخذ التدابير الآن لإنشاء جامعة الرياض ، وقد اختير الدكتور عبد الوهاب عزام مديراً لهذه الجامعة ، واختيرت لها مجموعة ممتازة من الأساتذة .

شيء واحد يعيب النهضة الثقافية في هذه البلاد ، هو أنه لا مجال فيها لتعليم البنات اللهم إلا في مدارس منزلية خاصة ، وفي أضيق الحدود . . . على أني أعتقد أن موجة التطور سوف تحتاج العقبات القائمة الآن في سبيل تعليم البنات ؛ فإن البلد المذى أنبت عائشة التي قال فيها الرسول ﷺ

« خذوا نصف دينكم عن هذه الخمر » ... وأنبت سكيمة بنت الحسين
التي كان يدور في فلسكها الشعراء والادباء ، وغير هذه وتلك من ربات
الفقه والادب في الجاهلية والاسلام ...

إن البلد الذي أنبت هؤلاء النساء نجوما لامعة في سماء العلم والادب ،
لا يمكن أن يتخلف طويلا عن مقامه في هذا الميدان .

٦

وثمة ناحية أخرى تتصل بالحياة العقلية والثقافية في هذه البلاد ...
إن ذخائر المعرفة تملأ صدور الكثيرين من شيوخ المملوكة العربية
السعودية وشبابها ، وإن لهم رصيذاً زاهراً وقدرة قادرة على الانتاج في
مختلف فنون العلم والادب ، ولكن تقف في طريقهم عقبات شتى تمكثهم
في صدورهم هذه الذخائر ، وتضعف عزائمهم عن الانطلاق
في هذا الميدان ...

وليس من هذه العقبات ضعف وسائل الطباعة والنشر في هذه
البلاد ؛ وإن كان لذلك أثر قبل لإنشاء مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر .
ولكن هذه العقبات تمكثهم تنحصر في شيء واحد ، هو الوصاية
المفروضة على المطبوعات ، والتي يتولاها فريق من رجال الدين ،
لا تتوافر لديهم الأهلية الكافية لمثل هذه المهمة الخطيرة ...

ولهذا تظل أصول الكتاب تحت النظر والمراجعة شهوراً ، وقد
تمتد إلى بضعة سنين .. حتى يصدر الإذن بطبع الكتاب ، هذا إذا قدر
لهذا الإذن أن يصدر !!

وترتب على هذا الأسلوب في رقابة الكتب أن سحقت حركة التأليف وفترت همة المؤلفين... اللهم إلا من تمكنهم ظروفهم من طبع مؤلفاتهم في مصر أو لبنان !!

والعجيب في الأمر أن هذه الوصاية لا تفرض إلا على الكتب التي يراد طبعا داخل المملكة، أما الكتب المطبوعة التي تحصل إليها من الخارج وتغرق أسواقها من كل لون وفي كل فن مباح أو محظور.. فلا تصل إليها هذه الأيدي التي تبطش بحركة التأليف والنشر داخل البلاد !!

وهذا أمر لا يدعو إلى العجب بقدر ما يدعو إلى الأمل في أن تنحسر هذه الوصاية عن ميدان النشر المحلي حتى لا تظل هذه المفارقة قائمة، وحتى تزدهر حركة التأليف والنشر ثم لا يكون انتاجها قاصراً على النشر داخل البلاد، بل يمتد إلى غزو الأسواق الثقافية في جميع البلاد العربية؛ فإن من هذا الإنتاج الموءود ما لو أتيح له النشر لنافس كثيراً من الإنتاج الرفيع في تلك البلاد.

٧

ومما يستحق التسجيل في ميدان الثقافة، وفرة المكتبات العامة في هذه البلاد. وأهمها في مكة المكرمة مكتبة الحرم المكي، والمكتبة الماجدية، ومكتبة معالي الشيخ محمد سرور الصبان، ومكتبة الشيخ



الأمير مساعد بن عبد الرحمن
.. مكتبة قيمة في الرياض ..

عبد الوهاب دهلوى ، ومكتبة الأستاذ
إبراهيم فودة ، ومكتبة مدرسة تحضير
البعثات ، ومكتبة المعهد العلمى
السعودى .

وفى المدينة المنورة مكتبة الحزم
النورى ، ومكتبة شيخ الإسلام عارف
حكمت ، ومكتبة السلطان محمود ، ومكتبة
السلطان عبد الحميد ، ومكتبة بشير أغا ،
ومكتبة البساطى ...

وفى الرياض مكتبة جلالة الملك سعود ، ومكتبة عمه الأمير مساعد
ابن عبد الرحمن .

وفى جدة مكتبة الشيخ محمد نصيف ، ومكتبة معالى الشيخ
محمد سرور الصبان ، ومكتبة الشيخ أحمد عبد الرحمن باعشن ، ومكتبة
الشيخ يوسف زينل ، ومكتبة الشيخ حسونة ، ومكتبة الشيخ
محمد خليل عناني (١)

(١) للعناني ندوة أدبية طالما جعنا أسرارها ، وطالما نعمنا فيها بفتون الرواية
التي برع فيها الصديق الأستاذ مصطفي الصباحي السكرتير الصحفي لمعالى وزير المالية ،
وأفانين الأدب التي يتطرحها رواد هذه الندوة ، وكثيراً ما كانت تحت هذه
الندوة بالانتقال إلى المائدة ، وهي مائدة فريدة تحوى مالد وطاب ، ولكن
أبرز أصنافها فيما أرى ، الغول المدمس والطعمية ... وناهيك بهذين الصنفين في
جدة من طعام شهى ، وإن كان لزميل الصحفي الشاعر الأستاذ محمد الحناوى
الحرر بالأهرام ، الذى شهد ندوة العناني ومائدته ، رأى في طعام العناني يخالف
هذا الرأى ، وقد ضمنه قصائد لازمة من شعره الجميل .



الشيخ محمد نصيف

الشيخ يوسف زينل

الظهران مكتبتان لشركة أزامكو ، إحداهما في المركز الرئيسي ،
رى لعمال الشركة ...

الظهور مكتبة آل مبارك ، ومكتبة الشيخ أبو العلا ملا ،
الشيخ أحمد ملا ، ومكتبة آل عبد اللطيف ، ومكتبة آل
تقادر .

كثير من هذه المكتبات مخطوطات نادرة ، ومطبوعات
سخ فريدة ، في مختلف الفنون العربية والإسلامية . ولهذا كان من
رى أن تعنى الدولة والقادرون من الأفراد بحماية هذا التراث
بتصوير المخطوطات النادرة ، ونشر الآثار القديمة ، والتعريف



السيد حسن الشربتلى

بما تحوى عليه هذه المكتبات
من ذخائر علمية وأدبية...
وقد بذلت الإدارة الثقافية
لجامعة الدول العربية بعض الجهد
فى سبيل ذلك، ولكنه جهد
ينبغى ألا يقتصر الأمر عليه،
وأن تحشد له جهود كبيرة
يدعمها الفن والمال.

ومن الجهود المشكورة فى
هذه الناحية ما أثمر عنه اجتماع
اللجنة الثقافية فى جده، إذ تبرع

السيد حسن الشربتلى بهذه المناسبة بخمسين ألف جنيه للمشر بعض
المعاجم العربية والمؤلفات القديمة، وتصوير بعض المخطوطات الهامة
مما تزرخ به هذه المكتبات وغيرها فى الشرق والغرب...



الحجيش العربي السعوي

١

... و التقيت دعوة من وزارة الدفاع لحضور المهرجان الذي يقيمه الجيش العربي السعودي بالطائف بمناسبة زيارة الملك سعود لهذه المدينة .

وفي يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٧٤ هـ حملني الطائرة من مطار جدة ، وبعد أربعين دقيقة كانت تهبط بنا في مطار الحويزة ، على مقربة من الطائف . وصحبني الأستاذ عبد الله بن صالح الفضل السكرتير الأول بالديوان الملكي في سيارته إلى دار الضيافة ، حيث استرحت بها إلى ما بعد صلاة العصر .

و كنت أتوقع أن يقام المهرجان في مكان عام ولكنني شهدت في هذا اليوم عجباً ، فقد كان المهرجان من نوع جديد ...

بدأ موكب الملك سعود سيره إلى مقر أول وحدة من وحدات الجيش خارج المدينة ، وهناك انضم إلى الموكب رتل كبير من السيارات تحمل المدعويين ، واخترق الموكب شوارع المعسكر وقد امتلأت بالجنود في صفوفها المنتظمة وأهبتها الكاملة ، وظل الموكب يطوف

بأنحاء المعسكر يحيى البطولة العربية المدرعة وتحميه ، وتمتلىء المشاعر ثمة
بهذا الجيش الفتى ، ونفراً بهضته الجبارة . . .

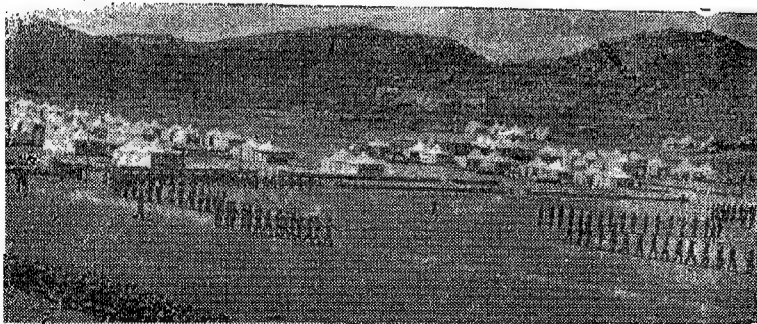
ثم لا ينتهى الاحتفال عند هذا الاستعراض الرائع ، بل ينطلق
الموكب بين الوديان ويصعد هضبة عالية ما إن يشرف على قمته
حتى يطالعنا معسكر آخر راibus فى القاع القسيح . . .

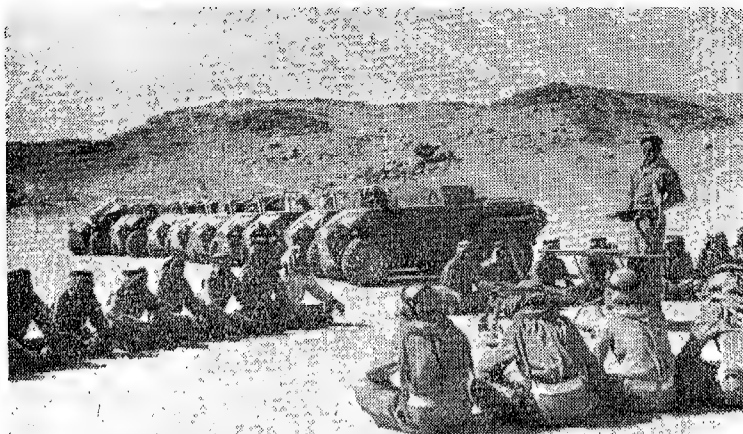
وهناك شاهدنا نوعاً آخر من أسلحة الجيش العربى السعودى ، إنها
وحدة ميكانيكية تملك أحدث الأسلحة والأجهزة والعتاد .

ثم ينطلق الموكب مرة أخرى . . .

ويسير فى طريق جبلية لا توحى بأن وراءها مكانا يزار . .

ولكن فجأة ينكشف أمامنا سهل مترامى الأطراف يحتضنه جبل
شاهق ، وفى هذا السهل القسيح معسكر ثالث لوحدة أخرى من وحدات
الجيش العربى السعودى الباسل . .





وهكذا ظللنا نحو ثلاث ساعات ، تنطلق بنا السيارات في جولة طويلة بين المعسكرات الغديدة المنبشة في معاقلها بين الاودية والجبال ، نشهد فيها صوراً رائعة لأسلحة الجيش المختلفة ، وقد توافر لرجالها إلى جانب البطولة التي تجرى في عروقهم مجرى الدماء - الاعداد القوي ، وأحدث ما تمدرج به الجيوش من أسلحة وعتاد .

ثم قصد الموكب إلى نادى ضباط الجيش حيث أقيم به احتفال كبير ، وبعد أن أدى الملك سعرد صلاة المغرب جماعة ، أديرت القهوة العربية واستمعنا إلى خطباء الجيش وشعرائه يحمون الملك ويؤكدون قوة الجيش واستعداده للتضحية والفداء في سبيل الوطن . ثم القى الشيخ

جمال الحسيني مستشار الملك
سعود كلمة وجهها جلالته إلى
رجال الجيش، وأعلن فيها منح
جميع الضباط والجنود راتب
شهر تقديرا لما أظهروه من قوة
ودربة ونظام . .

وانتقلنا بعد ذلك إلى موائد
العشاء، حيث صفت الأطعمة
على الطريقة العربية في كرم
وسخاء، ثم شهدنا بمسرح النادى
تمثيلية قدمها الجنود فيها تمجيد
للجندية وإذكاء للشعور الوطنى.
وبذلك انتهى هذا المهرجان
الحافل الذى أقامه الجيش في
هذا اليوم المشهود . . .

٢

وعدت استرجع تلك الصور
الرائعة للجيش العربى السعودى،
الذى كان نواته الأولى أربعون
رجلا انطلق بهم الشاب الجلد
عبد العزيز بن عبد الرحمن
آل سعود من منفى أسرته في



الأ مير فهد بن سعود وزير الدفاع



الزعيم إبراهيم الطامان
رئيس أركان حرب الجيش

الكويت ، ففتح بهم الرياض ثم وحد أمة وأقام دولة ...
وما زالت هذه المكتائب بملابسها العربية البيضاء تؤلف قسماً كبيراً
عن الجيش العربي السعودي ...

ثم اتجه الملك عبد العزيز منذ ذلك التاريخ إلى تطوير الجندية نحو
الاعداد الحديث ، واستعان في ذلك ببعض القواد العرب في الشام أمثال
نبيه العظم ، وفوزي القاوقجي ، وتحسين العسكري ، وطارق الإفريقي ،
وجعفر الطيار ، ومحسن الحارثي ، ولكن محاولاتهم في هذه المرحلة
كانت محدودة في نطاق ظروف البلاد المالية والاجتماعية ...

وبدأت نهضة الجيش في عهد الملك سعود تتطور تطوراً بعيداً
يمكن أن يوصف بالطفرة لا بالتطور ...

فقد عنيت الدولة بإرسال البعث إلى مصر وإنجلترا وأمريكا ،
واستقدام الخبراء لتدعيم أسس النهضة العسكرية في البلاد ، وإنشاء
المعاهد العسكرية والمستشفيات والمصانع الحربية والأسلحة
البرية والجوية .

وأهم المعاهد العسكرية في المملكة العربية السعودية ، كلية الملك
عبد العزيز الحربية بالرياض ... وقد شيدت مبانيها على أحدث طراز ،
وهي تتسع لـ ١٠٠ طالب في مرحلتها الأولى .

وقد أنشئت أخيراً بالظهران أول كلية بحرية بالمملكة ، لتخريج

العدد اللازم من ضباط البحرية ، الذين سيكونون نواة هيئة الاسطول
البحري في الجيش العربي السعودي .

وأنشئ في الطائف مستشفى عسكري باسم الامير منصور أول وزير
للدفاع ، وأقيم في الرياض مستشفى آخر يعتبر من أكبر المستشفيات
العسكرية في الشرق الأوسط . وهناك مستشفى ثالث في الدمام لا
يقل عنه ضخامة وكفاءة ، ومستشفى رابع في المدينة المنورة ، ومعمل
لتحضير الأدوية يعتبر الثاني من نوعه في العالم العربي .

وقد بدأ إنشاء المصانع الحربية بأول مصنع أقيم في الخرج ، وهناك
مصانع أخرى تعد مشروعاتها للتنفيذ ، لتكفل تزويد الجيش بالمعدات
الحربية الحديثة .

وإلى جانب الوحدات العسكرية البرية ، التي تمثل مختلف الأسلحة ،
أنشئ سلاح الطيران الحربي والمدني و فرق المظلات .

وبلغت ميزانية وزارة الدفاع والطيران في العام الماضي
١٩٧٢ر١٤٠١٦٩٠٤ ريالاً عربياً ، أي نحو سبعة وأربعين مليوناً
من الجنيهات ...



الملك سعود يوزع الجوائز على أول فرقة بلنود الغلات



اللواء محمد إبراهيم رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري
مع أعضاء بعثة الجيش العربي السعودي بالقاهرة

ولكم في القصاص حياة!

١

كان ذلك بعد ظهر يوم الجمعة أول أبريل سنة ١٩٥٥ .
وقد فرغت من أداء الصلاة في المسجد الحرام ، وجلست في مكان
بمجلس إدارة الحرم ، وهو أحد الابنية المتصلة بالمسجد كنت أوتر
الصلاة فيه وقد بدت من نوافذه المطلة على فناء المسجد ، السكينة المشرفة
قائمة في أستارها السوداء .

جلست عقب الصلاة أودى بعض التسابيح والادعية ، وإذا بي أسمع
ضجة خارج المسجد ، فنظرت من إحدى النوافذ المطلة على الشارع فإذا
بي أشهد الجند بضربون نطاقا على منافذه ، وإذا جماهير المصلين الغفيرة
قد تراحت خلف النطاق وعلى أسطح الدور ...

وسألت صاحبي :

— ماذا ؟

قال : اليوم قصاص ..

إن الضابط فريد سندی قتل زوجته حرقا ، وسينفذ فيه اليوم حكم
الإعدام ...

وكان هذا الضابط من أبطال الرياضة في الجيش ، واختلف يوما مع زوجته فضربها ضربة أصابت منها مقتلا . . . وخشى أن يفتضح أمره فأحرقها ليستر جريمته ، تلك الجريمة التي وقعت عن غير قصد ، فحوّلها إلى جريمة عامدة حمراء .

وأفلحت وسيلته تلك في إخفاء جريمته الأولى ، فقد كان ظاهر الوفاة أن الزوجة ماتت محترقة ، واحتواها التراب عدة أسابيع .

ولكن لم تلبث أشباح الجريمة أن تراءت من خلل الظلام ، وبدأ الخمس ينتشر بين الشفاه . . . وفزع والد القتل إلى الحكومة يطلب التحقيق والقصاص .

وكشف التحقيق عن سر المأساة . . .

وأصدرت المحكمة حكمها بالقصاص .

وعندئذ بدأت المحاولات مع ولي الدم ، تعرض عليه الدية لتفقدى حياة هذا البطل التعس .

إن القانون الشرعى يفتح هذا الباب من أبواب الأمل والفداء ، لعزّازاً منه لقيمة الحياة ، ولكنه ترك مفتاح هذا الباب في يد ولي الدم ، إن شاء قبل الدية ووهب غريمه الحياة ، وإن شاء تمسك بحقه وتمت كلمة القصاص . . .

ولكن ولي الدم رفض الدية .

رفضها في قيمتها المقررة ، ورفضها أضعافاً مضاعفة .

ولم يبق إذن إلا تنفيذ القصاص .

ونظرت من نافذة المسجد الحرام ، وقد أخليت الساحة التي بينه وبين « الحميدية » دار الحكومة في مكة ، إلا من الضباط والجنود . وهبط من الحميدية جنديان يمسكان بالقاتل من يمين وشمال ، وهو بينهما يكاد يقتلع خطواته ، حتى أجلساه في وسط الساحة راكعاً وقد قيدت يده إلى وراء ...

وانطلق المذيع يقول في صوت رهيب :

— بسم الله الرحمن الرحيم «ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب»
ثم يتلو صيغة الحكم، أسبابه ومؤداه ...

وكان يقف إلى جانب القاتل رجل أسود رهيب ، وقد وضع يده على مقبض سيفه . فما إن صمت المذيع حتى استل السيف ... وفي حركة خاطفة أهوى به على عنق القاتل ففصامها بضربة واحدة !

وحملت الجثة إلى المشرحة ، ثم علقت الرأس على لإحدى نوافذ الحميدية ، وظلت معلقة حتى صلاة العصر ، يمر بها الآلاف فتبعث في قلوبهم العبرة ، وتقضى في نفوسهم على نوازع الشر ، وتشعر الآمنين بحماية القانون .

وقد كان هذا المشهد عميق الأثر في نفسى ، وفي أنفس الذين شاهدوه مثلى لأول مرة ... وأحس أنه عنيف الأثر كذلك في نفوس الذين يشاهدونه من خلال هذه السطور ...

وقد يختلف رأى في هذا القصاص ، ولكن مهما يكن من أمر فإن

الحكم السليم في هذا الموضوع لا يتم إلا إذا توافرت له عناصر أخرى لا تتصل بالعاطفة المجردة ، أو القياس السطحي على ما يجري في البلاد الأخرى ...

هذه العناصر المستمدة من رواسب التاريخ في هذه البلاد ، التي كانت إلى ما قبل العهد السعودي مسرحاً للفتن والاضطرابات ، والاجتراء الفاجر على جريمة القانون ، والاستهانة الضارية بالأرواح ، ثم تحولت بإقامة الحدود إلى بلاد مثالية في الأمن والسلام .

٢

ولا يدرك الفارق الكبير بين حال الأمن اليوم وحاله بالأمس القريب أو البعيد ، إلا أولئك المخضرمون الذين أدركوا الحج في العهد الماضي ، ثم أدوه في العهد الحاضر . على أن هذا الفارق لا يخفى كذلك على من يزورون تلك البلاد الآن لأول مرة ، بل إنه ليهرم وتهرم المقارنة بين حال الأمن هناك وحاله في أي قطر من أقطار الأرض ، مهما يكن حظه من المدنية وقوة سلطان النظام والقانون ...

ومن الإنصاف أن أشير في هذا المقام إلى حقيقة تخفى على الكثيرين ، أولئك الذين يظنون أن ما كان يقع من البدو من عدوان على الحجاج لسلب أموالهم ، حتى ليبلغ بهم ذلك إلى سفك الدماء ... إنما يرجع إلى طبيعة البدو وتأصل روح العدوان في نفوسهم ، وهم أبعد ما يكون عن الحقيقة ، لأنه لو كان الاعتداء والسلب من خواص الطبيعة البدوية لسكان ذلك وفقاً على البدو دون غيرهم من

الناس ، ولما كان أهل الحضارة مبرئين من هذه المثالب — الأمر الذى تكذبه حوادث العدوان والسلب والنهب فى جميع البلاد المتقدمة ، بين الأفراد بعضهم وبعض بوسائلهم غير المشروعة ، وبين الدول ذات السطوة والسلطان ، التى تعتدى على الشعوب الغزلاء فتهدر دماءها وتسلبها حرياتهم وخيرات بلادها باسم المدنية والوصاية الدولية المدعاة ! وإنك لتعجب لذلك البدوى الذى ضربت نفسه على العدوان ، والذى يرتكب من الفظائع ما يكاد أن يجرده من إنسانيته ، كيف يجمع إلى ذلك من الفضائل والمروءات ما لا تبلغه الإنسانية الا فى مراتبها العالية . . .

ذلك كان شأن البدو فى الجاهلية والإسلام ، والشواهد عليه تماثلا التاريخ عبر السنين والاحقاب . وحسبى هنا موقف ذكره اللواء إبراهيم رفعت (باشا) أمير الحج فى كتابه « مرآة الحرمين » يدل على طبيعة البدو الأصيلة التى تحتفى تحت ركاب هذه المثالب والعيوب ، والتى يسهل إثارة فضائلها بلبسة خفيفة ، كما يلبس دالمخبر ، النبع الغنى بمائه قد غطته أطباق الرمال ، فاذا هو يتفجر عن مائه العذب المتدفق الفياض . . .

فقد ذكر ما كان يلقاه الحجاج بين ينبع والمدينة من عدوان البدو وجرائمهم ، كما كانوا يلقون ذلك فى مختلف الطرق والدروب . وزاد فى ضراوة أولئك البدو أن مصر منعت عنهم ما كانت ترسله اليهم من الاموال والأرزاق عدة سنوات . ووقع أمير الحج وركبه فى مأزق خطر لا يدرى كيف ينقذ منه ، وكيف يؤمن الحجاج مغيبته . فاستدعى

اليه زعماء القبائل وأخذ يباحثهم في الأمر ، ويساومهم على ما يطالبون به من أرزاق السنوات الماضية ، فلا تلين لهم قناة ولا يصل معهم إلى نتيجة ، ثم يجيء وقت الغداء فيقدم لهم الطعام ، فإذا طعموا وعاد أمير الحج إلى حديثه ذاك ، قال هؤلاء الزعماء لأنهم يزلون عن حقوقهم الماضية ضيافة له ، ردا على ضيافته لهم !!

بذلك عاجل أمير الحج المشكلة ، فنجح في علاجه بالقدر الذي أثار فيهم ما تنطوى عليه الطبيعة البدوية في أعماقها من فضائل ومروءات ... ولكن هل تسكن في هذه اللمسة الموقوتة المحدودة لعلاج الأمر علاجا حاسما ، يظهر هذه الطبيعة الأصلية بما غشينا من ركام المثالب والعيوب ؟ لا بد من «لمسة» أشد قوة وأعمق أثرا ، لمسة كذلك التي يعالج بها البدو أنفسهم بعض أدوائهم المزمنة المستعصية . . . السكى بالحديد الحمى في النار !!

وكذلك فعل الملك عبد العزيز . . .

وكذلك برى البدو من أدوائهم التي كادت تفسد عليهم طبيعتهم الأصلية ، فتنقلب بهم إلى وحوش ضارية تفتك بضيف الله ، وإنهم في طبيعتهم تلك مضرب المثل في رعاية الضيف وحماية الجار .

وحدثت المعجزة فور اللمسة الأولى ، وما تبدلت الأرض غير الأرض ، وإن البدو هم البدو والحجاج هم الحجاج ، ولكنها معجزة السماء التي لا تخيب في الأرض ، وكلمة الله التي لا تضل في خليقته ، قذف بها الملك عبد العزيز على الباطل فإذا هو زاهق ، وتبدلت الحياة

المضطربة أئنا وسلاما فى حرم الله ومأمن أضافه . . .

وقد أعجبتنى قصة للاستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى فى كتابه
« رحلة الحجاز » تصور ما حققته هذه المعجزة فى تلك البلاد من آثار ،
وتعتبر مثالا وعنوانا على ما يندرج وراءها من صور وأمثال . . .

فقد حدث أن أذن جهاز السيارة التى كانت تحمل المازنى فى طريقه من
جدة إلى مكة ، فزل منها فزعا وهو يحمل عصاه ، ويبدو أن العصا وقعت
منه وهو فى فزعه واضطرابه فلم ينتبه لها ، واستأنفت السيارة رحلتها بعد
أن أصلح جهازها ، حتى بلغت « الشميسة » قرب الغروب ، وهى إحدى
المحطات التى يستريح عندها الحجاج ، وعلى مقربة منها تقع « الحديبية »
المشهوره فى التاريخ بمعاهدتها التى أبرمت بين الرسول ومشرى مكة ،
حين منهوه من دخول مكة معتمرا فى ذلك العام . والى تمت فيها بيعة
الرضوان بين محمد وأصحابه . . .

قال المازنى :

— وهناك فى الشميسة استقبلنا وفد طويل عريض من مكة ، جاء
ليرحب بنا ويحتفى بقمءنا ، ويلبنا نحن نتحدث دعى مدير الشرطة أو
لا أدرى من هو إلى التليفون ، فاستأذن وذهب ثم عاد يسأل :

— هل لأحدكم عصا ؟

قلت : نعم أنا لى عصا ، ولكنها فى السيارة تركتها فيها لأنى لا
أدرى هل يجوز أولا يجوز أن يحمل المحرم عصا . . .

قال : وما أوصافها ؟

قلت : وما شأنك أنت بالله ؟ هي عصا والسلام . .
قال — لا لا لا ، لقد وجدت عصا في الطريق قرب الرغامة ،
فقطعت على الناس السبيل .

فضحكت وقلت : أؤكد لك أن عصاى تحترم القانون ولا تخرج
على النظام ، ولا تعرف قطع الطريق . . .

فلم يجد حتى بابتسامه ، وضاعت على "النكسة في هذا البلد الجاد ، وقال :
— ابحث عنها من فضلك ، فإن الطريق مقطوع ، لا أحد يروح
ولا أحد يغدو . . .

فهرولت في مشيتي إلى السيارة فلم أجد العصا ، فعدت وقلت له :
— هي عصا قاطعة الطريق ، فاسمح لي أن أعتذر بالنيابة عنها !
فمضى عني إلى التليفون ، وخفت أن يأخذوني بها ويجزوني بما
صنعت ، فإن للقوم هنا شريعة غير القانون المدني ، فعدوت وراءه
وأسررت إليه وهو يتكلم في التليفون :
— أذكر من فضلك أن الله تعالى يقول في كتابه المنزل : « ولا تزر
وزرة وزر أخرى ،

فلم يزد على أن التفت إلى وقال :
— هل نردها إلى جدة أو ندركم بها في مكة ؟
فقلت : لست أريدها والله ، فإنها فاجرة كما ترى . . . وأخشى أن
ينزرو برأسها خاطر آخر . أفلا يمكن دفنها في الرمال مثلاً ؟
فقال للتليفون — لا لى : أرسلها مع الشرطة إلى الضيافة . . .

فصحت به : لا لا ، ردها إلى جدة من فضلك ، فحسبي ما صنعت !
 فقال لمخاطبه في التليفون : « بل ردها إلى بيت العويني في جدة ... »
 قال المازني بعد أن أورد هذه القصة بأسلوبه الفكاهي :
 — وقد آمن ابن السعود الناس على أرواحهم وأموالهم بشيئين ،
 بقطع يد السارق وما يسمونه التصبيحة ...
 فأما السرقة وقطع اليد فأمرهما ظاهر لا يحتاج إلى بيان ، وقد قسا
 ابن السعود في أول الأمر ليزجر اللصوص ، حتى لقد حكوا أن رجلا
 جاء بكيس فيه بن وقال له :
 — هذا كيس بن لقيته في الطريق .

فسأله : وما أدراك أن فيه بنًا ؟ جسمسته أو فتحته ونظرت فيه ،
 ولو وجدت فيه مالا بدلًا من البن لأخفيته ولم تظهره ولم تسع به إلى ...
 كلا ، حتى أجلس لا يجوز ، اقطعوا يده !
 ومن أجل ذلك يقع الناس على الشيء في الطريق فلا يقربونه أبدًا ،
 بل بلغ من ازدجارهم أنهم زبما مالوا إلى طريق آخر غير الذي فيه الشيء
 المطروح ، حتى يمر شرطى فيحمله ويبحث عن صاحبه ، أو يملأونهم
 بالشرطى فيبلغوه . وإذا لم يقعوا على صاحبه نشروا في « أم القرى »
 إعلانًا تحت عنوان « لقطات ... »

وقد شهدت واقعة قريبة مما أشار إليه الاستاذ المازني ، يوم حملتني
 السيارة إلى العقبة لرمي الجار ، إذ وقفت السيارة إلى جانب الطريق ،
 فلما عدت من الرمي رأيت غلامًا يتكئ على نافذة السيارة لعله كان

يستريح . وقبل أن أصل إليه شاهدت شرطياً يتقضم عليه فتدخلت بينهما
أسأله عن الأمر فقال الشرطى :

— ما وقوفك هنا متكئاً على السيارة ؟

ولم أتهم الغلام ، ولم يكن ثمة ما يتهم به ، وتشفعت له أن يطلق الشرطى
سراحه وتشفع الكثيرون ولكن الشرطى أصر على أن يصحبه إلى
دار الشرطة وقال :

— يكفي أن يلبس بيده ما ليس له فى غيبة صاحبه لتقطع يده !

واختفى منى الشرطى والغلام فى زحمة الحجاج فلم أهتد إليهما ، ولم
أدر ما صنع الله بيده هذا الغلام التعيس . . .
قال المازنى :

« أما التصبيحة فشئ آخر ، تكون هناك عشيرة ضريت بالسطو ،
فيمندرها ابن السعود مرة ثم أخرى وثالثة ، فإن كفت وتركت الناس
آمنين واستقامت على الهدى فيها والله الحمد ، وإلا همس فى أذن واحد من
قواد جيشه أن يصحبها ، فيذهب الرجل فى فرقة من الجيش من غير أن
يفضى إلى أحد بغايته ومقصده ، ويجنب طريقه إلى العشيرة مواقع الماء
ويضرب بجيشه فى الصحراء التى لا تطؤها قدم ليظل أمره خافياً وغايته
مكتومة ، ويقع على العشيرة فى الفجر فيصلب بجيشه ، ثم يطلق عليها رجاله
فيصحبونها وهم يصيحون :

هبت هبوب الجنة وين لانت يا باغيها
خيالة التوحيد إخوان من أطاع الله

فلا يبقون على أحد ولا يذرون ...
ولم يصبح ابن السعود سوى عشيرة واحدة قرب المدينة منذ دخل
الحجاز ، لأن الأمر بعد ذلك لم يحوجه إلى تصحيحه أخرى ...
بهذه الحدود التي تقوم في المملكة العربية السعودية استقرار الأمن
والنظام ، وانتفت من بين سكانها في البدو والحضر نوازع الشر والعدوان ،
وهيمن روح القانون فكفلت لأهلها وللوافدين عليها من الحجاج
حماية الأرواح والأموال والأعراض ، وكان لهم في القصاص حياة !

* * *

والآن ماهو الجهاز الذي يسيطر على شئون الأمن العام في هذه البلاد ؟
... في دار الخيرية بمكة المكرمة ، وفي غرفة فسيحة إلى يسار
الداخل ، استقبلت اللواء طلعت وفا مدير الأمن العام ^(١) وكانت الغرفة
مفتحة الأبواب خاصة بموظفي الأمن يعرضون أوراقهم ، وبعدد قليل
من الجمهور لا يرد أحدهم عن الدخول لعرض مظلمة ، أو استنجاز مصلحة .
والمدير العام يشرف على هذه الأمور كلها في همة وحزم ورحابة صدر .
قال له أحدهم :

— إن لي في أحد الأفلام « معاملة » مضى عليها أحد عشر يوما
وهي مدة طويلة ...

فانتفض مدير الأمن العام انتفاضة متزنة وقال :
— كيف ؟ إنها ينبغي ألا تستغرق أكثر من يومين !
ثم استدعى أحد الجنود ليصحب الرجل إلى الموظف المختص ، وقبل
أن يغادر الرجل الغرفة قال له :

(١) كان ذلك في أواخر مارس سنة ١٩٥٥ قبل إحالته إلى المعاش



مدير الأمن العام يتحدث إلى المؤلف

— إذا صبح أن هذه « المعاملة » مضى عليها أحد عشر يوما عاقبت
الموظف المختص ، وإلا كنت أنت الذى تستحق للعقاب . . .

ومن بين المشاغل الكثيرة التى يضطلع بها مدير الأمن العام استطعت
أن أتحدث إليه وأسمع منه قصة هذا الجهاز الذى يشرف على الأمن العام
قال اللواء طلعت وفا :

— إن قصة الأمن فى هذه البلاد ، يقوم هيكلها على القرآن والسيف ،
وبهما استطاع جلالة الملك عبد العزيز — رضوان الله عليه — أن يحقق
فى هذه البلاد التى مرت عليها فترات طويلة لم يكن أحد فيها ليأمن على
حياته وماله وعرضه ، وكانت شريعة سفك الدماء والاعتماد على الأموال

والاعراض هي التي تسود المجتمع وتنحكم فيه . وبالقرآن والسيف كتب رحمه الله سطور هذه القصة الرائعة ، قصة الأمن المثالي في هذه البلاد ...

ثم أنشئت مديرية الشرطة وهي أول جهاز قام للإشراف على شئون الأمن ، وتطور هذا الجهاز فصار في سنة ١٣٤٤ هـ مديرية للأمن العام لها فروع في جميع أنحاء البلاد .

وقد استكمل هذا الجهاز كيانه على أحدث النظم تمشياً مع تطور الحياة الاجتماعية في البلاد ، وتفرغ الأمير عبد الله الفيصل وزير الداخلية لشئون هذه الوزارة ، بعد أن كان يجمع بين وزارتي الداخلية والصحة ، واستعانت الحكومة بالخبراء في مختلف الشئون العسكرية والإدارية ، وأوفدت البعثات إلى مصر وغيرها للالتحاق بمعاهدها البوليسية ودراسة النظم والأساليب الحديثة في شئون الأمن العام .

وقد قام الأمير عبد الله الفيصل وزير الداخلية بزيارة رسمية لمصر منذ عامين ، وقف فيها على أنظمة العمل في مختلف مرافق وزارة الداخلية عامة ، وشئون الأمن العام خاصة . وقد أنعمت الحكومة المصرية على سموه بنيشان الجمهورية من الطبقة الأولى بمناسبة هذه الزيارة ، وأعرب البكباشي زكريا محيي الدين وزير الداخلية المصرية لضيفه الكريم ، عن استعداد مصر لتقديم كل المساعدات والمعونة اللازمة لخدمه الأمن العام في المملكة العربية السعودية ، فرد سموه على ذلك بقوله :

— إنني أعتبر مصر والمملكة العربية السعودية بلداً واحداً ، وأعتبر الأمن السعودي جزءاً لا يتجزأ من أمن جمهورية مصر .



وتتألف مديرية الأمن العام من عدة أقسام ، تتولى شئون الشرطة ومدارسها ، والمباحث الجنائية والتحقيقات ، والجوازات والجنسية ، والشئون الإدارية والحقوق العامة ...

وقد بدأت جولتي في أقسام المديرية العامة يرافقي الأميرالاي حسين زقزوق وكيل الأمن العام للشئون الإدارية ، فزرت إدارة المباحث الجنائية والتحقيقات ويرأسها البكباشي عبد الرازق سعادة ، وهناك شهدت مجموعة من أحدث الأجهزة التي تستخدم في المباحث الجنائية ، وقد أجرى الخبير المصرى الصاغ حافظ عزيز السيد على أحدها تجربة عجيبة ...

لأنه جهاز يعتبر من أخطر الأسلحة ضد الإجرام والمجرمين ، وهو يشبه جهاز الراديو في حجمه ولوحته ، تتصل به أغلفة معدنية توضع في أصابع المتهم . وبدأت التجربة بأن طلب الصاغ حافظ عزيز من أحد الأشخاص أن يكتب في خلوة رقما من بين الأرقام التي تتراوح بين واحد وخمسة ، وإذا كان المتهم أمياً طلب منه إخفاء قطعة من النقود في جيبه ...

وانتخى الرجل بعيداً فكتب رقما من بين هذه الأرقام ، ثم أخفى الورقة في جيبه وعاد لجلس أمام الجهاز ، وقد وضع في إصبعين من يديه الغلافين المعدنيين المتصلين بالجهاز .



الجهاز الرهيب الذى يفضح سر المجرمين

وقال له الصاغ حافظ :

— إني سألك عن الرقم الذى كتبته ... هل هو واحد مثلاً ،
هل هو ثلاثة ... وعليك أن تجيب فى كل مرة بكلمة لا ... حتى ولو
كان الرقم الذى أسألك عنه هو الذى كتبته فعلاً .

ثم أدار مفتاح الجهاز وبدأ يلقى عليه الأسئلة واحداً بعد الآخر ،
فيجيب على كل سؤال بالنفى ، والضابط يرقب أمامه لوحة الجهاز التى
كان يتحرك عليها « مؤشر » شديد الحساسية ، يسجل عند كل اجابة
حركة قصيرة ، أو لا يكاد يتحرك ، وفى حالة واحدة تحرك المؤشر
إلى نهاية مداه ...

كان ذلك عندما سأله :

٦ هل الرقم الذى كتبته هو أربعة ؟

فأجاب كعادته : لا ...

وعندئذ طلب منه أن يبرز الورقة التى معه ، فاذا مكتوب بها

الرقم أربعة ١١

ثم تكرر التجربة مرة أخرى ، وأدت إلى النتيجة نفسها ، وكانت تلك هى المرحلة الأولى لاختبار حالة الكذب عند المتهم ؛ إن الجهاز بحساسيته الدقيقة وقدرته على رصد المؤثرات النفسية فى إجابات المتهم ، يستطيع أن يسجل بكل دقة ووضوح مدى الصدق والكذب فى هذه الاجابات ...

وعلى ورقة ذات تقسيم خاص ، كان يرصد الضابط الدرجات التى سجلها المؤشر على لوحة الجهاز ، ثم قام بإجراء بعض المعادلات الحسابية لنتائج التجربة ، لتسكون أساساً للمرحلة التالية ، وهى التى يستجوب فيها المتهم فى موضوع الجريمة ذاتها ، بأسلوب يعتمد على علم النفس ، وسرعان ما يسجل الجهاز مدى الصدق والكذب فى اجاباته قياساً على ما سجل من قبل ، وبذلك يضع فى يد المحقق مفتاح الجريمة فلا يستغلق دونه بابها ، وتصل العدالة إلى غايتها فى ضوء هذه النتيجة ...

* * *

وأمام الشكينة العسكرية بحى « جياد » نظم البكباشى طه خسيهان قائد الشرطة عرضاً عسكرياً لوحدات من قوات الأمن المختلفة ...

ومرت أمامنا نماذج من فرق الفرسان والمشاة والموسيقى ، في نظام محكم واستعداد كامل . ولا يقتصر إعداد هؤلاء الجنود على الحماية العسكرية فحسب ، بل إن لهم مدرسة يتلقون فيها بعد الظاهر دروساً لمكافحة الأُمية وتزويدهم بقدر من الثقافة العامة ...

وقصدنا بعد هذا العرض إلى مدرسة يتخرج فيها ضباط البوليس ، وقد أنشئت هذه المدرسة منذ عشرين عاماً ، وبلغ عدد الذين تخرجوا فيها أكثر من ٤٠٠ ضابط يشغل بعضهم الآن كثيراً من المراكز الرئيسية في مديرية الأمن العام . وستتحول هذه المدرسة إلى كلية على نظام كلية البوليس المصرية .

ونظم لنا البكباشى حسن قناديلى قائد المرور زيارة لمدرسة الكونستبلات التى يتخرج فيها ضباط المرور . وقد بلغ عدد من تخرجوا فيها أكثر من مائة ضابط .

وجهاز المرور في المملكة العربية السعودية من أهم مرافق الدولة ، نظراً لازدياد عدد السيارات فيها إلى درجة عظيمة باعتبارها وسيلة المواصلات الوحيدة في البلاد . وتزداد أهمية المرور على صورة لامثيل لها في موسم الحج ؛ إذ تقوم عشرات الألوف من السيارات بمهمتها في نقل مئات الألوف من الحجاج في أوقات معينة إلى أماكن محدودة ، في وسط بحر متلاطم من الحجاج الراجلين .



زيارة لمدرسة الكونسليات بمكة



جندي المرور ... والإشارات الضوئية

وقد اقتضى ذلك العناية بتنظيم الطرق وتعميم الإشارات الضوئية وإقامة مراكز للمراقبة تسيطر على حركة المرور وتكفل تنفيذ قوانين السير وحماية الأرواح من أخطار المخالفات .

ثم قصدنا إلى إدارة الإطفاء والانقاذ ، ويشرف عليها الصاغ فايز العوفى ، وشاهدنا جهازها الفنى وجنودها المدربين وهم يقومون بمناوراتهم اليومية فى براعة فائقة .

ومن الأقسام الهامة فى مديرية الأمن العام إدارة الجوازات والجنسية، ويشرف عليها الآن القائم مقام حسن النى وكيل الأمن العام . ويصور أهمية هذه الإدارة أن المملكة العربية السعودية تكاد تكون الدولة الوحيدة فى العالم ، المفتوحة ليدخول مئات الألوف من الوافدين عليها من أبناء البلاد الأخرى . . . وذلك فى موسم الحج كل عام ، الأمر الذى يجعل ضبط شئون الأمن خلال موسم الحج ، والمحافظة على طاقة البلاد بعد أداء الفريضة ، وضرورة عودة جميع الحجاج إلى بلادهم — مهمة خطيرة إلى أبعد الحدود . . . وهو ما تقوم به إدارة الجوازات والجنسية على درجة عالية من الكفاءة والدقة والنظام .

وهناك قسم من أقسام مديرية الأمن العام يقف وراء كل هذه الجهود ، هو المكتب العام الذى يشرف عليه السيد عبد الرحمن الحضراوى ، والذى ينهض بتبعات متعددة تتصل بشئون الأمن العام فى مختلف مرافقه العسكرية والإدارية .

وعدت بعد جولتى هذه إلى اللواء طلعت وفا أهنته بما شاهدت

في مختلف أقسام مديرية الأمن العام من مظاهر التقدم والنهوض ،
بما جعل الأمن العام في هذه البلاد مضرب الأمثال .

ثم قلت له :

— كان المتبع أن يتم تنفيذ حد السرقة بناء على حكم المحكمة الشرعية،
ولكن تنفيذ هذا الحد صار الآن مشروطاً بتصديق جلالة الملك
على الحكم ، فهل سبب ذلك ما قيل من أن هذا الحد قد نفذ خطأ بناء
على حكم أصدرته المحكمة الشرعية في حادثة معينة ؟

فقال : إن ما قيل عن وقوع خطأ في الحكم نال بالقصاص بريئاً
لم يسرق . . ليس لإلزامية أذاعتها بعض من لا خلاق لهم . وأما اشتراط
تصديق جلالة الملك على أحكام الحدود قبل تنفيذها ، فقد تقرر ذلك
حرصاً على توفير ضمانات أقوى لإقامة العدل في هذه الحالات الدقيقة .

هذا وتبلغ ميزانية مديرية الأمن العام نحو خمسة ملايين جنيه ،
أما عدد قوات الأمن وموظفيه وفقاً لإحصاء العام الماضي فهي :

| | |
|--------------------------|-------|
| وكلاء ونواب وعرفاء وجنود | ٩٥١٥ |
| ضابطاً | ٤٢٢ |
| جندي إطفاء | ٣١٣ |
| كونستابل للمرور | ١٠٠ |
| موظف إدارياً | ٣٦ |
| موظف مدنياً | ٢٢٦٤ |
| المجموع | ١٢٦٥٠ |

وكان عدد الحوادث في عام ١٣٧٣ كالآتي :

٦ قتل و ٢ دهس أفضى إلى الموت و ٩٣ صدم و ٤٦ سرقة
و ٢٠ اختلاس و ٨ مخدر و ٣٤ سكر و ٤ تهريب أموال و ٥ احتيال
و ٢٢٧ مضاربة .

وإذا علمنا أن هذه الحوادث وقعت في شعب تعداده ستة ملايين
نسمة ، فإن هذه النسبة تهوى إلى ما يقرب من درجة الصفر بينما يرتفع
مستوى الأمن إلى أعلى الدرجات .

* * *

ودعاني اللواء على جميل^(١) إلى زيارة دار الأيتام بمكة المكرمة .
وقد أسس هذه الدار منذ عشرين عاماً المرحوم مهدي بك بن صالح
وكان وقتئذ مديرراً للامن العام ، وقد اطلق عليه الملك عبد العزيز لقب
« المصلح » لقيامه بهذا المشروع الجليل . وتقوم هذه الدار بإيواء اليتامى
وتعليمهم وإعدادهم للحياة ، وتشرف عليها لجنة برئاسة اللواء على جميل .
وبلغ عدد من تخرجوا فيها حتى الآن ١٥٠ طالباً ، التحق بعضهم
بمدرسة الشرطة ومن أفواجهم الأولى من وصل إلى مناصب كبيرة
بإدارة الامن العام ، وعين بعضهم الآخر بوظائف حكومية ، كما أصاب
غيرهم في ميادين الحياة العامة كثيراً من النجاح ، ومنهم من واصل الدراسة
في المرحلة الثانوية والجامعية .

وعدد تلاميذ الدار يتجاوز المائة ، ومدة الدراسة بها ست سنوات
تعادل الدراسة الابتدائية ، وكان بها قسم صناعي الغي سنة ١٣٦٨ هـ

(١) المصروف على دار الأيتام ، مدير الأمن العام الأسبق ، ورئيس
التشريعات بديوان الملك سعود الآن .

ومن الواجب إعادة هذا القسم لتأهيل الطلبة لكسب معاشهم حين يخرجون للحياة العامة .

وتقوم موارد هذه الدار على التبرعات ، وتبلغ نفقاتها مائة ألف جنيه في العام ، وكثيراً ما تضطرب ميزانيتها بسبب تراوح التبرعات قلة وكثرة ، ولهذا تبرع لها جلالة الملك سعود بعشرين ألف جنيه تصرف كل عام ، كما رصدت لها في ميزانية الدولة إعانة دائمة .

قلت للواء على جميل .

— إن كل شيء في هذه الدار جميل ويدعو إلى الإعجاب والتقدير ، إلا شيئاً واحداً ...

قال : وما هو ؟

قلت : اسم الدار .

إن في كلمة « دار الأيتام » مرارة تؤذي نفوس أولئك الصغار ، وتثير فيها الشعور بالذل والحرمان ...

والحق أنه ليس في هذه الدار ما يشعر هؤلاء الصبية بمرارة الحرمان ؛ فهم يتمتعون بكثير من العطف والرعاية ، ولكن إطلاق هذا الاسم على دارهم يذكرهم دائماً بمعاني اليتيم ، ويولد في نفوسهم وأخيلاتهم صورة الحزينة السوداء ...

وحبذا لو أطلق على الدار اسم « دار السكفالة » مثلاً ، ليكون ذلك أقرب في الدلالة على مهمة الدار ، وأكرم على نفوس نزلائها الصغار .

قال اللواء على جميل :

— سيكون ذلك إن شاء الله ...

وفي المدينة المنورة دار أخرى لرعاية الأيتام ، تجمع بين الدراسة الابتدائية والتعليم الصناعي ، وكذلك في الرياض ..



دار الأيتام بمكة المكرمة



أبناء الدار يؤدون الصلاة جماعة

قضية البريمي

١

وفي فندق قصر الكندره بجدة ، التقيتُ بالاستاذ عبد الرحمن عزام، وكان قد قدم إلى المملكة العربية السعودية ، لمراجعة أولى الأمر فيها حول تطورات قضية البريمي التي يتولى الدفاع عنها لدى هيئة التحكيم الدولية . ودار الحديث بيننا حول هذه القضية . فما هي البريمي هذه التي أوشكت أن تثير الحرب بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا ، وما هي حقيقة الدوافع التي تستتر وراء السياسة البريطانية في هذه المنطقة ؟

إن البريمي منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية ، تقع في الجنوب الشرقي منها ، وهي واحة تتألف من مائتي قرية ، وتبلغ مساحتها نحو ١٩٨٥ كيلو متر مربع . .

ولكن موقع هذه الواحة بالقرب من الخليج الفارسي ، وما في أرضها من كنوز معدنية مخبوءة ، حرك عقارب الاستعمار في صدر بريطانيا لاحتلال هذه المنطقة العربية .



رقصة الاعتداء البريطاني المسلح على منطقة البريمي ، ليست إلا حلقة في سلسلة الخطط الاستعمارية البريطانية في الشرق ، هذه الخطط التي بدأت في أواخر القرن الثامن عشر ، عندما استطاعت بريطانيا

توطيد نفوذها في الهند ، وفي مناطق الخليج العربي ، وجنوب الجزيرة العربية ...

وفي خلال القرن التاسع عشر استطاعت بريطانيا أن تجعل من هذه المناطق قواعد استراتيجية هامة ، وأن تحول المحيط الهندي إلى بحيرة بريطانية لحماية الهند .

ثم كان الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ مؤديا إلى جعل منطقة قناة السويس حلقة رئيسية من حلقات الاستراتيجية البريطانية ، التي تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى أبعد حدود أفريقيا وآسيا .

فلما تقلص ظل الاستعمار البريطاني بعد الحرب العالمية الأخيرة ، بالجلء عن الهند وقناة السويس ، والتطورات الأخيرة في الملايو وغيرها — أصبحت الطرق الحيوية إلى جنوب شرق آسيا وأستراليا مكشوفة . ومن هنا جاء اهتمام بريطانيا بتحويل عدن إلى قاعدة بريطانية رئيسية لحماية هذه الطرق ، ولحماية الشواطئ الأفريقية التي تعتبر منافذ الامبراطورية المنتظرة ... في حساب الاستعمار البريطاني !

كما أدى ذلك إلى زيادة أهمية الجزيرة العربية بالنسبة للاستراتيجية البريطانية الجديدة ، من الناحية العسكرية ومن الناحية الاقتصادية التي تنصل بالتجارة وموارد البترول .

هذه هي الخطوط الرئيسية في سياسة بريطانيا الاستعمارية ، لتعويض ما فقدته من مناطق ونفوذ ، بعد انهيار نفوذها الاستعماري القديم في الشرقين الأدنى والاقصى .

ومن هنا جاء اتجاه بريطانيا رغم نفوذها في منطقة الخليج العربي، وجنوب الجزيرة العربية، إلى الاستيلاء على البريمي، وعلى إمارة عمان ...

٢

وقد بدأت إنجلترا محاولاتها لتنفيذ هذه الخطة على طريقها الاستعمارية التقليدية، وذلك بإيقاد بعض الشركات الإنجليزية إلى منطقة البريمي في أوائل سنة ١٩٤٩ بدعوى الكشف عن البترول، وبحجة أن البريمي تقع في حدود المحميات البريطانية المحاورة ١١

ثم أخذت تثير الدسائس في هذه المنطقة بإفساد ما بين حاكم أبو ظبي وسلطان مسقط وبين المملكة العربية السعودية .

وتبعية البريمي للمملكة العربية السعودية ترجع إلى نحو ١٦٨ عاما، حين امتدت دعوة التوحيد حتى بلغت سواحل الخليج العربي . وتعترف سجلات الحكومة البريطانية في عام ١٨٠٨ بأن السعوديين بلغوا الذروة من حيث استقرارهم وسيادتهم لافي البريمي فحسب بل وفي عمان أيضاً .

وحين استولت القوات البريطانية على رأس الخيمة في نوفمبر سنة ١٨٠٩ تحركت القوات السعودية من البريمي لمقاتلتها، فانسحبت القوات البريطانية فور علمها بهذا الزحف ...

وفي سنة ١٨٥٣ عقدت معاهدة بين السعوديين وحاكم مسقط ،
تنص على أن تدفع مسقط لآل سعود إتاوة سنوية ، وعلى أن
البريمي وكثيراً من الأراضي الواقعة وراءها تؤلف جزءاً لا يتجزأ
من الدولة السعودية .

واعترف السكاكبن كهل المعتمد البريطاني في الخليج العربي ، في تقرير
كتبه في أول يولية سنة ١٨٥٤ بتبعية البريمي للدولة السعودية .

وكذلك جاء في كتاب «مخاوف ورحلات» الذي ألفه برترام توماس
ونافذ المالية وزير دولة مسقط البريطاني عام ١٩٢٧ أن منطقة البريمي
تقع في أراضى ابن سعود .

ولم يكن الأمر يفتقر إلى اعتراف هؤلاء البريطانيين بتبعية البريمي
للمملكة العربية السعودية منذ قامت هذه الدولة حتى الآن ، فإن ولاية
هذه المنطقة ظلت في أسرة آل سعود ومن يعينونه لإمارتها منذ ذلك
التاريخ البعيد . وكان آخر أمير سعودي على البريمي هو الشيخ تركي بن
عطشان الذي تولى الإمارة عام ١٩٥٢ .

ولكن المطامع البريطانية بعد أن اهتمت عمان ومسقط ، تحاول
كذلك أن تهيمن البريمي ، لستم لها السيطرة على مركز استراتيجي جديد
تحكم منه سيطرتها على تلك المناطق العربية المنسوبة بالاستعمار البريطاني ،
كما تسيطر على قاعدة حربية تهدد منها المملكة العربية السعودية .

٣

ورأت المملكة العربية السعودية ألا تبعجل الموقف الحاسم لرد هذا العدوان ، وآثرت حل هذه المشكلة بالطريق السلمى ، واقترحت إجراء استفتاء فى هذه المنطقة تتقرر على أساسه تبعيتها إلى « أبو ظبى » ، كما تزعم إنجلترا أو إلى المملكة العربية السعودية .

ولكن إنجلترا كانت تعرف مقدما نتيجة هذا الاستفتاء فلم توافق على إجراءاته ...

وتعقد الموقف بين الطرفين . . ثم تقدمت إنجلترا باقتراح تضمن إجراء تحكيم دولى بينهما ، ووافقت الحكومة السعودية على هذا الاقتراح ، وفى ٣٠ يولية سنة ١٩٥٤ تم التوقيع على اتفاقية كان أهم ما تضمنته :

١ — تمركز قوة بوليسية فى منطقة البريمى تتكون من خمسة عشر شخصاً من قبل كل من الطرفين ، لحفظ السلام والنظام بين القبائل فى منطقة البريمى .

٢ — انسحاب قوات ساحل الصالح العمانى والقوات المسلحة الأخرى ، والموظفين الذين أدخلوا فى تلك المناطق بعد أغسطس ١٩٥٢ وحل الجماعات المحلية المسلحة ، وعدم دخول موظفين إضافيين أو قوات إضافية فى منطقة البريمى أو المناطق الأخرى المتنازع عليها من قبل الجانبين . .

٣ — تقسيم المنطقة بغرض عمليات الزيت فقط — وبدون الإخلال

بحقوق أى من الفريقين فى نزاع الحدود — إلى ثلاث مناطق :

الأولى — يجوز لشركة استثمار البترول « ساحل الصالح » المحدودة وشركة « دارسى » للتنقيب المحدودة ، إجراء عمليات الزيت فيها خلال فترة التحكيم .

والثانية — يجوز لشركة الزيت العربية الأمريكية إجراء عمليات الزيت فيها خلال فترة التحكيم .

والثالثة — لا يسمح بإجراء أى عمليات للزيت فيها خلال فترة التحكيم .

وقد حددت هذه المناطق الثلاث تحديداً جغرافياً وبأشرت هيئة التحكيم عملها حتى أوشكت أن تصدر حكمها فى هذا النزاع — وهو حكم نهائى ملزم للطرفين — وعندئذ قام مندوب إنجلترا فى الهيئة المسيوريدير بولارد بتمثيلية مفوضحة . . . إذ انسحب من الهيئة فتوقف عملها ، ثم فوجئت الحكومة السعودية بهجوم غادر قامت به القوات البريطانية على منطقة البريمى ، وكان عددها خمسة آلاف جندى تساعدهم ست طائرات تمطر قذائفها على سكان هذه المنطقة العزلاء وانتفضت البلاد انتفاضة قوية ، وانهاالت التبرعات السخية لتسليح الجيش وتقويته ، وتأهبت القبائل للزحف على البريمى لاستخلاصها من أيدي الغزاة ، وتوالت وفودها على الرياض تطلب من الملك سعود أن يأذن لها فى القتال . . وقال الملك سعود للوفود الثائرة :

— « يجب أن تكونوا على أهبة الاستعداد في أية لحظة . ونحن نحاول الآن أن نجد لهذه المشكلة حلاً بالوسائل السلمية المتعارف عليها بين الدول ، فإن وفقنا في ذلك فالحمد لله ، وإلا فإنني كقائد عام سأذهب إلى ميدان المعركة بنفسى ، وسأكون أول من يضحى مع أسرتى للدفاع عن الوطن العزيز . »

والآن . . . على بريطانيا أن تزن الموقف بميزانه . وإن لها في التزام المملكة العربية السعودية بالحكمة وإيثار السلم ، ما يعطيها فرصة الانسحاب من البريمي ، والعودة إلى نطاق التحكيم ، والخضوع لما تصدره الهيئة الدولية من حكم في هذا النزاع .

إن أمام بريطانيا هذه الفرصة ، فإن هى اغتنمتها وفرت على نفسها الدخول في تجربة جديدة من سلسلة التجارب التى علمتها كيف تخفى رأسها أمام إرادة الشعوب .



في الطائف ...

١

تلقيت دعوة من سعادة الشيخ عبد العزيز بن معمر أمير الطائف ،
لزيارة هذه المدينة ذات التاريخ الشهير في الجاهلية والاسلام ، والتي
تعتبر الآن من أهم مدن الحجاز بما فيها من مؤسسات للجيش العربي
السعودي ، ومن معاهد علمية ، ومن بساتين حافلة بالزهور والثمار ،
وباعتبارها مصيف الحجاز الممتاز .

وآثرت أن تكون زيارتي للطائف بالسيارة ، حتى أشاهد كثيراً
من معالم الطريق ، واستمتع برحلة قد يكون فيها كثير من العناء ،
ولكن فيها إلى ذلك كثيراً من المتعة والإفادة .

وفي يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٣٧٤ حملتني السيارة من جدة إلى
مكة ، وتناولت طعام الغداء بفندق مصر ، ثم غادرنا مكة بعد العصر
متجهين إلى الشرق ...

ومررنا في الطريق بجبل النور حيث يقع على قمته الشاهقة غار حراء ،
وبعد ساعة وصلنا إلى قرية « الشرائع » وبها بستان جميل وقصر

لمعالى الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية السابق . . .

وظلت السيارة تسير بنا بين الرمال والجبال ، حتى وصلنا إلى واحة جميلة تروى بمياه تنساب من بين الصخور هي واحة « الزيما » ويكثر في هذه الواحة النخيل وشجر الموز ، ولهذا الموز خاصية فريدة . . فانه مشبع لدرجة أننا - وقد كنا ثلاثة - لم نستطع أن نأكل منه أكثر من نصف أقة !!

ثم تابعت السيارة رحلتها في سهل رملي فسيح ، وما أن اختفى قرص الشمس وبدأ الليل ينشر على الأفق الشرقي غلالة رقيقة سوداء ، حتى أوقفنا السيارة . . . وكذلك فعل ركاب السيارات الأخرى ، ونزلنا نؤدى صلاة المغرب في العراء !

واستأنفنا الرحلة موغلين في واد رحيب ، ثم أخذ الطريق يعلو رويداً رويداً ، وقد بدأ يظهر أمامنا من بين قمم الجبال وجه القمر في ليلة تمامه . . . وهو مظهر رائع خلاب ، خيل إلينا والسيارة تنطلق صعداً أنها تحاول أن تصعد بنا لنعاين القمر في أفقه الرفيع !

وبعد ساعتين من الغروب وصلنا إلى « السيل الكبير » وهي بلدة صغيرة بها كثير من المقاهى للاستراحة والتزود من الطعام والشراب ، فاسترحنا بها قليلاً ريثما تناولنا الشاي وأدينا صلاة العشاء ، ثم مررنا بالسيل الصغير وهي قرية أخرى من محاط الراحة والاستقاء .

وانطلقت السيارة تجتاز بنا منطقة جبلية وعرة المسالك ، شقت

الطريق في كثير من أجزائها بين الجبال . وقبل أن تصل إلى الطائف بنحو ٣٥ كيلو مترا كان الطريق سهلا مرصوفا بالإسفلت ، حيث يقع مطار « الحويّة » ، وإلى الجنوب الشرقي منه يقع المكان الذي يرجح أنه كان في الجاهلية موقعا لسوق عكاظ . . .

٢

والطائف مدينة ترتفع عن سطح البحر بنحو ٥١٠٠ قدم ، ولهذا كان جوها من أصح الأجواء في الصيف ، وهي كذلك في الشتاء ، ولكن شهرتها في الصيف جعلت منها أهم مصيف للدولة وللأفراد . وللطائف نصيب كبير في تاريخ هذه البلاد ؛ إذ كانت مقر عبادة أحد الآلهة في الجاهلية . وإليها قصد محمد — صلى الله عليه وسلم — في فجر دعوته مستجيراً من أذى قريش ... خرج إليها من مكة وحيداً ، ويا هول ما لقي — صلى الله عليه وسلم — في رحلته تلك من وعشاء الطريق ، فقد بلغ منا الجهد والعناء كل مبلغ ونحن نقطع الطريق من مكة إلى الطائف على سيارة مترفة ، مزودين بالفاكهة والماء المثلج ، ومحيطين بالأمن والسلام ... فكيف به — صلى الله عليه وسلم — وهو يحتاج وحيداً هذه الرحلة المحفوفة وقتئذ بالمخاطر ، الحافلة بمشاق الرحلة ووعورة الطريق ؟

وصل الرسول إلى الطائف فعرض على « ثقيف » دعوته ، وطلب منهم المنعة والنصر ، ولكنهم أجابوه على دعوته

شر جواب ... وأغروا به سفهاءهم يرجونه بالحجارة وَيَصِيحُونَ حلفه
بالقول المقتدع والسباب ، حتى ألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة ،
فاحتمى به من هذا العدوان الأليم . ورجع عنه السفهاء ، وجلس هو إلى
ظل كرمة ... ثم رفع رأسه إلى السماء في ضراعة وهو يقول :

— اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني
على الناس ...

يا أرحم الراحمين : أنت رب المستضعفين وأنت ربى ...
إلى من تكافى ؟ إلى بعيد يتجهمى ، أو إلى عدو ملكته أمرى ...
إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ...
أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر
الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك . لك
العتبى حتى ترضى . ولا حول ولا قوة إلا بك ، .
وكان يرقبه وهو على حاله تلك صاحبها البستان ...

فتحركت في نفسيهما الشفقة عليه وأرسلا إليه غلامهما د عداس ،
وكان نصرانياً بقطف من عنب البستان ...
ووضع محمد يده في العنب وهو يقول :

— بسم الله الرحمن الرحيم ...
وفغر عداس فاه دهشة وقال :

— هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد !
فسأله محمد عن بلده ودينه ، فقال إنه نصراني من « نينوى »
فقال له :

— أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟
فازدادت دهشة عداس وقال :
— وما يدريك ما يونس بن متى ؟ !
قال : ذاك أخي . . كان نبياً وأنا نبي .
فأكب عداس على محمد يقبل رأسه ويديه وقدميه . .
وكان صاحبا البستان يرقبان هذا المشهد من بعيد ، وقد أخذ منهما
العجب مأخذه ...

وحين عاد إليهما عداس ، وعلما منه ما حدث . . قال له :
— يا عداس ، لا يصر فنك هذا الرجل عن دينك ، فهو خير
من دينه .

وفي المكان الذي لجأ إليه محمد من ذلك البستان ، يقوم الآن مسجد
صغير في بستان يملكه الشيخ عبد الله الحسين .

٣

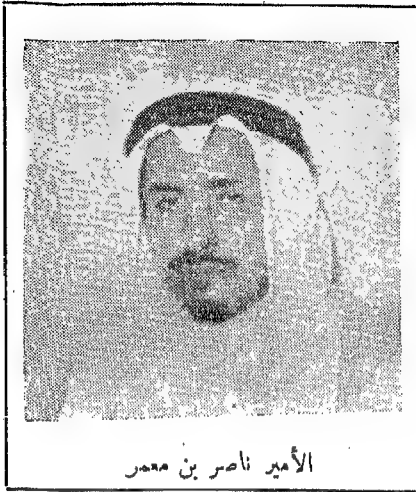
وزرت الأمير عبد العزيز بن معمر في دار الإمارة . . .
هذا الرجل الذي كان أشد أعضاء الملك عبد العزيز ، والذي انتصر



المؤلف مع «أبو الطائف» الأمير عبد العزيز بن معمر
على مرض ألمَّ به فأقعدته وأمسك لسانه ، ويجز الطب في مصر والهند
وأوروبا عن علاجه . ولكنه انتصر على المرض بإرادة قوية وحيوية
غلبة ، فهو يباشر شئون الإمارة كأقوى مايكون الأصحاء .

ودعانا الأمير بعد صلاة المغرب لتناول العشاء . فانتقلنا إلى قصر
مجاور للدار التي كنا فيها ، وعلى أرض الغرفة المفروشة بالأسطة مُصفت
المائدة عليها عدد من الخراف وصحاف الأرز ، تحيط بها ألوان من
الاطعمة الحديثة والفاكهة .

وكان الأمير يقطع قطعاً صغيرة من اللحم ويضعها في الطبق الذي
أمامي ؛ إنها من مظاهر الكرم والخفاوة بالضيف .



الأمير ناصر بن معمر

وبعد أن فرغنا من الطعام
انتقلنا إلى غرفة الجلوس ،
ودارت القهوة العربية والشاي .
ثم تناول الأمير ناصر بن معمر
— وهو الساعد اليمين للأمير
الطائف — كتابا للريحاني عن
تاريخ نجد أخذ يقرأ فيه ،
وكان يتداول الحاضرون مناقشة
ما يقرأ ، ويستعيد الأمير
عبد العزيز بن معمر ذكرياته
التي تتصل بموضوعات هذا الكتاب . . .

ثم أديرت القهوة والشاي مرة أخرى ، ودخل رجل يحمل بحجرة تقدم
بها نحو الأمير فوضع فيها الأمير قطعاً من العود . ودار الرجل بالبحجرة
على الحاضرين ينشقون عبيرها ويعطرون به ملابسهم . . .
وكان هذا إيذاناً بالانصراف ..

إن المثل العربي يقول : بعد العود مافي قعود !!

وفي اليوم التالي حضرت مجلس الإمارة ، وقد جلس الأمير
عبد العزيز وإلى جانبه الأمير ناصر على مصطبة عالية ، وأمامه الكاتب
يعرض عليه الأوراق . . . وقد امتلأت القاعة برجال البدو ، يتقدم
كل منهم فيعرض مطلبه فيناقشه فيها الأمير ويستمع إلى مايقول غريبه

ثم يفصل في دعواه وفقاً للتقاليد والنظم الإدارية المتبعة .

وقمت بجولة في الطائف . . .

فأديت الصلاة في مسجد عبد الله بن عباس حبر الأمة وابن عم الرسول . وقد اختار — رضى الله عنه — الإقامة في الطائف ، لأنه كان يتورع عن الإقامة في مكة ويقول في ذلك :

— كيف المقام في بلد تتضاعف فيه السيئات ، كما تتضاعف

الحسنات ؟

وزرت قصر د شبرا ، وهو قصر أقامه الاتراك في منطقة أسموها شبرا ، كانت خارج سور الطائف — قبل إزالة هذا السور — ولا أدري العلاقة بين هذا الاسم واسم شبرا مصر . . .

وتشغل هذا القصر الآن وزارة الدفاع . وما زال القصر محتفظاً بطابعه الجميل في العمارة من الداخل والخارج . ثم زرت المدرسة العسكرية ، التي تحولت فيما بعد إلى كلية حربية مقرها الرياض . . .

وانطلقت بنا السيارة خارج المدينة حيث الأودية والبساتين والكروم التي اشتهرت بها الطائف ، والتي كان محصولها من العنب المجفف فيما مضى كالتملح . ولشهرة العنب في الطائف ، وما كان له في الجاهلية من شأن في وفرة الخمر ، مازال يقوم بها إلى الآن جبل يسمى : جبل السكرى !!

ومن الأودية المشهورة في الطائف وادي دوج ، الذي يشير إليه الأُمير الشاعر عبد الله الفيصل في قصيدته دهل تذكرين ، إذ يقول :

هل تذكرين وذاعينا مصالحة
أودعت فيها كريم الأصل يمينك
أو تذكرين بواى وج وقفتمنا
وقد أفاضت علينا الطهر عينك
وحين غنت على الأغصان شادية
أنشودة الحب فى ترديدها الباكي
أنت الحياة لقلب جسد مكتتب
وليس يسعده بالوصل إلّاك . . .

وما زالت هذه الاثودية والبساتين عامرة بالمياه والثمار والازهار،
وإليها يقصد أهل الطائف للرياضة والاستجمام ، وتؤجر مساكنها
للمصطافين من أهل البلاد . . .

٤

وفى الطائف مدرسة نموذجية ، كانت خاصة بأبناء الأسرة المالكة.
ثم صارت تضم إلى هؤلاء الأمراء الصغار كثيراً من أبناء الشعب . وقد
زرت هذه المدرسة التى يديرها الأستاذ محمود أبو العلا من رجال
وزارة التربية والتعليم المصرية . وتتكون من ثلاثة أقسام :

إبتدائى وإعدادى وثانوى . ويحوى تلاميذها فى العام الماضى
١٦٥ تلميذاً ، ويضم القسم الداخلى ٦٤ تلميذاً منهم ٣٤ تلميذاً من أبناء
الأسرة المالكة و١٠ تلاميذ من أبناء أمراء المقاطعات و٢٠ تلميذاً
من أبناء الشعب القادمين من مكة وجدة وغيرهما ، وبقية التلاميذ
فى القسم الخارجى من أبناء الطائف .

ولهذه المدرسة ميزانية خاصة تبلغ ٤٢٠٨٤٠ ريالاً عربياً أى نحو ٤٣ ألف جنيه فى السنة ، وبها ١٩ مدرساً ، وأربعة موظفين إداريين . ومشرفتان للتقسم الداخلى ، و٤٤ فراشاً .

ومعظم أعضاء هيئة التدريس من الأساتذة المنتدبين من وزارة التربية والتعليم المصرية ، والدراسة بها تسير على المنهج المصرى بالإضافة إلى منهج خاص فى الدين والتربية الوطنية والاجتماعية .

وقد صادفت زيارتى للمدرسة حلول صلاة الظهر ، فسمعت الأذان ينطلق من مصلى داخل المدرسة . وفى هذا المصلى أدينا صلاة الظهر جماعة ، وقد اشترك فيها جميع التلاميذ . . .

ولم ألحظ طارقاً فى معاملة التلاميذ بين الأمراء وأبناء الشعب ، إذ يحرم مخاطبة أحد من أبناء الأسرة المالكة بلقب الأمير . . . قال لى الأستاذ محمود أبو العلام مدير المدرسة :

— إن الأمير فيصل الذى يرعى هذه المدرسة ، يحرص كل الحرص على ألا يبدو فى معاملة هؤلاء الأمراء أى تفرقة أو امتياز . .

ثم صحبى المدير إلى فناء المدرسة حيث تعلق على الجدران لوحات النشاط الرياضى والاجتماعى والثقافى للتلاميذ ، فقرأت فى إحداها ما يأتى :

« يعلن فريق البوليس تقديم الطالب عبد الرحمن الفيصل — وهو أحد أبناء الأمير فيصل — إلى المحاكمة . . لخالفته الأوامر » .

قلت للأستاذ أبو العلا :

— وما هى العقوبة التى توقع على الطالب لهذه المخالفة ؟

قال : منها حرمانه من السمر أو النشاط المدرسى لفترة معينة .
وللنشاط المدرسى نصيب بارز في برنامج الدراسة ، وقد شهدت
أعمال الجمعيات المختلفة في الرياضة والتمثيل والصحافة ، والرسم والتصوير ،
والهوايات والمشروعات ، وفلاحة البساتين ، والعلوم والآداب . .
فإذا بها تقدم صوراً رائعة لمواهب التلاميذ وخبراتهم ...

ثم تلقيت دعوة من دار التوحيد لحضور الحفل الختامي للنادى
الأدبى بمناسبة انتهاء العام الدراسى .

ودار التوحيد بالطائف أحد المعاهد الدينية بالمعالمكة العربية السعودية
أنشئت سنة ١٣٦٤ هـ لتخريج الدعاة والقضاة ، وعدد طلبتها ١٢٥
طالباً من أتموا الدراسة الابتدائية ، ومدة الدراسة بها خمس سنوات .
وقد تخرجت أول دفعة فيها سنة ١٩٣٦ فكانت النواة الأولى لكلية
الشريعة التى أنشئت فى مكة .

ويتقاضى الطالب فى دار التوحيد ٢٣٠ ريالاً فى الشهر ، أى نحو ٢٣
جنيهاً . وبها قسم داخلى يضم ٨٠ طالباً ، وتسكون هيئة التدريس بها
من ١٣ مدرساً معظمهم من أساتذة الأزهر .

ثم دعانا الشيخ عبد العزيز العنقرى إلى حفل قران الأستاذ إبراهيم
العنقرى مدير مكتب وزير المعارف .

وحفل القران هذا يمتد عدة أيام ، وتدعى إليه كل يوم طائفة من المدعوين ، وعلى باب الدار استقبلنا جماعة وفي أيديهم المباخر يفوح منها أريج العود .

ثم جلسنا في بهو واسع فرش بالابسطة وصفت على جانبه الحشايا والوسائد . وأدبرت علينا القهوة العربية ومباخر العود . ثم ذهبنا إلى تناول الغداء على الطريقة العربية المعروفة .

وأعجبتني ظروف العمل على أن أعود إلى جدة بعد العصر ، ففأنتني فرصة مشاهدة حفل القران في مظاهره الأخرى الحافلة بالآسماز وغيرها من التقاليد . . .

على أنى استدركت بعض هذه الصور فى حفل قران الشيخ صالح ابن حمد الذى دعانى إليه أخوه الاستاذ مبنى بن حمد رئيس تحرير مجلة الرياض . . فقد أقيم فى الساحة الرحبة أمام دار العريس بجدة حفل جميل صفت فيه المقاعد وأضيئت الثريات الكهربائية الملونة . وبدى الحفل بتلاوة بعض آى القرآن الكريم . ثم أقبل الشيخ صالح بن حمد وقد ارتدى العقال المقصّب يحيط به جماعة يحملون مباخر العود ، وجلس أمام رجل قام بتلاوة صيغه العقد ثم خلعوا على هذا المأذون ، خلعة هى عباءة فاخرة ، وأدبرت على المدعوين علب الحلوى وكؤوس الشراب من عصير الناكهة ، وألقيت بعض الكلمات والقصائد فى تحية العريس وتهنئة أسرة العروسين .



وبدا دور الغناء فأخذ مطرب حجازي يغني بعض الاغانى الحجازية
الرقية ، وغيرها من الاغانى المصرية ، وكان من حوله يرددون أغانيه
في إيقاع جميل .

وانتقلنا إلى مواعيد العشاء التي مدت على الطريقة العربية ، ثم
استؤنفت السهرة بالأغاني . . حفلة خاصة بالرجال وأخرى للنساء .
وفي نهاية السهرة زف العريس إلى عشه السعيد .

٥

وبعد أيام كنت أتناهب للعودة إلى مصر . . .
وبني من اللوعة لفراق هذه البلاد أشجان وأشجان ...
فقد توطدت صلات المودة بيني وبين كثير من أهلها ، وازدادت
ألفتي بمشاعرها الدينية ، أستروح جوها القدسي واستشعر صلة هذه
الأرض بالسماء . . .

ثم إن الرسالة التي قدمت من أجاما للإسهام في المهضة الصحفية في هذه البلاد لم أستكمل أداءها بعد ، وقد تركت الوليد الذي شاركت في رعايته والسهر عليه الليالي الطوال ... مجلة الرياض ... وهي بين الموت والحياة ...

وانصرفت ليالي شهر شعبان ...
وأقبل شهر رمضان ، فقضيت يومه الأول في مكة المكرمة ...
وكان يوماً خالداً ترك في نفسي أعق الاثر وأحلاه ...
وقبيل الغروب كنت آخذ مكانى في المسجد الحرام ، وقد امتلأ المسجد على سعته وصفت أمام الصفوف أوعية مملوءة من ماء زمزم ...
وكان معي « ترمس » به عصير المانجو وكذلك كان مع الكثيرين ...
عصير أو تمر أو فاكهة .
وجلسنا نستقبل الكعبة ونحني نتلو القرآن ، ونردد التسابيح والدعاء ...

وانطلقت من مأذن الحرم : الله أكبر ١١
فرددنا التكبير والتسبيح والدعاء ، ثم أقبلنا على ما معنا من طعام وشراب فتبلغنا منه . . وتبادل الحاضرون الإفطار على صورة أثيرة جميلة ...

وبعد فترة استغرقت نحو عشر دقائق ، قامت الصلاة ...
ما أجيل وأروع تلك اللحظات التي اختتمنا بها أول يوم من أيام رمضان في المسجد الحرام ١١
ثم انصرف بعضنا بعد الصلاة إلى منازلهم ، وبقي البعض الآخر بالمسجد حتى صلاة العشاء .



أحد أغوات الحرم يقدم للشرطى جرعة من ماء زمزم
وقصده إلى فندق مصر فتناول طعام الإفطار ، ثم عدت إلى
المسجد لاؤدى صلاة العشاء . وبعد الصلاة أدينا التراويح ، عشرين
ركعة ، تلا فيها الإمام جزءا من القرآن .
ووددنا لو طال الصلاة وامتدت إلى ما شاء الله ، فإن الجو الذى
كنا نعيش فيه قد انمحن فيه الزمن ، واستغرقت المشاعر فى نشوة قدسية
عميقة رائعة ...
وغادرت المسجد الحرام بعد أن طفت بالبيت طواف الوداع ، وأنا
أهتف وقد تعلقت بأستار الكعبة : عودًا يارب ١١

الرحلة الثالثة:

العقود أحمد

واستجاب الله لدعائى

وقد فكرت وزارة التربية والتعليم بالاشتراك مع
نقابة المهن التعليمية ، فى تنظيم رحلة للمعلمين وموظفى الوزارة
إلى المملكة العربية السعودية . ومن ثم قال لى الأستاذ
محمد سعيد العريان مدير الشؤون العامة بالوزارة والسكرتير
العام للمقابلة :

— عليك أن تسبق أعضاء الرحلة ، وتشرف على
شئونها المختلفة . وبأدرت إلى السفر وقد عمرتنى موحة من
العبطة والسرور ؛ إذ سينالى فى هذه الرحلة إلى جانب
الاستمتاع بها شرف عظيم ، كان من مفاحر سادة قریش
فى الحاهلية والإسلام . . . ذلك هو خدمة ضيف الله ،
وحجاج بيته الحرام !

مع بعثة رجال التعليم

١

وهبطت بي الطائرة مطار جدة ظهر يوم الاربعاء ١١ يناير سنة ١٩٥٦ ثم قصدت إلى فندق الحرمين ، فاسترحت قليلا وأحرمت بالعمرة ، وقصدت إلى مكة للطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة .

وكان شعوري هذه المرة ، كما وصفه الدكتور طه حسين — شعور المرء كأنما عاد من غربة غريبة ، إلى وطنه العزيز !

هذا الوطن الذي تستقر جذوره في الأعماق ، ويجرى تاريخه في الدماء ، وتخفق أصدائه في القلوب . . .

ولم تهرني الكعبة ببنائها الشامخ وأستارها السوداء ، كما بهرتني أول مرة ، فقد كان شعور الألفة العميقة الواعية ، والإحساس المطمئن ، يغمر النفس بنشوة هادئة ١١

وبعد أن تحللت من الإحرام قصدت إلى فندق مصر ، والتقيت هناك بالأستاذ عبد العزيز سلامة رئيس البعثة التعليمية المصرية ، واتفقنا على برنامج العمل . . .

وفي اليوم التالي كنا نزور وزارة المعارف حيث قابلت سعادة الشيخ
عبد العزيز آل الشيخ وكيل الوزارة والاستاذ ناصر المنصور مدير
التعليم العام .

وكان الامير فهد وزير المعارف في رحلة خارج الفطر ، ويتولى
الوزارة نيابة عنه الامير سلطان وزير المواصلات ، وقد أرق سموه إلى
الوزارة في مكة بإعداد التدابير اللازمة للرحلة بعد أن تلقى كتاباً بذلك من
السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم .

وأعدت الوزارة لزول أعضاء الرحلة طابقاً في أحد القصور
الملكية بمدينة الملك سعود العلمية بجدة ، ووضعت تحت تصرفهم سيارات
الوزارة في جدة ومكة والمدينة المنورة .

وفي يوم الأربعاء ١٨ يناير كنا نستقبل أعضاء الفوج الأول عطار
جدة ، وقد وصلوا في ثياب الإحرام ، وكان في استقبالهم الاستاذ
عبد العزيز السالم مدير مكتب وزير المعارف بالنيابة مندوباً من قبل سموه ،
والاستاذ عبد الله الغاطي مدير مكتب سمو الامير عبد الله الفيصل وزير
الداخلية نيابة عن سمو الامير ، والاستاذ رشاد رمزي سكرتير
السفارة المصرية ، والاستاذ عبد الله بوقس مدير التعليم بمنطقة جدة ،
والاستاذ عبد العزيز سلامة ، وكثير من رجال التعليم .

وقضى الفوج الاول في جدة ومكة والمدينة أحد عشر يوماً ،
وكذلك بقية الأفواج الاربعة التي كانت تصل واحداً بعد الآخر ، وكان
كل فوج منها يتألف من ٢٧ عضواً ، وقد نظم لهم برنامج حافل
لأداء العمرة ، وزيارة عرفة ومزدلفة ومنى وغار حراء في مكة ،



الأستاذ أحمد زكي وكيل وزارة التربية ، والأستاذ محي الدين أبو شادي ،
والمؤلف ، في ملابس الإحرام
والمسجد النبوي والمشاهد التاريخية في المدينة ، وبعض معاهد التعليم
والمرافق العامة في مكة والمدينة وجدة .
أياماً كانت حافلة بالمتغ الروحية ، والدراسة التاريخية والاجتماعية
والثقافية ، وكانت الحفاوة بأعضاء الرحلة تتخذ مظاهر شتى ، فقد حدد
سمو الأمير سلطان وزير المعارف بالنيابة ، موعداً لاستقبال أعضاء
الفوج الأول في داره بجدة ، حيث لقي الأعضاء ترحيباً حاراً من سموه
وتقديرأ لما تهدف إليه هذه الرحلة من أهداف دينية واجتماعية وثقافية .
وخصصت الوزارة لتيسير أسباب الرحلة في مكة الأستاذ عبد الله

منيعي مدير النشاط ، والاستاذ عبد الرحمن التونسي المدير المساعد . وفي
جدة الاستاذ عبد الله بوقس مدير التعليم والاستاذ مدحت شلاق
المفتش المركزي ، وفي المدينة الاستاذ عبد العزيز الربيع مدير التعليم ،
والاستاذ عبد العزيز فهمي المشرف الاجتماعي والرياضي .

وأقيمت عدة حفلات كانت مهرجانياً لتكريم مصر في أشخاص
أعضاء الرحلة ، تبودلت فيها الكلمات الطيبة والآراء السديدة لتوثيق
التعاون الثماني بين البلدين .

فقد أقيمت حفلات للغداء والعشاء والشاي والسمر ، دعا إليها الدكتور
عبد الوهاب عزام سفير مصر في المملكة العربية السعودية ، والاستاذ
عبد العزيز سلامة رئيس البعثة التعليمية ، والاستاذ ابراهيم الشورى
مستشار الإذاعة وقتئذ ، والمدرسة النموذجية الثانوية والمدرسة النموذجية
الابتدائية بمدينة الملك سعود العلمية بمجدة . والاستاذ شكيب الاموى
المستشار الصحفي لشركة أرامكو ، والاستاذ عبد العزيز الربيع مدير التعليم
بمنطقة المدينة المنورة .

كما سجل الاستاذ أحمد عبد الحميد مدير البرامج بالإذاعة السعودية
ندوة اشترك فيها بعض الاعضاء وأذيعت بمناسبة هذه الرحلة .

وعاد أعضاء الرحلة إلى مصر وقد تحقق لهم من المنافع الدينية والثقافية
والاجتماعية ألوان شتى ، لم تكن تناح لهم في مثل موسم الحج ، وإن
كثيرين منهم أدوا فريضة الحج من قبل ، ولكنهم في هذه المرة استطاعوا
أن يستوعبوا كثيراً من المشاهد ويستجولوا ما انبهم عليهم من صورها
الماضية ، في فسحة من الوقت وأناة في المشاهدة والاستقراء .



أعضاء الفوج الأول في زيارة من
وظفر أعضاء الفوج الأول بدخول السكينة ..
كما شارك بعض أعضاء الفوج الثالث في عمارة الحرم النبوي ، بحمل
الاحجار إلى مكانها من إحدى المنارات .
واستطاع عشرة من أعضاء الفوج الرابع أن يصلوا إلى غار حراء .
هذه بعض المنافع الدينية التي غمرت القلوب بفيوض الإيمان ،
ومشاعر القرب من الله ، وزكاة النفوس والارواح .
أما المنافع الثقافية والاجتماعية فتشمل فيما أتيج لهم من الوقوف
على بعض مظاهر الحياة الثقافية والاجتماعية في هذه البلاد ، وكسب
الخبرات المختلفة والصلات الجديدة التي توطنها أمثال هذه الرحلة فيما
بين الأعضاء بعضهم وبعض ، وفيما بينهم وبين من اتصلوا بهم من أهل
هذه البلاد .

وحدث ونحن في طريقنا لزيارة سمو الأمير سلطان وزير المعارف بالنيابة في داره بظاهر جده ، حادث أدركه لطف الله وعنايته ...

فقد كان يتقدمنا في سيارته الأستاذ عبد العزيز السالم مدير مكتب الوزير ، ومعه الأستاذ عبد الله بوقس مدير التعليم .

وعند منحى الطريق الموصل إلى منزل الأمير سلطان عرجت السيارة ، وإذا بسيارة نقل كبيرة قادمة من طريق مكة تندفع في نفس الاتجاه ...

ولحما الكارثة ، ونحن في السيارة الأخرى التي تتبع سيارة مدير مكتب الوزير ، تكاد أن تنقض ...

وحدث تصادم مروع ، خفف من آثاره الخطيرة أن جاءت الصدمة في أحد أعمدة النور ففترت قوتها . ثم أصابت السيارة الصغيرة بصدمة حطمت مقدمتها ...

ونزلنا في فزع لنشاهد ما حدث . فاذا الأستاذ عبد الله بوقس مدير التعليم قد أصيب في جبهته بجرح قريب من العين !

وتطلعت إلى السيارات المارة في الطريق لنستقل إحداها إلى أحد مراكز الاسعاف .

ولحى السيد طاهر عبيد في سيارته فأشرت إليه بالوقوف . وصحبت

الاستاذ عبد الله بوقس إلى الوحدة العلاجية لوزارة المعارف . حيث أجرى الدكتور عادل طبيب الوحدة الاسعاف اللازم ، وخاط الجرح الذى اتضح أنه لم يصيب العين بسوء .

ويجوزنا الحديث بهذه المناسبة إلى التعريف بالنهضة الصحية في هذه البلاد . وهي نهضة يجدر الاشادة بها إذ بلغت مستوى عالياً في فترة لا تتجاوز عشر سنوات .

فمنذ ذلك التاريخ أنشئت أول وزارة للصحة وكان يتولاها الأمير عبد الله الفيصل ، واستطاع أى يحقق في بضع سنوات كثيراً من المشروعات العلاجية الوقائية ، ثم تولاها من بعده الدكتور رشاد فرعون وزيرها الحالي . وفي عهده استكملت كياناتها الفنية والإدارية وأصبح عدد المستشفيات والمستوصفات الموجودة الآن بالمملكة العربية السعودية نحو ١٦٠ مستشفى ومستوصفاً . منها ما هو عام لعلاج مختلف الأمراض ، ومنها ما هو خاص بالأمراض الصدرية والرمم والولادة والأمراض العقلية والأمراض التناسلية والعزل . ويتراوح عدد الأسرة في هذه المستشفيات بين ٢٠ و ١٥٠٠ سريراً

وإلى جانب هذه المستشفيات والمستوصفات تقوم وحدات وقائية ومكاتب للصحة ومحطات للحجر ومراكز لرعاية الأمومة والطفولة ، وفريق لمكافحة الأمراض الوبائية .

وذلك عدا مستشفيات وزارة الدفاع والمستشفيات الأهلية والعيادات الخاصة .

وقد بلغت ميزانية وزارة الصحة في العام الماضي نحو ٤٠ مليون ريال أى أربعة ملايين جنيهه .

وتقوم في المملكة العربية السعودية جمعية للاسعاف . لها فروع في مختلف المدن . ويشرف عليها منذ انشائها معالي الشيخ محمد سرور الصبان وزير المالية والاقتصاد . وتستمد مواردها من التبرعات الاهلية والإعانات الحكومية . وهى تؤدي رسالة ضخمة وخاصة في موسم الحج ، الذى يتعرض فيه كثير من الحجاج لضربة الشمس ولبعض الأمراض الفجائية نتيجة لاختلاف الجو والغذاء .



في الرياض

وتلقيت من جلالة الملك سعود البرقية الآتية :

السيد محمد كامل حته — مدينة الملك سعود العلمية بجدة

نشكركم و اخوانكم على حسن شعوركم ، وما أنتم إلا في بلادكم وبين
اخوانكم . ونرحب بقدوم الخمسة الأعضاء من اخوانكم ، وقد عمدنا
الجهات المختصة بما يلزم نحوهم .

« سعود »

وذلك ردأ على برقية بعثت بها إلى جلالته أحبيه باسم أعضاء
الرحلة ، وأطلب الاذن لخمسة منهم بالسلام على جلالته في الرياض .

واتصل بي معالي الشيخ ابراهيم السليمان رئيس ديوان مجلس
الوزراء^(١) . . . وسعادة الشيخ عبد الله السعد وكيل الوزارة للشئون
الملكية ، للتفاهم على تدابير الرحلة إلى الرياض .

(١) سفير المملكة العربية السعودية في القاهرة الآن .



سماعة الشيخ عبد الله السعد

معالي الشيخ إبراهيم السليمان

وفي فجر يوم الثلاثاء ١٤ فبراير سنة ١٩٥٦ تحركت الطائرة من مطار جدة ، في طريقها إلى الرياض ، وهي تقل أعضاء الوفد برئاسة الأستاذ أحمد زكي المدير العام للتعليم الثانوي (الوكيل المساعد للوزارة الآن) ويضم الوفد الأساتذة محمد عبد الرحمن عطية مدير مدارس الأهرام ، ومحمد مختار شقير العضو الفنى بإدارة الثقافة العامة ، ومحي الدين أبو شادى مدير العلاقات بإدارة الشؤون العامة (بمكتب الوزير الآن) وكاتب هذه السطور .

وبعد نحو ثلاث ساعات كانت الطائرة تهبط بنا فى مطار الرياض ، وكان فى استقبالنا بالمطار الشيخ صالح فضائلى التشرىفاتى بالقصر الملكى ، فصحبنا إلى فندق الرياض ، حيث نزلنا فى ضيافة جلالة الملك .

ثم حضر إلى الفندق سعادة الشيخ صالح اسلام رئيس التشريعات وقتئذ ، وأبلغنا تحيات جلالة الملك . ودعوتنا لتناول العشاء على مأدبة جلالته ، ونظم لنا جولة في الرياض ، في الفترة الباقية من النهار حتى موعد العشاء .

وصحبنا في هذه الجولة الأستاذ ماجد مدني التشريعاتي ، فخرجنا بالسيارات نجوب شوارع الرياض ، وتأخذ فكرة عامة عن عاصمة البلاد .

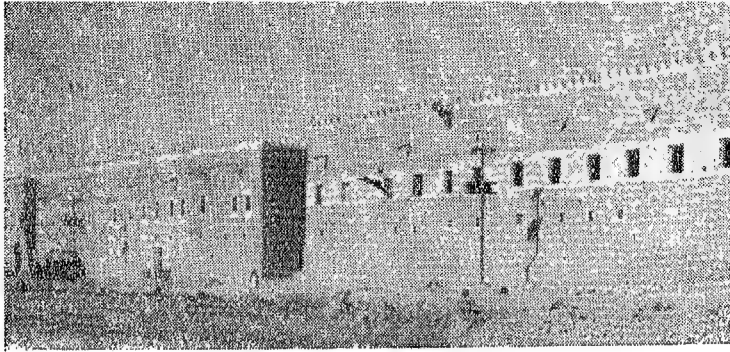
* * *

إن الرياض عاصمة عجيبة في تكوينها ومعالمها ...

فإنك لنجد فيها كثيراً من المفارقات التي تصور مدى ما نالها وينالها من تطور سريع ، مازال لسرعته يجمع بين الماضي والحاضر في إطار واحد ...

إنك تجد فيها صورة الرياض القديمة ، تلك البلدة التي كانت مقر الإمارة في عهد آل سعود ، ثم صارت دولة بينهم وبين آل الرشيد فترة من الزمن ، حتى استردها الملك عبد العزيز على تلك الصورة التي كانت أشبه بالأساطير ...

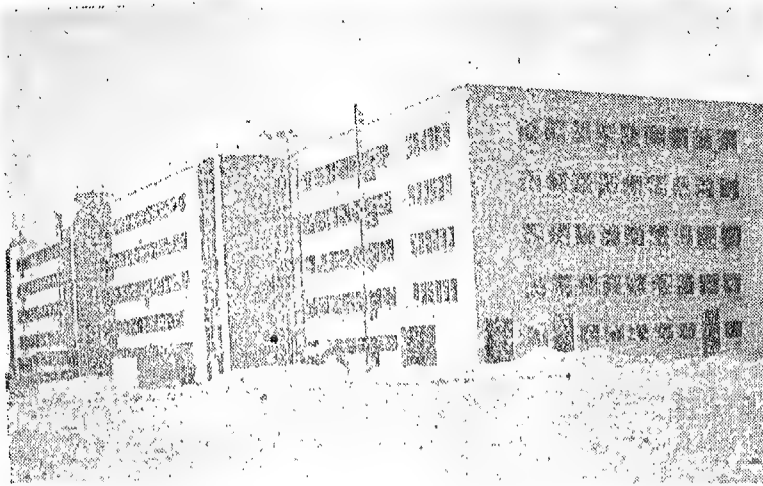
والرياض القديمة هذه ما زالت قائمة بمبانيها التي تشبه القلاع . وبشوارعها الضيقة . . ومن هذه المباني القائمة . . ذلك القصر الذي شهد الموقعة الحاسمة بين الملك عبد العزيز والأمير عجلان ليلة فتح الرياض .



ومنها كذلك قصر «المربع» الذى أنشأه الملك عبد العزيز ، والذى
يبلغ عدد حجراته ألف حجرة !

هذه صورة للرياض القديمة ، بل الرياض إلى ما قبل سنوات ...
أما الرياض فى صورتها الحديثة التى طغت على صورها القديمة
فشيء آخر ...

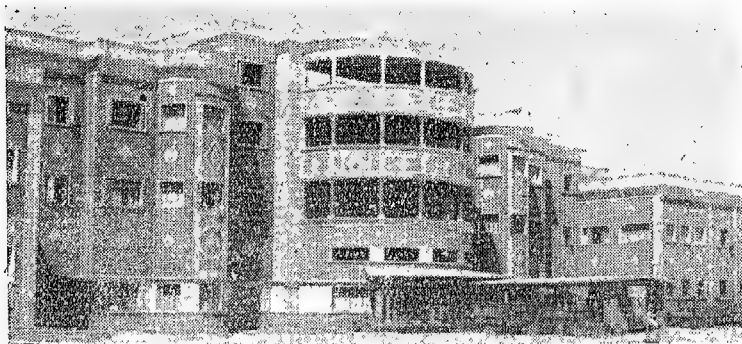
وهنا نقف قليلا عند نقطة هامة فى تاريخ الرياض ...
فى الليلة التى فتحت فيها الملك عبد العزيز الرياض ، ولد الأمير سعود ...
ومنذ تولى الأمير سعود ولاية العهد ، بدأ تاريخ الرياض فى عهدها
الحديث ، ثم حين تولى الملك ... انطلقت مشاريع النهضة والعمران
تحيل هذه البلدة القديمة الشاوية فى أعماق الصحراء ، إلى عاصمة من أكبر
عواصم الشرق !



المستشفى العام بالرياض

فهذه الشوارع المسفلطة الواسعة التي تمتد في كل مكان ، وهذه العمائر الضخمة ... كلية الملك عبد العزيز الحربية ، والمستشفى العسكرى ، والمستشفى العام ، ودار البلدية ، وقصور الناصرية والحجراء ، ومرافق الكهرباء والماء ، ودور الوزارات التي أوشكت على التمام ... والمعاهد التعليمية ، ودار المحكمة الشرعية ، والاقطاعات التي منحتها الحكومة للأفراد فقامت فيها العمائر والفيلات ...

هذه المعالم الحديثة التي تسابق الزمن في ميادين النهضة والعمران ، والتي تمت في سنوات قلائل .. هي الصورة الحديثة للرياض عاصمة المملكة العربية السعودية .



...وأدينا صلاة المغرب جماعة في قصر الحراء . وكان الملك سعود في
جولة تفقدية خارج القصر . ثم وصل جلالاته بعد نصف ساعة .
ودخلنا عليه في قاعة فسيحة الأرجاء . فاستقبلنا بالبشر والترحاب .

وبعد أن أديرت القهوة العربية ، انتقلنا إلى غرفة المائدة ، وقد
تصدرها جلالاته ودعى إليها جميع من في القصر من الزوار والأمراء
والوزراء والمستشارين . وكان الملك يوزع اهتمامه على جميع الحاضرين .
ثم عدنا إلى مجلس الملك ، حيث أديرت علينا قطرات العطر ،
وفناجين القهوة العربية . وكان جلالاته يصرف ما يعرض عليه من أمور ،
ويتحدث إلى بعض مراسلي الصحف الأجنبية ، ويحكي بين القينة
والقينة ضيوفه هنا وهناك ...

وأقبل حامل المبخرة يفوح منها عبير العود ، فبدأ بجلالاته

ثم ضاف على الخاضعين . وعندئذ وقف جلالة وإقبالنا عليه شاكرين
ومستأذنين في الانصراف...

وفي صباح اليوم التالي صحننا الأستاذ خالد خليفة التشريفاتي ، في
جولة شاهدة فيها بعض المرافق الهامة في الرياض .

وبدأنا زيارة المدرسة النموذجية لأبحال جلالة الملك . وهي في
قصور الناصرية التي تعتبر من أجمل القصور بحداثتها الغناء ومبانيها الجميلة.
وهذه المدرسة ليست قاصرة على أبحال الملك وأمرأة الأسرة المالكة ،
ولكنها تضم عدداً كبيراً من أبناء الشعب. إذ يبلغ عدد تلاميذها ٢٢٣
تلميذاً . منهم ٨٣ تلميذاً من أبناء الأسرة المالكة ، والباقي من أبناء
الشعب ..

وصادف دخولنا المدرسة ، موعد الإذاعة المدرسية ...

فاستمعنا إلى برنامج متنوع قدمه التلاميذ، يشمل بعض الأحداث
الاجتماعية والثقافية ، والتثليليات ، والأخبار العالمية والمحلية ...

ودعى الأستاذ أحمد زكي إلى إلقاء كلمة في الإذاعة ، ثم وجهت إليه
عدة أسئلة عن الرحلة ومشاهدها ، وعن رأيه في التعليم بالمملكة العربية
السعودية ، ومقارنته بالتعليم في مصر .

وشهدنا فصول الدراسة وهي تتكون من ثلاثة أقسام : روضة

وابتدأتى وثانوى . كما شهدنا الوان النشاط الاجتماعى والثقافى والرياضى الذى خصص له نصيب كبير فى برنامج الدراسة .

ويدير المدرسة الأستاذ عثمان الصاخر ، وتتألف هيئة التدريس والإشراف من ٢١ أستاذاً ، منهم ١٥ من المصريين .

* * *

ثم قمصدنا إلى كلية الملك عبد العزيز الحربية . وقد أقيمت مبانيها على مساحة واسعة ، على أحدث طراز فى العارة . واستقبلنا هناك القائد على زين العابدين مدير الكلية ^(١) ، وصحبنا إلى فصول الدراسة العلمية والعملية ، وإلى مساكن الطلبة وناديتهم ، وإلى المسرح العسكرى الذى الذى أقيم فى صالة نخمة تفوق أرقى صالات العرض العامة .

ويبلغ عدد الطلبة نحو مائة طالب ، يتناول كل منهم راتباً يبلغ ٤٥٠ ريالاً أى ٤٥ جنيه فى الشهر ، عدا نفقات الدراسة والإقامة .

وبالكلية ٣٠ أستاذاً من العسكرىين والمدنيين ، غالبيتهم من الضباط والمدرسين المصريين ، وقد أقيمت لهم إلى جوار الكلية مساكن حديثة تتوافر فيها الكهرباء والماء وتكييف الهواء . . .

* * *

(١) شاب فى مطلع العقد الرابع ، وقد بمكة عام ١٣٤٢ هـ وبعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية ، التحق بالسلك الحربية بالقاهرة وتخرج فيها عام ١٩٤٧ ثم التحق بسلاح الفرسان المصرى وقضى به عاماً وبضعة أشهر ، عاد بعدها إلى المملكة فالتحق بمدرسة للتدريب الأمريكية بالظهران ، وفى عام ١٩٥٠ سافر إلى أمريكا حيث التحق بمدرسة المدرعات بولاية كنتاكي ، وعاد إلى المملكة فشغل عدة وظائف هامة فى الجيش إلى أن عين مديراً للمدرسة العسكرية ثم مديراً للكلية الحربية . وهو إلى جانب مواهبه العسكرية شاعر مجيد .



أعضاء الوفد عند زيارة السككية الحربية بالرياض



درس عمل في السككية الحربية

ولما كانت مدينة الرياض هي مركز النفوذ الديني في البلاد . وبها
يقع فضيلة الشيخ محمد بن ابراهيم المفتي الأكبر ، حفيد الإمام محمد بن
عبد الوهاب ، فقد كان للتعليم الديني فيها مقام ملحوظ ، إذ يقوم بها المعهد
الديني الكبير ، في قصر تبرع به الأمير فيصل ولي العهد . وقد تقرر
إقامة جامعة الرياض الدينية واعتمد لانشائها مليونان من الريالات .

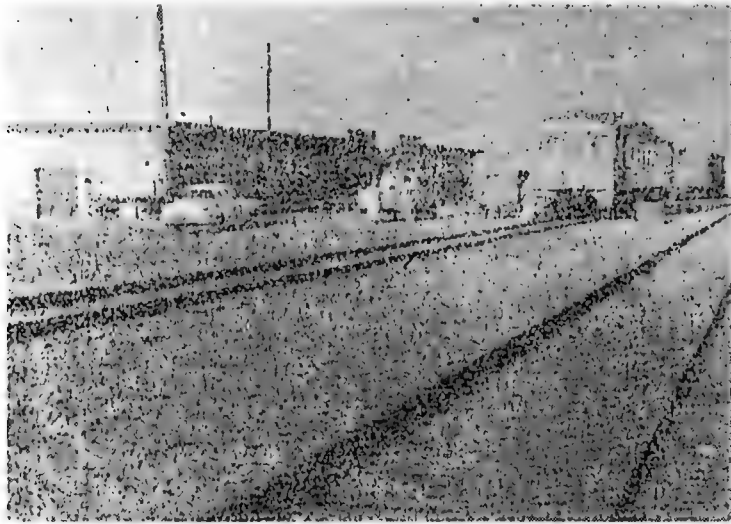
وقد زرنا هذا المعهد ، الذي يشرف عليه فضيلة الشيخ عبد اللطيف
بن ابراهيم آل الشيخ ، شقيق المفتي الأكبر ، وتبعه ستة معاهد أخرى
في بريدة ، وشقرا ، وعنيزة ، والمجمعة ، والاحساء ، وسامطة . وتبعه
كذلك كلية للغة العربية ، وأخرى للعلوم الشرعية .

وتبلغ ميزانية هذا المعهد وفروعه ٧٠٤٩٤٠ و ٧٠٤٩٤٠ ريالاً عربياً أى
نحو ٧٥٠ ألف جنيه ، وعدد طلبتها ١٥٤٦ طالباً : منهم ٦١٥ طالباً في
القسم التمهيدى ، و ٨٧٢ طالباً في القسم الثانوى ، و ٥٩ طالباً في كليتي
الشريعة واللغة العربية . ويصرف لكل طالب راتب شهري يتراوح بين
٧٠ ريالاً و ٦٣٠ ريالاً .

وتتألف هيئة التدريس من ١١٤ أستاذاً ، منهم ٥٧ من أساندة
الازهر ، عدا ٣٢ موظفاً للمراقبة والإدارة والأعمال الكتابية .

وفي الرياض مستشفى الملك سعود العسكرى ، ويقوم فى بناية فخمة .
تتوافر فيها أحدث الاجهزة للكشف والعلاج، ويضم نحو ٤٠٠ سرير ،
وقد بلغ عدد الذين عولجوا فيه خلال ستة أشهر ٥٠٠ شخص . عدا
الذين يترددون على عياداته الخارجية من العسكريين والمدنيين .

وخارج مدينة الرياض تقع محطة سكة الحديد ، التى تربط العاصمة
بالمنطقة الشرقية حتى ميناء الدمام على الخليج الفارسى .





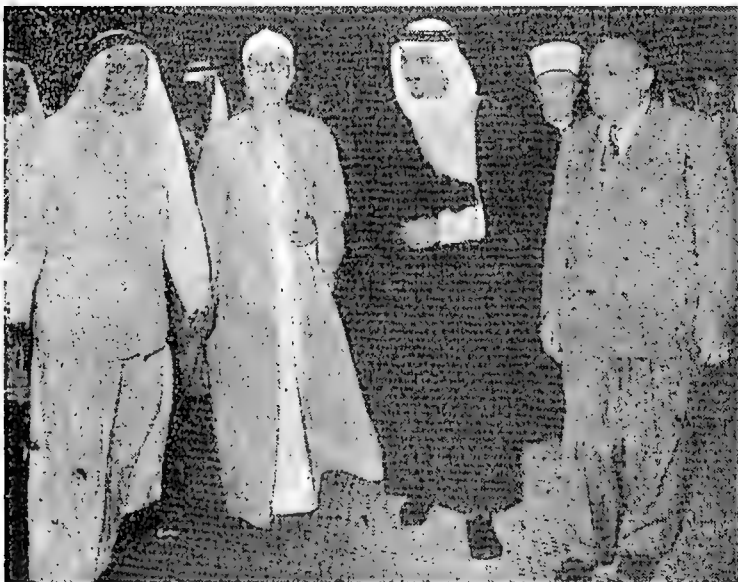
عربة مكيفه الهواء في سكة حديد الرياض

وقد افتتح هذا الخط الحديدى الاول فى المملكة ، يوم ١٩ محرم سنة ١٣٧١ فى عهد المغفور له الملك عبد العزيز . وبلغت نفقات إنشائه ٢٠٠ مليون ريال عربى ، أى ٢٠ مليون جنيهه ، وبلغت موارد هذا الخط من أجور الركاب والبضائع نحو عشرة ملايين جنيهه فى مدى خمس سنوات . . .

وبإنشاء هذا الخط الحديدى الذى يبلغ طوله ٥٥٦ كيلو متراً ، انتعشت الحياة الاقتصادية والاجتماعية على طول الطريق الذى يخترقه فى هذه المنطقة ، كما ساعد هذا الخط على تزويد الرياض بروافد النهضة الجبارة التى تقوم الآن فى جميع الميادين ، وتيسير المواصلات للحجاج القادمين من الشرق الاقصى عن طريق الخليج الفارسى .

وقد صرح لنا الامير سلطان وزير المواصلات حين زرنا سموه فى قصره بالرياض ، بأن وزارته تدرس مشروعاً لمد هذا الخط الحديدى إلى مكة والمدينة المنورة ، وبذلك تتم شبكة المواصلات بين جميع أجزاء المملكة ..

وبمناسبة الحديث عن المواصلات فى المملكة العربية السعودية ، يجمل بنا أن نشير إلى المواصلات اللاسلكية ، والبرقية والتليفونية . فإنها تعتبر من الاجهزة الهامة فى هذه الدولة المترامية الأطراف . وكانت آخر مرحلة فى المواصلات التليفونية هى تعميم التليفون الاوتوماتيكى .



الأمير سلطان في حفل الاستقبال الذي أقامته السفارة السعودية بالقاهرة . وإلى يمينه فضيلة شيخ الأزهر والسفير السعودي . وإلى يساره السيد أمين الحسيني والدكتور عبد الرزاق صدق وقد تحدث الأستاذ إحسان عبد القدوس^(١) بمناسبة زيارة الأمير سلطان وزير المواصلات للقاهرة عن قصة التليفون الاوتوماتيكي في المملكة العربية السعودية فقال :

كان الأمير سلطان بن عبد العزيز ، وزير المواصلات في المملكة العربية السعودية ، يتحدثنا عن مشروع تعميم التليفون والوتوماتيكي داخل المملكة . . لقد وضعت تصميمات المشروع ، وطرحت المناقصة في الاسواق العالمية ، وفتحت العطاءات . . وقبل التنفيذ ظهر . . . مشكلة . . مشكلة أخلاقية . . .

(١) مجلة روز اليوسف العدد ١٥٢٩ الصادر في ٣٠ سبتمبر ١٩٥٧

ان التليفون الاوتوماتيكي يفتح مجالا واسعا للمعاكسات التليفونية .
ان أى فرد يستطيع أن يدير القرص ، ويتصل بأى بيت ، ويقول أى
كلام . . ويخرب البيت . . دون أن تستطيع الدولة القبض على المجرم ،
إلا إذا وضعت كل التليفونات تحت المراقبة ، وهو ما لا تستطيعه
أى دولة . .

وقد تعرضت مصر لهذه التجربة عندما دخلها التليفون الاوتوماتيكي . .
بيوت كثيرة خربت . . زوجات طلقن . . ظلمنا . . وبنات اضطهدن
ظلمنا . . وأزواج وآباء عاشوا يتعذبون بالشك . . والغيرة . . عاشوا
محرومين من هده البال والأعصاب . . محرومين من السعادة العائلية . .
محرومين من النوم . . بسبب معاكسات التليفون !

كم جريمة ارتكبت عن طريق التليفون الاوتوماتيكي ؟ الله أعلم . .
والمدينة يصحها دائما اختلال فى الاخلاق . . وكلما تقدمت المدنية
اختلت الاخلاق أكثر . . ان الجريمة اليوم أسهل منها منذ عشرين
عاما . . وكلما اتسع مجال الحرية اتسع معه مجال الخطأ !

لماذا لا يفكر العلماء فى اختراع آلات لصون الاخلاق ، كلما فكروا
فى اختراع آلة تفسح مجالا لسوء الاخلاق ؟

لقد اخترعوا سلاحا ضد الدبابات . . وسلاحا ضد الطائرات . .
و . . و . . وهم يفكرون الآن فى سلاح ضد الصواريخ الموجهة . .
فلماذا لا يفكرون فى سلاح ضد التليفون الاوتوماتيكي ؟
وتردد وزير المواصلات السعودى طويلا قبل أن يقدم على تنفيذ

مشروعه .. انه يريد أن يحجب المملكة السعودية هذه التجربة الأخلاقية
التي مرت بها بقية الدول .. يريد أن يحجب البيت السعودي الخراب ..
ثم إن رجال الدين يقفون في وجه المشروع .. إنهم يعلمون أيضاً
ما فيه من إفساح المجال للجريمة الخلقية ..

وسافر الأمير سلطان يطوف بمصانع التليفونات بحثاً عن جهاز
يصون الاخلاق ..

وأخيراً وجده ...

وجد السلاح المضاد للتليفون الاوتوماتيكي ..

انه جهاز اخترعته شركة سيمونز الألمانية ، تستطيع به ، إذا اتصل
بك أى شخص في التليفون ، أن تدير رقم د صفر ، من تليفونك ،
فتعرف في الحال رقم تليفون الشخص الذي يحادثك ، وفي نفس
الوقت يسجل هذا الرقم على لوحة في مركز التليفونات ..

ولا يبقى عليك بعد ذلك إلا أن تتصل ببوليس النجدة ، ليقبض
على المتحدث ..

وتم تعميم التليفون الاوتوماتيكي في المملكة العربية السعودية ،
بعد أن زود بهذا السلاح المضاد ...

معجزة البعث الجديد

١

قال لي الصديق الاستاذ شكيب الاموى المستشار الصحفي لشركة أرامكو ، وهو يودعني ليلة سفرى إلى الرياض :

— أرجو ألا تفوتك فرصة زيارة الظهران ، فهي على مقربة من الرياض ، وتستطيع أن تصل إليها بالطائرة في أقل من ساعة ، أو بالقطار في خمس ساعات تشهد خلالها كثيراً من البلاد الهامة التي يمر بها القطار . وعُرضت علينا هذه الفكرة كذلك في الرياض ، فما يصل إليها زائر إلا هيئت له هذه الفرصة لمشاهدة الأرض التي انبثقت منها معجزة البعث الجديد في المملكة العربية السعودية .

ولكن هناك واجباً كان يفرض على أن أعود إلى جدة ، بعد يومين أقتهما في ضيافة الملك بالرياض . هذا الواجب هو استقبال الفوج الرابع من أعضاء الرحلة عند عودته من المدينة المنورة وتدير أمر عودته إلى مصر .

فما هي منطقة الظهران هذه التي يجدر بكل زائر للمملكة العربية السعودية أن يرتادها ، ليقف على مصادر البعث الجديد ومعجزته الرائعة في هذه البلاد ؟

إن القصة تبدأ بصورة عجيبة . . .

صورة اجتماع بين الملك سعود ومستر شارلس كراين الذى كان وزيراً للولايات المتحدة فى الصين ، ومستر كارل توتشل المهندس الأمريكى الخبير بعلم طبقات الأرض . .

وفى هذا الاجتماع ، طلب الملك عبد العزيز من الرجلين القيام بأبحاث للكشف عن موارد المياه فى المملكة العربية السعودية ، وكان ذلك هو الأمل الوحيد فى ذلك الوقت ، الذى يتعلق به عاهل الجزيرة والشعب العربى الذى تقوم حياته واقتصادياته كلها على توافر الماء . . .

وبدأ مستر توتشل أبحاثه فى عدة مناطق ، وكان لوزير المالية وقتئذ معالى الشيخ عبد الله السليمان ، جهود بارزة فى هذا المشروع ، واستغرق البحث بضع سنوات كانت تتراوح فيها عوامل اليأس والرجاء ، وبدلاً من أن يؤدى البحث إلى كشف موارد جديدة للمياه أدى إلى كشف موارد للبترول !!

ومنذ ذلك اليوم بدأ فى المملكة العربية السعودية تاريخ جديد . . . واتجهت أنظار الشركات العالمية إلى هذه البلاد ، وأنفقت على أعمال التنقيب نحو عشرة ملايين من الدولارات فى خمس سنوات ، حتى اطمأنّت إلى غزارة حقول البترول فى المنطقة الشرقية وتبلغ مساحتها ١٥٠ ألف ميل مربع .

وتم توقيع اتفاقية الزيت بين الملك عبد العزيز وشركة «كليفورنيا لإربيديان ستاندرد أويل» ، فى ٢٩ مايو سنة ١٩٣٣ وأطلق على هذه الشركة فيما بعد اسم شركة الزيت العربية الأمريكية «أرامكو» .



معالي الشيخ عبد الله السليمان
... كان له دور كبير . . .



الأمير سعود بن جلوى
أمير المنطقة الشرقية

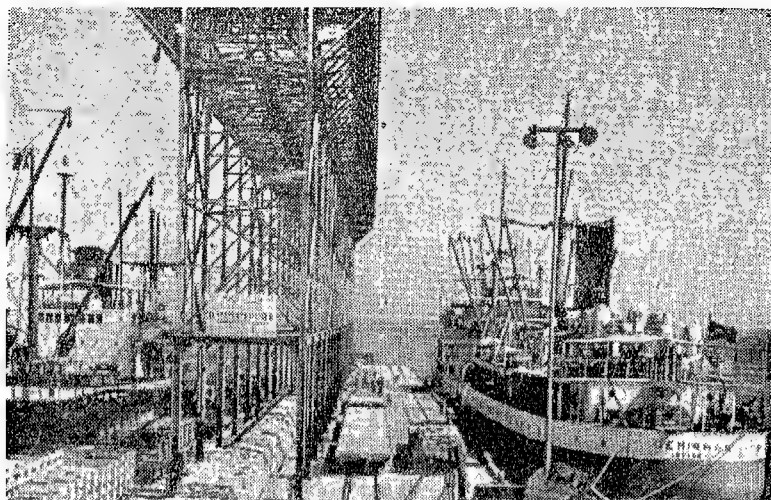
وظلت أعمال الحفر والتنقيب عدة سنوات ، قبل أن تلتج حقول
الزيت كميات تجارية ، ومنذ سنة ١٩٣٨ بدأ الانتاج يتطور ويزداد ،
وبدأت تثبت دعائم هذا المشروع العظيم ، الذى وصل أخيراً لإنتاجه
اليومى نحو مليون برميل ، وبلغ لإنتاجه فى العام الأسبق ٤٧ مليون
طن من الزيت الخام .

وكانت حصيلة الحكومة السعودية فى ذلك العام من هذا الانتاج
نحو ٢٧٥ مليون ريال ، أى ٢٧ مليون و ٥٠٠ ألف جنيه .

وقامت في المنطقة الشرقية مدن صناعية ضخمة أهمها مدينة الظهران،
كما انتشرت مراكز الإنتاج حول ١٤٤ حقلا من حقول البترول،
وأقيم معمل للتكرير في رأس تنورة بلغ إنتاجه في العام الماضي نحو
١١ مليوناً من الأطنان ...



أعضاء اللجنة الثقافية في زيارة معامل رأس تنورة



وأقيم ميناء الدمام الحديث في هذه البلدة التي كانت قرية صغيرة على الخليج الفارسي ، فتحولت إلى مدينة ضخمة ترسو على مينائها عابرات المحيط ، فتحمل إلى هذه البلاد ما قيمته ١٧ مليون جنيه من مختلف الواردات وتنقل منها ملايين الاطنان من البترول .

ويمتد ميناء الدمام إلى مسافة سبعة كيلومترات داخل الخليج ، حيث تسير على هذا اللسان قطارات السكة الحديد للشحن والتفريغ .

وانشى خط الانابيب من الظهران إلى صيدا تجرى فيه ملايين الاطنان من البترول عبر الصحراء ، حتى تصل إلى ميناء صيدا لتصديره إلى الاسواق العالمية .



الأمير عبد العزيز بن سعود بن جلوي ، وإلى يمينه مستر ف . ا . ديفير رئيس
مجلس إدارة الشركة ، وإلى يساره مستر ت . س . بارجر رئيس مكتب
العلاقات الحكومية المحلية ، وخلف الأمير سماعة الشيخ عبد الرحمن الشيباني
رئيس ديوان أمير الظهران

وعلى جانبي هذا الخط أقيمت موارد المياه ومحطات الصيانة.
والوحدات الصحية . وقد أفادت بذلك القبائل المنتشرة على طول
هذا الطريق كثيراً من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية .

ويبلغ عدد الموظفين والعمال في شركة «أرامكو» ٢١٨٥٨
 شخصاً منهم نحو ٦٥ ٪ من السعوديين الذين درب الكثيرون منهم
 على الأعمال الفنية الهامة .
 وبصور التطور الاقتصادي للمملكة العربية السعودية تبعاً لزيادة
 إنتاج الزيت المقارنة الآتية :

| | |
|---|-----------------|
| ١ - كان الإنتاج في سنة ١٩٣٨ | ٦٥٠٦١٨ طناً |
| ٢ - صار الإنتاج في سنة ١٩٥٤ | ٤٦٠١٣٦٠٥٨٣ طناً |
| أي زيادة توازي الإنتاج منذ ستة عشر عاماً ، سبعة آلاف مرة !! | |



مسجد حي الموظفين بالفهران

وليس من شك في أن التطور الاقتصادى فى موارد الدولة ، كان أسرع بكثير جداً من التطور الاقتصادى والاجتماعى فى حياة الشعب ؛ لأنه لم يكن تطوراً بالمعنى الرتيب المفهوم ، ولكنه كان طفرة واسعة المدى ، لم تنهياً الأسباب الاجتماعية فى تلك البلاد للملاحقة وثباتها السريعة الخاطفة . . .

على أن الزمن الذى تمت فيه هذه المعجزة الاقتصادية ، والفلك القوى الذى تدور فيه الآن ، كفى بأن يختصر كثيراً من الأبعاد ، ويجتذب إليه كثيراً من القوى البادية فتندمج فى جوه الحضارى الجديد ، وتنطلق فى مداره الاجتماعى البعيد . . .

وهنا يمسك بعض الناس قلوبهم من حذر وإشفاق . . .

إن فى أعماقهم آثاراً دامية من تاريخ الغزوات الاقتصادية والسياسية التى شنها الغرب على الشرق ، وإن لهذه البلاد وضعاً خاصاً ومكانة مرموقة بين الدول العربية والإسلامية ؛ لأنها أرض التوحيد ، ومنزل الوحي ، ومقر الكعبة ، وقبلة المسلمين فى الصلاة . . .

فهل ياترى تتكرر المأساة فتتفد إلى هذه البلاد مطاعم الغرب السياسية وتطغى عليها حضارته الاجتماعية ، فتدوى مقوماتها الدينية والقومية ، وتذوب عناصرها السياسية وفنائها الاجتماعية فى ذلك الطوفان الجديد ؟

لها مشكلة خلية بأن تشغل الأذهان ، وأن تثير في النفوس كثيراً من الحذر والإشفاق !

على أنى لا أذهب بعيداً في التشاؤم وسوء الظن ، ولا أتخذ من بعض المظاهر المسرفة التي كانت من أثر الفجاءة والظفرة ، دليلاً على خطر تلك النهضة الاقتصادية وسوء آثارها السياسية والاجتماعية في مستقبل هذه البلاد ، لأنى أومن بسلامة الفطرة العربية، وقوة معدنها، وقدرتها على تمثل الحضارة ، والانطلاق بها على سجيئتها السليمة التي لا تقبل التعقيد ، ولا تلبس لسيطرة الاجنبي ، والتي تستعصى على التحمل والانبعاث . . .

ولكى أحب أن أنبه أولى الأمر في المملكة العربية السعودية — وأنا أضع بين أيديهم هذه المشكلة ، وأرجو أن أبدد بعض ما يخامرني ويخامر الكثيرين من وساوس وشكوك — أحب أن أنبههم إلى عبرة من التاريخ ، إذا أرادوا أن يحققوا بهذه المعجزة معجزة أخرى . . هي بعث الأمة العربية لتضطلمع برسالتها الخالدة في الحياة من جديد . ولتعيد مجد الإسلام وحضارته على أساس وطيد من العلم والدين !

تلك العبرة هي ما اعترى المسلمين حين فتح الله عليهم أقطار الأرض ، واتصلوا بدينيات العالم وحضاراته ، فكان تأثرهم بها أقوى من تأثيرهم فيها ، وبذلك انحلت مقوماتهم التي سادوا بها الدنيا في أقصر

وأُسرع فترة عرفها التاريخ — تاريخ الدعوات الدينية والسياسية ،
وضعت قواهم المؤثرة الغلبة ، وتشوهت فطرتهم السليمة ، فإذا
موجهتهم الطاغية تنحسر وترتد إلى الوراء ، وإذا هم يتخلفون عن مكان
الصدارة ويرتكسون في الأعماق ...

هذه العبرة التاريخية الواقعية ، تفرض على أولى الأمر في المملكة
العربية السعودية أن يجنبوا الشعب العربي مزالق الخطر ، وأن يحفلوا
بالأمر على مداه الواسع البعيد في حاضره ومستقبله ، فيكون سبيلهم
إلى تطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، أو على الأصح إلى ملاحقة
هذا التطور السريع ، هو حماية هذا التطور وتدعيمه بخصائص العروبة
البادية السليمة ، بحيث تكون هذه الحضارة الجديدة مسخرة لتلك
الخصائص متأثرة بفضائلها ، لا أن تكون العروبة مسخرة لتلك الحضارة
بخيرها وشرها ، مناعة في كيانتها الغلاب وروحها الجذاب ...

بذلك — وبذلك وحده — لا تخامرني ريبة أو إشفاق ولا يطغى
على تشاؤم أو قلق ، من أثر الحضارة الجديدة التي بدأت ينابيعها تتدفق
مع الزيت في الظهران ...

وبذلك أيضاً أستطيع أن أومن بمستقبل الأمة العربية ، وأن
أتوقع المعجزة التي تجدد شباب العروبة وينبعث بها مجد الإسلام .

* * *

ثم هناك حقيقة أخرى ينبغى أن تكون ماثلة في الأذهان ، وينبغي
ألا تطنى عليها نشوة الثراء الفياض الذي يغمر هذه البلاد الآن .

هذا الزيت الذى انبثقت ينباعه فانبثقت معه ينباع الحياة فى قلب الصحراء، وامتدت شرايينه فى أرجاء البلاد، تحمل إليها روافد التطور الخاطف فى مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية ...

لأنه العنوان الرائع الذى خطه القدر على يد الملك عبد العزيز — طيب الله ثراه — لهذه المرحلة المجيدة فى تاريخ الجزيرة العربية .

وإن ما تدخره أرض المماسة من ينباع هذا الذهب الأسود يزيد أضعافاً مضاعفة على ما ظهر منها حتى الآن ، ويكفل للبلاد رصيداً هائلاً من هذه الثروة التى تعتبر فى وقتنا الحاضر عصب الحياة .

ولكن ماذا بعد ؟

نظرة بعيدة أو قريبة إلى مستقبل الطاقة الإنتاجية فى العالم تلهمننا الجواب ...

لقد كان الفحم هو مصدر هذه الطاقة فترة طويلة من الزمان ، ثم تفجرت بنابيع البترول فى الشرق والغرب ، ففقد الفحم أهميته وصار البترول هو مصدر الطاقة الإنتاجية الضخمة ، فى مختلف ميادين الحياة المدنية والحربية وما يزال .

ولكن تطور العلم لا يقف عند حد ، والفكر الإنسانى لا يقنع بما يحرز من انتصار فى سبيل الكشف عن القوى الكونية وتسخيرها لصالح الإنسانية .

وكان آخر انتصار للعلم في هذا الميدان هو تفجير الذرة ، وبذلك دخلت الانسانية في تاريخ جديد .

وظهر جهاز صغير في حجم آلة التصوير ، يمكن استخدام طاقته الذرية في إدارة جميع مرافق البيت . وهذا مثل صغير ، ولكنه يعطى دلالة ضخمة على مستقبل الطاقة الذرية في السيطرة على ميادين الانتاج في جميع مرافق الحياة .

ومرة أخرى ينسخ تطور العلم آية بآية ...

وكما نسخ بآية البترول آية الفحم ، فسوف ينسخ بآية الذرة ما سبقها من آيات ...

وهذه حقيقة علمية جديدة بالتدبر والاعتبار .

لأن البترول هو المصدر الأول للثروة الاقتصادية في المملكة العربية السعودية ، ويكاد يكون العنصر الوحيد في وقتنا هذا ، فإذا تكون الحال حين يطفى استخدام الذرة في الميادين التي تعتمد الآن على البترول ؟

وإن أماننا فترة قد تقصر وقد تطول قبل أن يتم هذا التطور في ميادين الإنتاج العالمي ، ولكنه تطور لا يتوقف ولا يخاف موعده . فمن الواجب إذن أن نستعد لمواجهة منذ الآن باستثمار حصيلة الزيت — بأكبر قدر مستطاع — في مضاعفة المشروعات الإنتاجية وفتح آفاق جديدة للصناعة والزراعة والتجارة ، واستغلال السكون المخبوءة في باطن الأرض معدنية ومائية ؛ والتوسع في سياسة التعليم الفني وتدعيم النهضة الحاضرة في شتى الميادين .

إننا في سباق خطير مع الزمن ، ونحن نملك الآن من وسائل الانطلاق ما يكفل لنا السبق ، فإذا لم نستخدم هذه الوسائل على أسس علمية في سبيل بناء الدولة وتأسيس مستقبلها الاقتصادي والاجتماعي ، ونكفل لهذه البلاد موارد جديدة للثروة القومية تزيد مع الزمن على موارد البترول ، جاء الوقت الذي تفقد فيه هذه الموارد قيمتها وتختلف بنا الركب في سباق الحياة .

على أن السياسة التي بدأت تسيير عليها الدولة في ضبط ميزانيتها ، وتخصيص بعض أبوابها للمشروعات الإنتاجية إلى جانب مشروعات الخدمات العامة ، تبعث الطمأنينة في حاضر هذه البلاد ومستقبلها ، وتحقق بالتوسع في هذه النواحي الهامة كثيراً من الضمانات التي تؤمن السكيان الاقتصادي والاجتماعي للبلاد .

٥

نشرت هذا الرأي في مجلة الرياض ، وكان له صدهاء البعيد في مختلف الأوساط ، وإن اعتبره بعض قصار النظر إسرافاً في التقدير لا مبرر له عل الإطلاق . . .

على أن من بين الردود التي تلقتها المجلة ردأ يجدر بي أن أثبته هنا لقيمه الفنية ، كتبه الخبير السكيميائي الصناعي بجدة الدكتور سليم خليل الديماطي إذ قال :

— قرأت ما كتبه الأستاذ سكرتير تحرير الرياض في « خواطر » العدد الماضي بعنوان « مستقبل الزيت بعد تفجير الذرة » .

وكان فيما كتبه بلباقة المُنذر والمحذر ، يهدف إلى توجيه الانظار نحو أخطر ناحية حيوية تهّم المملكة قبل غيرها . وقد حمدت الله على أن توجيهات المليك العظيم كان لها أثرها في خلق جو فكري تتفاعل فيه القوى المشمرة للخير الجميع ، قولاً وعملاً وتحذيراً وتوجيهاً .

لا ريب أن الزيت نعمة موقوتة من نعم الله على أمتنا العربية . وقد ربح العراق والكويت والبحرين وقطر ومصر والمملكة العربية السعودية من حصيلة الزيت مبالغ كبيرة من المال، وكان لذلك أثر كبير في تغيير الحياة العامة في هذه الاقطار في جميع الميادين .

ولن يفقد الزيت قيمته الحيوية كخامة من أهم الخامات ، ولن يفقد بعض قيمته كمادة للوقود . ولعل من الخير للصناعة ألا تحرق قطرة واحدة من خامة النفط لتستهلك في توليد طاقة ، ذلك لأن النفط الخام أصبح خامة يصنع منها عشرات الألوف من المواد المختلفة ، في مقدمتها عدد كبير من العقاقير الطبية والاصباغ بأنواعها ، والجلود الصناعية والمركبات الدهنية والشحمية التي لا يستغنى عنها في الصناعة وفي الحياة العامة ، والعمود والمسايق التي تدخل الفرش إلى قلب المرأة ، وفوق ذلك الانسجة الحريرية والصوفية ، نيلون وريون وغيرها ، ثم مئات الأشياء الأخرى . . .

سوف لا يكون النفط الأسود خامة لا قيمة لها مطلقاً، بل سيكون أغلى بما هو الآن بسبب استهلاكه في الصناعة ، والذي سيحدث هو أن هذه الملايين من الاطنان التي تستهلك يومياً كوقود ، سوف تهبط إلى

عشر معشارها في التصنيع . وطبيعي أن تهبط الحصيلة السنوية إلى أقل مما هي الآن عند الحكومات العربية وفي العالم كله ، ولكن في هذه الفترة سيكون الزيت الاسود مصدر خير لأصحابه ، إذ ستضعف مقاديره ، فبدلاً من أن يكون عمر انبعاث الزيت من أعماقه خمسين سنة مثلاً ، سيصبح خمسمائة سنة ، وهكذا ...

على أن هناك أخطاراً أخرى غير التي ذكرها الاستاذ سكرتير التحرير ، منها خطر وقوع حرب طاحنة ، ستكون آبار الزيت محط أنظار المتحاربين فيها ، وستكون حقولها ميداناً تتصارع فيه قوى الفريقين للاستفادة من القوى المدخنة في النفط. والحرب الحديثة تعول على القوى الميكانيكية في تحركاتها ، قبل أن تعول على أى شيء آخر .

وقد سبق لي في عام ١٣٦٩هـ أن قدمت إلى معالي وزير المالية تقريراً حول هذا الموضوع الذي يعالجه الأخ سكرتير التحرير «الرياض» ، وذكرت فيه أن الواجب يحتم علينا اليوم أن نستعين بجزء من حصة الزيت السنوية في إقامة صناعات تؤمن للبلاد بعض حاجاتها سنوياً ، كما تؤمن للمواطنين والمملكة مصادر حيوية تعيش عليها ، وتطمئن إليها في حاضرها وفي مستقبلها . فإذا استمر البرنامج الإنشائي هذا يسير في الاتجاه الصناعي الاستثماري ، فلن يمضي علينا عقد أو عقدين من السنين ، حتى تكون البلاد قد أقامت قلعة إنتاجية تؤمن لها الاستقرار ولا يضيرها ما قد يحل بزيتها من أخطار ... ،

في يناير سنة ١٩٥٤ فتحت صفحة جديدة في تاريخ النهضة الحديثة بالمملكة العربية السعودية ، إذ أعلن إنشاء الشركة العربية السعودية لنافلات البترول .

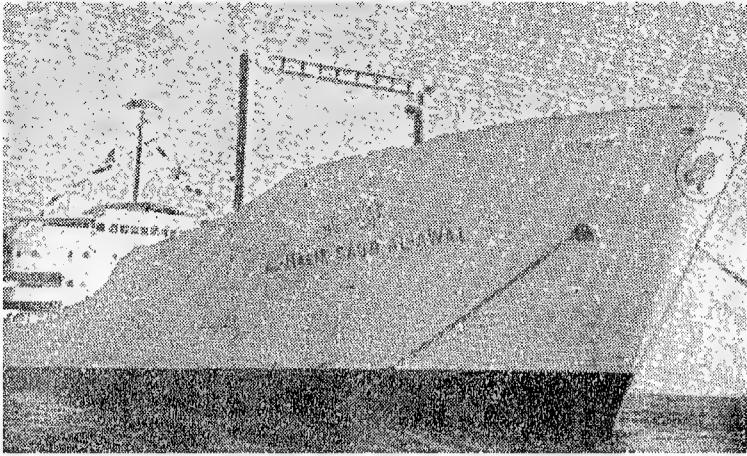
وبعد ستة أشهر أنزلت إلى مياه د هامبورج ، السفينة د سعود الاول ، التي تعتبر من أكبر ناقلات البترول في العالم .

وفي أول مايو من العام الأسبق احتفل برفع العلم السعودي على هذه الناقلة ، وأقلعت من ميناء هامبورج يودعها مائة ألف نسمة في أول رحلة لها إلى الشرق ، لتقل البترول من المملكة العربية السعودية إلى الولايات المتحدة .

وقد بلغت تكاليف هذه الناقلة سبعة ملايين ومائة ألف دولار ، ويبلغ طولها ٢٣٦٤ قدما ، وحولتها ٤٧ ألف طن .

وتعتبر الناقلة د سعود الاول ، نواة الأسطول البحري التجاري للمملكة العربية السعودية ، إذ يتضمن برنامج الشركة بناء ٢٣ سفينة أخرى ، وإنشاء كلية بحرية بالمملكة العربية السعودية لتخريج ٥٠ ضابطا بحريا كل عام ، يتولون العمل في الأسطول البحري الحديث . كما تقرر إنشاء أحواض بحرية لإصلاح السفن تستوعب نحو ألفين من البجارة والعمال .

وبذلك آن لهذه البلاد أن تسترد مكانتها البحرية التي فقدتها منذ أكثر من سبعين عاما ، هذه المكانة التي يؤهلها لها موقعها الجغرافي على بحرين كبيرين هما البحر الأحمر والخليج الفارسي ، وامتداد سواحلها



ناقلة البترول « سعود الأول »

نحو ثلاثة آلاف ميل . كما يؤهلها لهذه المكنة مركزها الاقصادى الذى يتصل بتجارة البترول ومواسم الحج .

وإذا علمنا أن الشركات التى تتولى نقل البترول من المملكة العربية السعودية إلى الخارج يبلغ عددها ١٨١ شركة أجنبية ، فإن الأمر يبدو على درجة خطيرة إذا ما تصورنا مدى السيطرة الأجنبية على أهم مرفق اقتصادى وتجارى فى هذه البلاد ، وخطورة النتائج التى تترتب على ذلك وخاصة فى حالات الحرب ...

لهذا كان إنشاء الشركة العربية السعودية لناقلات البترول وبناء أسطول بحرى فى هذه البلاد ، خطوة لا بد منها لتحرير مرافقها

الاقتصادية والتجارية من تلك السيطرة الأجنبية ، ولتقوم الدولة بنصيدها في ميدان النقل البحري ، وتعتمد على أسطولها في نقل بترولها إلى حد يمكنها من حماية هذه التجارة الضخمة وتأمين تصديرها إلى الأسواق العالمية .

إنها خطوة واسعة ، ولكن يجب أن تليها خطوات حتى تتناسب قوة الأسطول البحري مع ضخامة الإنتاج في حقول الزيت . وبذلك تحقق الدولة أهدافا عدة . . . منها ما ذكرت ، ومنها فتح آفاق جديدة في حياة الشعب ، بأعداد عدد كبير من الشباب للانخراط في سلك البحرية ، وتوفير ميادين العمل الفني والملاحي لمئات الألوف من الصناع والعمال والبحارة .

٧

وليس البترول هو الثروة الوحيدة التي تحتضنها أرض المملكة العربية السعودية ، بل إن هناك كنوزاً أخرى قد لا تقل أهمية عن البترول مطمورة في الرمال . . .

وأول هذه الكنوز ما كشف عنه مستر توتشيل من مناجم الذهب وغيره من المعادن . وقد عقدت في مايو سنة ١٩٣٤ اتفاقية للتنقيب والاستغلال في مناطق شاسعة بالحجاز ، تبلغ مساحتها ١١٠ آلاف ميل مربع ، أى على حد تعبير مستر توتشيل ما يوازي مساحة الجزر البريطانية !

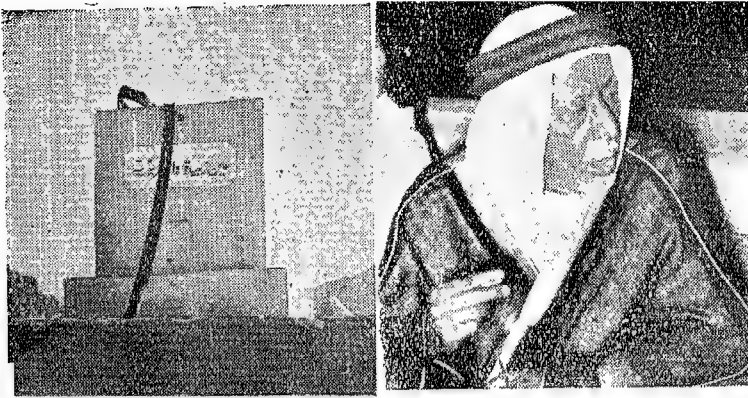
وقد أمكن اكتشاف خمسة وخمسين منجماً قديماً ، أهمها منجم ،
 « مهد الذهب » الذى بدأ العمل فى استغلاله منذ سنوات . وما زالت
 المناجم الأخرى تنتظر التوسع فى سياسة التعدين ، لتفويض برصيدها
 الهائل من التبر ، وتمدد الثروة الاقتصادية للبلاد بفيض زاخر على
 مر السنين .

وهناك مناجم أخرى فى كثير من الجهات ، للفضة والنحاس
 والحديد والرصاص ورواسب الباريات ، وغيرها من أنواع المعادن
 الأخرى . وهى كذلك تنتظر الجهود الصادقة لتصبح مورداً هاماً من
 موارد الصناعة والتعدين .

وإلى جانب الثروة المعدنية المطمورة فى رمال المملكة العربية
 السعودية ، توجد ثروة أخرى من الممكن أن تحيل ملايين الأفدنة من
 هذه الرمال إلى جنات وارفة الظلال ...

إنها المياه الزاخرة تحت طبقات الأرض ، والتي لا تحتاج فى كثير
 من مناطقها إلا الى جهد يسير لتفجير معه ينابيع الأرض وكأنها
 الأنهار ...

وقد أعطت التجارب التى قامت بها الحكومة فى بعض المناطق ،
 نتائج عظيمة فى تفجير هذه الينابيع واستغلالها فى رى الآلوف من
 الأفدنة ، كما حدث فى الخرج التى تقوم بها الآن زراعات نموذجية ممتازة ..



في عرفات . . .
توفير المياه لمئات الألوف

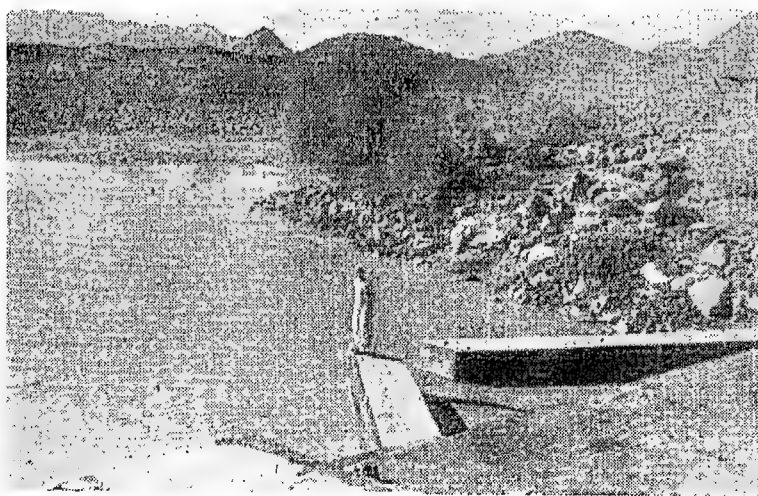
الشيخ عثمان باعمان
المشرف على عمليات المياه

وهناك مناطق صالحة للزراعة تقدر مساحتها بمئات الألوف من الأفدنة في الأحساء والحجاز وعسير. ومن الممكن باستنباط موارد المياه، وبناء السدود لحجز مياه السيول التي تتدفق بغزارة في وديان الحجاز وعسير، تحويلها إلى مناطق خصبة تغل أجود المحاصيل، وتقفز بالملكية العربية السعودية إلى الصف الأول بين البلاد الزراعية .

وليس أدل على طبيعة هذه البلاد من الناحية الزراعية، من تلك السدود القديمة التي ما زالت آثارها قائمة في المدينة المنورة وفي نجران وفي الطائف وغيرها، وهذا دليل على ما كانت عليه البلاد من عناية بشئون الزراعة والرى، وعلى صلاحية تربتها للزراعة في كثير من المناطق .

وقد استقدمت الحكومة في سنة ١٩٤٢ بعثة أمريكية لدراسة
الشمون الزراعية في البلاد ، وأكدت هذه البعثة توافر مصادر الغروة
الزراعية فيها ، ونجحت التجارب التي قامت بها نجاحاً يشجع على متابعة
الجهود في هذه الناحية الهامة ، ذات الاثر البعيد في حياة الشعب
واقصاديات الدولة .

وانجهدت الحكومة إلى العناية بإقامة السدود ، فأنشأت منذ عامين
سد عكرمة بالطائف ، وقد بلغت تكاليفه مليوناً من الريالات . كما
أقامت سد العاقول بالمدينة المنورة ، وقد شهدت هذا السد العظيم فإذا
هو يحتجز كميات هائلة من مياه السيول ، كانت تتهددت من قبل في
الأودية ومسارب الصحراء .



جانب من سد العاقول بالمدينة

في طريق المدينة

١

وفي إحدى رحلات أعضاء البعثة إلى المدينة ، مررنا بقرية بدر
التي شهدت في فجر الإسلام أول موقعة بين المسلمين ومشركي مكة .

وطلبنا من سائق السيارة أن يعرج بنا على مكان الموقعة ، وهو بين
كثبان من الرمل إلى يسار الطريق الناهب إلى المدينة .

وهناك وقفنا نشاهد الآثار التي خلفتها تلك الموقعة الخالدة ،
ونستشعر ما لهذه الأرض من مجادة وقداسة ؛ إذ كانت مسرحاً اختلطت
فيه الملائكة بالباطال المغاوير من أصحاب محمد ، إذ يُوحى
رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، سَأَلْتَنِي فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ، فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا
مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ،

إن الأمر بين محمد وهؤلاء المشركين الذين أخرجوه وصحبه من

ديارهم بعد أن ائتمروا به ليقنطروه ، وبعد أن لجئوا في ليناء
المستضعفين من المسلمين الذين ظلوا بمسكة ... لا بد له من أن يبلغ
غايته في جولة حاسمة !

وترصد المسلمون بالمدينة قافلة من قوافل قریش ، كانت عائدة من
الشام تحمل تجارة قدر ثمنها بخمسين ألف دينار ، وكان على القافلة
أبو سفيان وأربعون رجلا .

وما إن بلغ أبو سفيان الخبر قبل وصوله إلى المدينة ، حتى بعث
رجلا يستنفر أهل مكة لحماية تجارتهم ، ووصل الرجل إلى مكة وقد قطع
أذني بعيره وجدع أنفه ، وشق قميصه من مُقبِل ومن دبر وأخذ يصيح :

— يامعشر قریش .. اللطيمة اللطيمة^(١) ... أموالكم مع أبي سفيان قد
عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها .. الغوث .. الغوث !!

وتداعى الناس من كل مكان ، فلم يبق في مكة قادر على القتال
إلا حمل سلاحه ، وانطلقوا وراء « أبو جهل » لملاقاة محمد وأصحابه ...

وتحول ميزان الموقف ...

إن محمد وأصحابه الذين خرجوا للقتال وعدتهم بضعة عشر وثلاثمائة ،
إن يكون أمامهم أبو سفيان وصحبه الأربعون وحدهم ، بل إن
قریشاً قد أمدت هؤلاء بألف مقاتل ... فماذا هم فاعلون ؟

واستشار محمد أصحابه ، فقال المقداد بن عمرو :

(١) المال والتجارة .

— يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول
لك كما قال بنو إسرائيل لموسى « اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا
قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون !

وعاد محمد فقال :

— أشيروا عليّ أيها الناس ...

وكان يعنى الانصار الذين بايعوه يوم العقبة على أن يمنعوه مما
يمنعون منه أنفسهم وأبنائهم ونساءهم ...

فالتفت سعد بن معاذ زعيم الانصار إلى محمد وقال :

— لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟

قال : أجل ...

قال سعد : لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو
الحق. وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض
لما أردت فنحن معك . فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن
تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله
يريك منها ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله !

فأشرق وجه محمد عليه الصلاة والسلام ...

وقال لأصحابه :

— سيروا وأبشروا ، فان الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله
للكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم ...

وهنا . . على هذه الأرض من قرية بدر التى مررنا بها فى طريقنا
إلى المدينة ، دارت المعركة بين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من المسلمين
وألف من المشركين ...

هنا العدو الدنيا حيث نزل محمد وأصحابه ، وهناك العدو القصى
حيث نزلت قريش . وبينهما ساحة المعركة الرهيبة وقد اتلاقي فيها
الجمعان ...

وهال محمد أقل عدد أصحابه وعدتهم ، وكثرة العدو وقوته ..
وأشفق الرسول أن تدور الدائرة على المسلمين ، فلا تقوم لهم
بعدئذ قائمة ...

وهنا فى هذا المكان ... كان يقوم عريش يأوى إليه الرسول ،
وفى هذا العريش وقف — صلى الله عليه وسلم — مستقبلاً القبلة وقد
استبد به القلق والإشفاق ، رافعاً يديه فى ضراعة وإتهال وهو يقول :
— اللهم هذه قريش قد ألت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك ،
اللهم فنصرك الذى وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد .
ثم خفق خفقة من نعاس ، انتبه بعدها وقد علاه البشر وخرج إلى
الناس يحرضهم على القتال ويقول :

— والذى نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً
محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة !

واندفعت جموع المسلمين على قلوبها هائفة : أحد ، أحد .. والتقى
الجمعان في ملحمة رهيبة، وشهد هذا المكان أروع صورة للإيمان، وكيف
يجعل من القلة كثرة طاغية، ومن الضعف قوة غالبة، وكيف كان يسمو
بالنفوس عن عصبية الأهل والدم فيلتقي الأب مع ابنه .. هذا مسلم
وذاك مشرك ، فلا يكون الحكم إلا لكلمة الله !

وطاحت أعناق كثير من زعماء قریش احتواهم « القلب » في هذا
المكان .. وهذا أيضاً تقوم مقابر الشهداء !!!

تلك هي بدر ، على قاد سبعين كيلو متراً من المدينة ، وما زالت
كشبانها وآبارها ومقابرها تروی ذكرى أول معركة حاسمة في تاريخ
الإسلام ...

وقبل أن نبليخ المدينة بنحو تسعة كيلو مترات نزلاً بأبيار على ، وقد
أنشئت بها محطة لتوليد الكهرباء لإنارة المدينة المنورة قوتها ١٣٥ حصاناً
و ٨٠٠ كيلوات . وإلى جانب هذه المحطة المصنع الذي أمد عمارة المسجد
النموي بالموزايكو وأغنى عن استيراده من الخارج .

وانطلقت بنا السيارة حتى بلغنا بئر عروة في وادي العقيق ، على بعد
بضعة كيلو مترات من المدينة المنورة .

وهذه البئر أنشأها عروة بن الزبير وأقام إلى جوارها قصرأ منيفاً ،
وكانت البئر وما تزال مورداً عذباً ومناخاً جميلاً للتقوافل المارة من هذا
الطريق ، لا يمر منه أحد إلا استقى من مائها العذب .

ولم يبق الآن شيء من آثار قصر عروة ، ولكن البئر ما زالت

تمد الواردين بمائها الفرات ، وإلى جانبها بعض المقاهي التي تمتلئ في ليالي
الصيف بالسهار ...

وفي برّ عروّة يقول الشاعر السري بن عبد الرحمن الانصاري :

كَفَتْنُونِي إِنْ مِتُّ فِي دُرْعِ أَرْوَى
وَاسْتَقْتُوا إِلَى مِنْ بَرِّ عُرْوَةِ مَائِ
سُخِّنَتْهُ فِي الشِّتَاءِ بَارِدَةُ الصَّيْفِ
سِرَاجٌ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ ...

٢

وفي مدخل المدينة المنورة تقوم محطة السكة الحديدية التي كانت
تربط ما بين المدينة والشام ، وما زال بناء هذه المحطة قائماً ، وإن كان
يبدو كالقلب الذي خُصّت وانقطعت عنه شرايين الحياة ، وقد تذاثرت
في فناءه القاطرات والعربات كتيبة موحشة كالآطال .

على أن إعادة هذا الخط الحديدي أصبحت الآن موضع الدراسة
والتنفيذ ، وتم الاتفاق بين المملكة العربية السعودية والجمهورية
السورية والمملكة الأردنية الهاشمية على ذلك ، وتبرع الملك سعود
بمبلغ مليوني ليرة سورية للبدء في اتخاذ الدراسات الفنية لتنفيذ المشروع ،
وتقوم بهذه الدراسات الآن لجان فنية ، توشك أن تنتهي من مهمتها
في وقت قريب . .

وإعادة سكة حديد الحجاز ، سيكون لها أثر كبير في تيسير المواصلات
بين البلاد العربية ، كما ستكون عاملاً قوياً في إنعاش الحياة الاقتصادية
في المدينة المنورة

عمارة الحرم النبوي

١

... ووصلنا إلى فندق التيسير ، حيث أخذنا زينتنا وقصدنا إلى
مسجد الرسول — صلى الله عليه وسلم .
وبهرتنا العمارة الفخمة التي تمت في المسجد النبوي ، ففاقت في سعتها ،
وبنائها وطرارها كل ما مر بالمسجد عبر التاريخ من عمارات .
وأقبلنا على المقام الشريف في شوق دافق ينهمر الحياء ، وألقينا
السلام على صفوة الخلق وخاتم الأنبياء ...
ثم سلمنا على الصاحبين أبي بكر وعمر — رضى الله عنهما — وعدنا
إلى الروضة الشريفة فأدينا الصلاة .
لحظات خالدة لا تنمحى آثارها العميقة في النفس ، وشعور
بالطمأنينة والسلام والحب يغمر القلب والوجدان ...
ثم صحبنا معالي الشيوخ صالح قزاز وزير الدولة المشرف على عمارة
المسجد النبوي ، في جولة نتفقد فيها معالم تلك العمارة الرائعة .
وقد بدأ التفكير في هذه العمارة في عهد المغفور له الملك عبد العزيز
سنة ١٣٦٨ هـ ، حين أصاب التصدع بعض أعمدة الحرم . وقد أبدت

بعض الدول العربية والإسلامية وقتئذ رغبتها في أن تسهم في تدعيم بنيان المسجد ، ولكن الملك عبدالعزيز أبى إلا أن ينهض بالمشروع في أوسع مدى على نفقته الخاصة .

ومن ذلك التاريخ أخذ المشروع طريقه في مرحلة الدراسة والإعداد. ثم دخل مرحلة التنفيذ بهدم الدور المحيطة بالمسجد وتعويض أصحابها بسخاء ، إذ بلغت هذه التعويضات ٢٥ مليون ريال، أى مليونين و٥٠٠ ألف جنيه . . .

وجاءت مرحلة هدم القسم الشمالى من المسجد وهو الذى تقرر أن تقوم فيه العمارة الجديدة . وكان يوماً رهيباً في تاريخ المدينة . . . إذ وجفت القلوب وهى تشهد المعاول تضرب في بناء مسجد الرسول ، فتهاوى جدرانها وأعمدته ويرتفع غبارها فيحجب وجه السماء !

ولكن هذا الشعور الواجب لم يلبك أن تلتشى مع الأيام ، ثم تحول إلى شعور آخر كله بهجة وأمل واستشراق، حين احتفلت المدينة المنورة بوضع حجر الأساس الذى أرساه جلالة الملك سعود في ربيع الأول عام ١٣٧٢ . .

وأخذ البناء يرتفع حتى بلغ تمامه ، وكانت ليلة الأحد ٦ ربيع الأول عام ١٣٧٥ ليلة عيد لم تشهد المدينة منذ سعدت بهجرة الرسول ما يماثلها لإشراقاً وبهجة ، إذ كانت المدينة كلها . . وما تقاطر عليها من وفود الجزيرة العربية والاقطار العربية والإسلامية، تحتفل بتمام العمارة الجديدة للحرم النبوى الشريف . . .

وبلغت تكاليف هذا المشروع العظيم خمسين مليوناً من الريالات؛ ٢٥ مليوناً ثمناً للعقار الذى نزع ملكيته وأدخل في زيادة المسجد ، ومثلها لنفقات البناء .



طالب صغير يافى كلمة فى حفل افتتاح عمارة الحرم النبوى

وفيما يلي بيان مساحة المسجد النبوي منذ إنشائه على عهد الرسول
— صلى الله عليه وسلم — وما أضيف إليه من زيادة وعمارة حتى الآن.

| | | |
|----------------------------|-------|--------------|
| مساحة المسجد في عهد الرسول | ٢٤٧٥ | متراً مربعاً |
| زيادة عمر بن الخطاب | ١١٠٠ | » |
| » عثمان بن عفان | ٤٩٦ | » |
| » الوليد بن عبد الملك | ٢٣٦٩ | » |
| » المهدي العباسي | ٢٤٥٠ | » |
| » قايتباي | ١٣٠ | » |
| » عبد المجيد الثاني | ١٢٩٣ | » |
| » سعود الأول | ٦٠٢٤ | » |
| المساحة الكلية الآن | ١٦٣٢٧ | » |

ولم تقتصر عمارة المسجد النبوي في عهد الملك سعود على هذه الزيادة
فحسب ، بل شملت إعادة بناء جزء كبير من المسجد مساحته ٦٢٤٧ متراً
مربعاً . وبذلك تكون مساحة العمارة السعودية ١٢٣٧١ متراً مربعاً ،
أي ثلاثة أرباع المسجد في عمارته الحالية .

وكان من توفيق الله أن يسر لنا عند زيارة المسجد النبوي في هذه
المرة — وكان العمل قائماً في اتمام بعض منائر الحرم — أن شاركنا في
البناء أسوة بالرسول — صلى الله عليه وسلم — فوقفنا مع العمال نشترك
في حمل الرمل والحصى ، وحملنا بعض الأحجار إلى مكانها في أعلى

المنارة التي تقوم على الركن الغربي الشمالى من المسجد . وهى فرصة نادرة من فرص العمر هياً الله أسبابها ويسر بها أداء هذا العمل الخالد المبرور إن شاء الله .

٢

وفى مكتب لإدارة مشروع الحرم المواجه للمسجد النبوى ، وجدت بعض الأحجار التى كانت فى العمارة القديمة ، ونظرت فى أحدها فإذا بى أجد تفسيراً لكلمة أبان بن عثمان بن عفان ...

تلك الكلمة التى واجه بها الوليد بن عبد الملك ، عندما جدد الوليد عمارة المسجد على يد أهل الفن من الروم ، وقال لأبان فى نحر ومباهاة :

— أين بناؤنا من بناءكم ؟

فأجابه أبان بقوله :

— بنينا به بناء المساجد وبنيتهموه بناء الكنائس ...

وفى هذا الحجر القديم الملقى فى إدارة مشروع الحرم ، وجدت تفسير هذه الكلمة التى قالها أبان ...

فقد كان هذا الحجر محفوراً على وجهيه : الوجه الأول تدل رسومه على أنه استعمل للبرة الأولى فى عمارة الوليد بن عبد الملك ، والوجه الآخر تدل كتابته على أنه استعمل مرة أخرى فى عمارة السلطان سليم الثانى عام ٩٨٠ هـ .

وعلى الوجه الاول رسوم عجيبة لا يليق أن تكون في بناء المساجد... ولكن عذر صانعيها أنهم من الروم، فهي إذن صورة من الفن عندهم، وللفن في كل بيئة مقوماته الخاصة وتعبيراته المتصلة بالعقائد والأفكار.

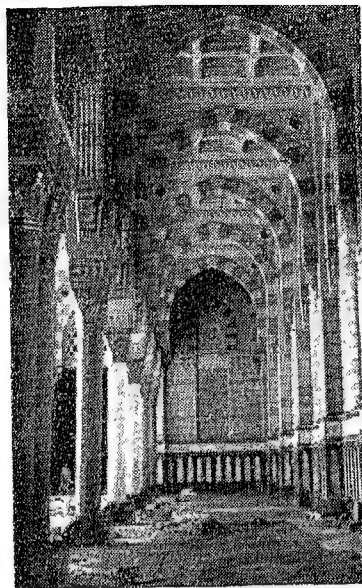
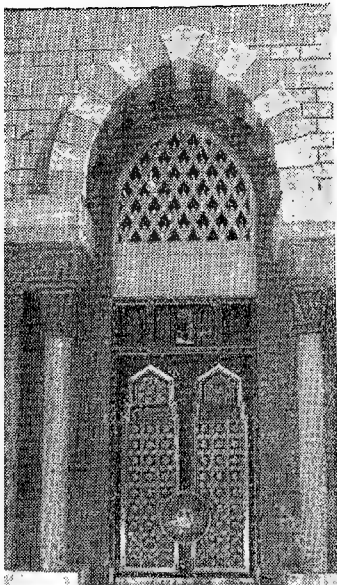
وأطمئن القارىء فأقول إن هذه الرسوم لا تتصل بالعقائد، ولكنها لا تتصل كذلك بالفن الذى ينبع في بيئة إسلامية ويقوم في عمارة المساجد، بله عمارة مسجد الرسول!

إن هذه الرسوم تمثل بعض جنسيات البحر ذات الرأس الآدمي وذيل الحوت، وتمثل مناظر أخرى، مما تعرض في المتاحف لا في دور العبادة!

وهذا الحجر وحدة من وحدات العمارة القديمة يمثل فيها وطابعها الذى قامت عليه في عهد الوليد بن عبد الملك، على يد أهل الفن من الروم...

هذا الفن الذى وصفه أبان بن عثمان بأنه فن كنسى، وهو يعنى أنه فن بعيد عن طبيعة الإسلام.

ولننظر عمارة المسجد النبوى الأخيرة التى تمت في عهد الملك سعود، نجدها عمارة عربية إسلامية في روحها وطابعها. وما كان يمكن أن تكون غير ذلك لأنها أقيمت في عهد عربي أصيل لم تفسده ألوان الحضارات الدخيلة، وفي بيئة مازال يقوم فيها علم التوحيد الخالص الذى ينبعث من قلب الصحراء، وتجددت به حياة الأمة منذ عهد الإمام محمد بن عبد الوهاب.



قامت العمارة الجديدة في بساطة لا يطفى عليها الزخرف والتعقيد
والتهويل ، وهى إلى ذلك شائعة رائعة تهر الأنظار والقلوب .

لأنها عمارة وصل فيها الفن والجمال والقوة أقصى ما تصل إليه
طاقة العمارة والبناء ، ولكن هذه الطاقة لم تكن تخضع لموجبات أجنبية
دخيلة ، من المصادر التى يستلهمها فن الروم أو غير الروم ، وإنما كانت
هذه الطاقة مسخرة فى إبداع هذه العمارة لروح العروبة والإسلام ،
لأن القائم عليها ملك عربى أصيل مسلم سلفى العقيدة ، ولأن المنفذين
لها من أهل الفن ، عرب مسلمون من أبناء الكعبة ...

في وادي العقيق

١

وحرصت في زيارتي للمدينة هذه المرة ، على أن استكمل دراسة بعض المواقع والآثار التاريخية فيها ، مما فاني في الزيارات الماضية .

وحملتنا السيارة إلى وادي العقيق خارج المدينة ، هذا الوادي الذي وصفه عمر بن الخطاب بأنه واد مبارك . والذي كان عامراً في العصور الإسلامية الأولى بالقصور العامرة والبساتين الغناء .

فمررنا بقصر سعيد بن العاص أحد ولادة المدينة في عهد بني أمية ، وكان رجلاً مشهوراً بالكرم الذي تضرب به الأمثال . وهذا القصر هو الأثر الوحيد الباقي من تلك العصور البعيدة ، وقد تهدمت بعض جوانبه ، ولكن الزائر يستطيع أن يلمح من خلال أطلاله صوراً لفن العبارة في ذلك العهد ، وهو فن كان فيه كثير من الترف والدقة والجمال .

وفي هذه المنطقة أقام جلالة الملك سعود مجموعة من القصور الشاذة ، وعلى القرب منها ثكنة كبيرة للجيش مبنية على أحدث طراز .

وأنطلقت بنا السيارة بين البساتين والمزارع والدور الحديثة
التي عمرت هذه المنطقة ، حتى بلغنا المكان الذي وقعت فيه
غزوة الأحزاب .

وهذا هو الجبل الذي كان يعسكر عليه الرسول — صلى الله عليه
وسلم — وقد أقيم مكان المعسكر مسجد صغير ، كما تناثرت عدة مساجد
صغيرة أخرى على الهضاب المجاورة حيث كان يعسكر قواد المسلمين .

٢

إنها الغزوة التي ائتملت فيها قوى اليهود الماكرة ، مع قوى العرب
المتحرقة للثأر والانتقام من محمد ودعوته ...

فقد كان آخر سهم ادخره اليهود للحرب محمد ، هو محاولة تأليب
قريش وقبائل العرب الأخرى للقضاء عليه في جولة تعباً فيها جميع
القوى وتضرب ضربتها الحاسمة ...

وتزعم هذه الحركة حي بن أخطب وجماعة من زعماء اليهود ،
فقدموا على قريش في مكة يؤججون نار الحرب والانتقام . وسأل
أهل مكة حي بن أخطب عن قومه فقال :

— تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى تأتوهم ففسدوا معهم
إلى محمد وأصحابه .

قالوا : وينو قريظة ؟

قال : أقاموا بالمدينة مكرأً بمحمد ، حتى تأتوهم فيميلوا معكم .
 قالوا : يا معشر اليهود ... إنكم أهل الكتاب الأول ، واصحاب العلم
 بما أصبحنا تختلف فيه نحن ومحمد .. أفدينما خير أم دينه ؟
 قال زعماء اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه !
 وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله تعالى :

— وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّخَذُوا آلَ الْكِتَابِ يَتُومِنُونَ
 بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ
 أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أُولَٰئِكَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
 وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فْلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا .

واستجابت قريش لدعوة اليهود إلى قتال محمد ، ثم تابع اليهود
 تأليبهم بين القبائل الأخرى . وخرجت الأحزاب للقتال ...

خرجت قريش في أربعة آلاف جندي وثلاثمائة فارس وألف
 راكب على الجمال وعلى رأسهم أبو سفيان .

وخرجت بنو فزارة في جند كثيف ، ومعهم ألف بعير .

وخرجت أشجع ومُرة ، كل منهما في أربعائة محارب .

وخرجت سليم في سبعمائة رجل .

وانحازت إليهم عدة قبائل أخرى حتى بلغ جيش الأحزاب عشرة
 آلاف مقاتل ...

وعلم محمد وصحبه بالامر ...
 وتداولوا ماذا هم فاعلون لملاقاة هذا العسكر الكثيف ، الذى لا قبل
 للمسلمين على حربهم . .
 لمنها القارعة . . .
 وقال بعضهم : لا سبيل لملاقاة العدو ، ولا مناص من التحصن
 داخل المدينة .
 ولكن ما ذا يجدى التحصن أمام هذه القوة الساحقة ؟
 وهنا أبدى سلمان الفارسى رأياً . . .
 إنه ليعلم من أساليب الحرب ما لا عهد للعرب به . . .
 فقد أشار عليهم بأن يحفروا خندقاً حول المدينة .
 وهنا فى هذا المكان من وادى العميق . . اندفع المسلمون يحفرون
 الخندق ، والرسول — صلى الله عليه وسلم — بينهم يضرب الأرض
 ويحمل التراب . . .
 واستمر هذا العمل الجبار بوسائله البدائية ستة أيام حتى تم حفر
 الخندق ، وأقيمت الحجارة على جانبه من جهة المدينة ليسكون
 درعاً للرماة . . .
 وأقبلت الأحزاب فى عشرة آلاف مقاتل من جهة أحد فلم تجد
 محمداً هناك ، فأنحدرت إلى المدينة فإذا بها تواجه الخندق !
 وكان محمد يربط فى ثلاثة آلاف رجل ، معتصماً بجبل « سلع »
 وقد ضربت خيمته الجراء على هذا المكان الذى شهدنا فيه مسجد الفتح
 الصغير . . .

وأسقط في أيدي الأحزاب فلم يدروا ما ذا يفعلون . وفكر حي
ان ابن أخطب زعيم اليهود في حيلة يحطم بها استحکامات الدفاع التي فاجأ
بها محمد الأحزاب ...

فتسلل إلى المدينة حتى أتى يهود بني قريظة وكان بينهم وبين محمد عهد
وميثاق ، وقال لكعب بن أسد :

— ويحك كعب ... جئتك بعز الدهر وببحر طام ... جئتك بقريش
ويعطفان مع قادتها وسادتها ، وقد عاهدوني وعاهدوني على ألا يبرحوا
حتى نستأصل محمداً ومن معه !

ولكن كعب بن أسد قدّر الامر على جميع وجوهه ، وخشى أن
تفشل الأحزاب فيصيبه وقومه البوار والدمار ، لتكتمهم العهد الذي
بينه وبين محمد ...

وما زال حي بن أخطب به حتى أقنعه بالانتماء على محمد والانضمام
إلى الأحزاب ...

وكانت طعنة غادرة في ظهر المسلمين زلزلت القلوب والأقدام !
وَإِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ،
وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَازَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَسَّاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا .. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ
وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا .

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ
لَكُمْ فَارْجِعُوا . وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن
يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ،

٣

واقعة حمت الأحزاب الخندق بخيلهم ...

فبرز لهم على بن أبي طالب في جماعة من المسلمين يسدون
عليهم الطريق ...

وتقدم عمرو بن عبد ود ينادى :

— من يبارز ؟

فلما به على بن أبي طالب ...

فأشاح عمرو بوجهه وقال في كبرياء :

— لَمَّا يَا ابْنَ أَخِي ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ؟

وقال على : لكني أحب والله أن أقتلك !

وتبارز الفارسان في جولة رهيبة ...

وقتل على غريمه البطل ...

ففرت خيل الأحزاب مولية الأدبار !

ولكن المعركة لم تنته بعد ، فقد طالت أيام الحصار والمناوشات ،

والاحزاب لا تستطيع أن تنال من محمد وقومه نبلاً يحقق
أحلامها الحمراء ...

وبدا اليأس والخلاف يدب في صفوف الاحزاب ، ثم أوهنت ريح
الشتاء عزائمهم وفركت عظامهم لطول ما أقاموا وراء الخندق ، وقد
كانوا يظنونها جولة حاسمة تتم في بضعة ساعات !!
حتى كانت الليلة الفاصلة ...

ليلة هبطت فيها على المسلمين نجدة من جند السماء ...
إذ عصفت الريح عصفاً شديداً اقتلعت خيام الاحزاب وكفأت
قدورهم ، وانهاكت السماء بالأمطار ، وقصفت بالرعود والبرق ...
وقام طليحة بن خويلد ينادى في الاحزاب :
— النجاة ... النجاة ...

يامعشر قریش .. إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام .. لقد هلك
الكراع والخلف ، ولقيتمنا من شدة الريح ما ترون ، فارتحلوا
فإني مرتحل ...

وانطلقت الاحزاب هاربة لا تلوى على شيء ...
وأشرقت شمس الصباح ، ونظر محمد وأصحابه فإذا ميدان المعركة
ليس فيه إلا أشلاء القدور والخيام !!
وكفى الله المؤمنين القتال ..

عمارة المسجد الحرام

١

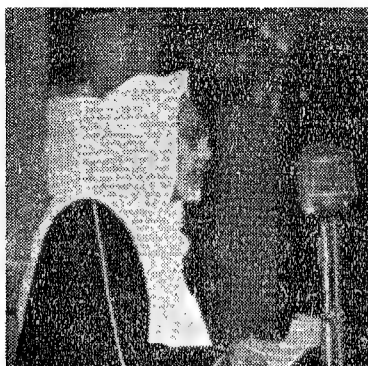
وغادر الفوج الاخير من أعضاء البعثة ، الارض المقدسة ...
وتخلفت بعدهم بضعة أيام ، ريثما أصفى بعض شئون هذه الرحلة
التي استغرقت خمسة أسابيع .

ثم تأهبنا للعودة إلى مصر ...

وكان لابد لي قبل أن أغادر هذه البلاد ، من أن أؤدي العمرة ،
وأستمتع بالطواف بالبيت العتيق ، والصلاة في المسجد الحرام ...

ونلت من ذلك ما أريد ، بل بعض ما أريد ، فإن المرء في مثل
هذا المقام يطمح أبداً في المزيد !

وكان المسجد الحرام وقتئذ ، قد بدأ العمل في عمارته الكبرى
بإزالة الدور المحيطة به ، فهدمت دار الحميدية ، والتسكية المصرية ،
والمباني القائمة على جناحي المسعى ما بين الصفا والمروة ، وبعض
جوانب الحرم .



معالي الشيخ محمد صالح قزاز

معالي الشيخ محمد بن لادن

وكانت الحكومة السعودية قد وكلت إلى معالي الشيخ محمد بن لادن، القيام بتنفيذ هذا المشروع الجليل . وتألفت هيئة فنية من المهندسين المصريين^(١) لدراسة المشروع وإعداد رسومه والإشراف على تنفيذه . وأسندت إدارة المشروع إلى معالي الشيخ محمد صالح قزاز ، وهو الذي تولى إدارة مشروع العمارة الجديدة للحرم النبوي .

وفي صباح يوم الخميس ٢٣ من شعبان عام ١٣٧٥ هـ وضع جلالة الملك سعود حجر الأساس في مشروع العمارة ، في حفل عظيم أقيم بهذه

(١) تألفت الهيئة من المهندسين محمد طاهر الجويني وكيل المفتش العام ، مصلحة المباني المصرية كبيراً لمهندسي المشروع ، والدكتور المهندس محمد هلال أستاذ الخرسانة المسلحة بكلية الهندسة بجامعة القاهرة ، والمهندس مصطفى فهمي مستشاراً مهنياً للمشروع .

المناسبة التاريخية . وألقى سمو الأمير محمد بن سعود خطاب جلالة الملك . ومنذ يومئذ بدأ تاريخ المسجد الحرام يدخل مرحلة جديدة ...

٢

ويبدأ تاريخ المسجد الحرام منذ ظهور الإسلام . أما قبل هذا العهد فقد كانت الكعبة قائمة في مكانها هذا وليس حولها إلا الفضاء الممتد إلى جميع الجهات . فلم تسكن ثمة دور ولا سور ؛ لأن القبائل التي سكنت مكة من العالقة وجرحم وخزاعة وقريش وغيرهم ، كانوا يقطنون في شعاب مكة ويتركون ما حول الكعبة ، تعظيماً لشأن البيت العتيق .

وظل الأمر كذلك حتى انتقلت ولاية مكة إلى قصي بن كلاب ، الجد الخامس للرسول — عليه الصلاة والسلام — فجمع بطون قريش وأمرهم أن يبنوا بيوتهم حول الكعبة وقال لهم :

— إن سكنتم حول البيت هابتكم الناس ، ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم ...

وبدأ قصي فبنى دار الندوة في الجانب الشمالي ، ويقع مكانها الآن في فسحة باب الريادة وهو أحد أبواب الحرم .

وبنت قريش بيوتها حول الكعبة . وكان كل بيت منها على هيئة دائرة حتى لا تكون شبيهة ببناء الكعبة المربع الأضلاع . وكان ارتفاعها أقل من ارتفاع الكعبة احتراماً لها . وكان لكل بيت باب يتجه إلى

الكعبة ، وبين كل بيتين يمر يفضى إلى المطاف .

ولم يكن العرب في جاهليتهم يعرفون الصلاة ، وإنما كانت عبادتهم الطواف . فلم يكن ثمة مسجد حول الكعبة ... وإنما كان مطاف للعبادة ومجالس عامة يتناول الناس فيها مختلف الشئون .

فلما جاء الإسلام ، كان من أسلم من أهل مكة يستخفي بصلاته في بيته أو في أحد الشعاب . ولم يصل حول الكعبة إلا الرسول وأبو بكر في فترات متقطعة ، ولم يستعان المسلمون بصلاتهم ويؤدوها حول الكعبة جهاراً إلا بعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة . ومن ثمة بدأ تاريخ المسجد الحرام .

وظل مدار المطاف مسجداً في عهد النبي وعهد أبي بكر . وفي عهد عمر بن الخطاب كان المسجد قد ضاق بالمصلين ، فاشترى الدور التي حول المطاف^(١) ، وزاد في مساحة المسجد الحرام ، وأقام حوله سوراً عليه أبواب .

وكذلك فعل عثمان بن عفان ، فقد زاد في مساحة المسجد الحرام ، بعد أن أزال الدور التي حوله بمقدار الزيادة . ووقع له من أصحاب هذه الدور ما وقع لعمر من قبل . فقد امتنع بعضهم عن بيع دورهم ورفضوا قبض ثمنها ، فأمر عثمان بهدم هذه الدور على أصحابها ...

(١) لهذه الدور قصة سبق ذكرها في الرحلة الأولى .

فصاحوا به ١١

فغضب عثمان وقال لهم :

— جرأكم علىّ حلى عنكم؛ فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح
به أحد...

ثم أمر بهم إلى الحبس ، فسمع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد ،
فأخلى عثمان سبيلهم وأخذوا ثمن دورهم .

وزاد عبد الله بن الزبير في المسجد زيادة كبيرة عام ٦٦ هـ ، ثم جدد
عبد الملك بن مروان عمارة المسجد الحرام عام ٧٥ هـ ورفع جدرانها
وزين رأس كل اسطوانة بخمسين مثقالاً من الذهب ، ثم كانت الزيادة
والتجديد اللذين اتما في عهد الوليد بن عبد الملك عام ٩١ هـ

وتمت بعد ذلك زيادات وتجديدات أخرى نذكرها فيما يلي :

زيادة أبي جعفر المنصور عام ١٣٧ هـ .

وزيادة محمد المهدي العباسي عامي ١٦٠ و ١٦٤ هـ ، وهي أكبر زيادة
تمت في مساحة المسجد الحرام . فقد قدرت تكاليفها بما في ذلك ثمن
الدور التي هدمت وأدخلت في التوسعة ، بنحو أربعة ملايين
و ٥٠٠ ألف دينار .

ثم زيادة أبو أحمد الموفق بالله أخى الخليفة المعتمد العباسي
عام ٢٧١ هـ

وزيادة دار الندوة في عهد المعتضد عام ٢٨١ هـ .
 وزيادة باب ابراهيم في عهد المقتدر بالله عام ٣٠٦ هـ وهي آخر
 زيادة في مساحة المسجد الحرام .

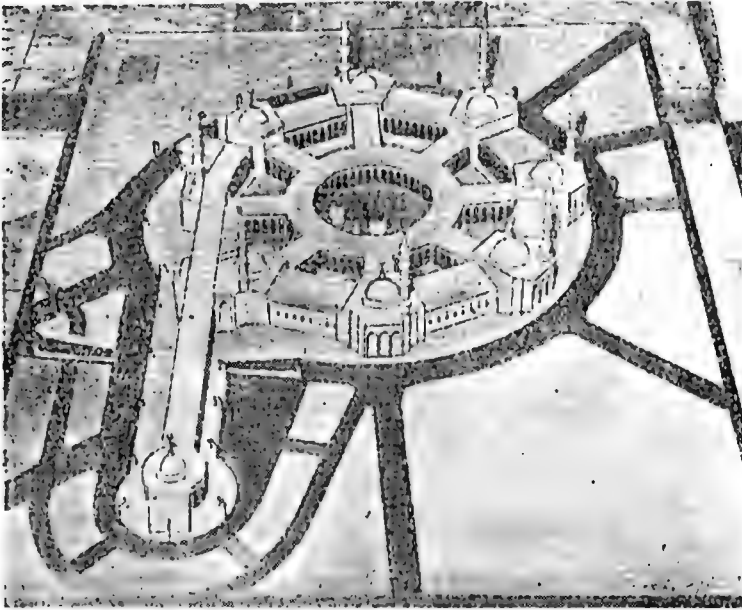
٣

أما عمارة المسجد فقد كان أهمها عمارة السلطان قايتباي عام ٨٨٢ هـ
 وعمارة السلطان سليمان العثماني عام ٩٧٢ هـ وعمارة السلطان سليم
 عام ٩٨٤ هـ وقد أتمها من بعده ابنه السلطان مراد خان . وعمارة
 السلطان عبد العزيز خان عام ١٢٧٩ هـ وعمارة السلطان عبد المجيد
 خان الثاني عام ١٣١٤ هـ .

ثم عمارة السلطان محمد رشاد خان عام التي بدأت عام ١٣٣٤ على
 أثر سيل عظيم طغى على المسجد الحرام ، وارتفع مأواه حتى غطى الحجر
 الأسود وحجر إسماعيل وبلغ عتبة باب الكعبة . وفي أثناء العمل في
 في هذه العمارة أعلن أمير مكة الشريف الحسين بن علي ، في فجر يوم
 السبت ٩ شعبان من ذلك العام استقلاله بالحباز ، ووقعت الحرب بينه
 وبين الأتراك ، فتوقف العمل في العمارة ، إلى أن أتمها الشريف الحسين
 عام ١٣٣٨ هـ

وكانت آخر عمارة للمسجد الحرام ، هي التي قام بها الملك عبد العزيز
 آل سعود ، منذ عام ١٣٤٤ حتى عام ١٣٥٤

وتعتبر عمارة الملك سعود التي تجرى الآن أعظم عمارة في تاريخ المسجد الحرام . وتبلغ مساحة المسجد وملحقاته الآن ٣٥ ألف متر مربع . ويشتمل المشروع الجديد على إضافات خارجية تبلغ سبعين ألف متر مربع ، بحيث يتسع المسجد لنحو نصف مليون من المصلين .



تصميم العمارة الجديدة للمسجد الحرام

وسيقام على المسجد طابق علوى ، يخصص جانب منه للسيدات .
وسيعظم المسمى إلى المسجد الحرام ويبنهما جدار زجاجى سميك له نوافذ
وأبواب تؤدى إلى المسجد . وبذلك يتهياً للساعين النظر إلى الكعبة
أثناء سعيهم بين الصفا والمروة ، فى جو من القداسة والخشوع .
ويتضمن المشروع إيجاد طبقة مكيفة الهواء تحت المطاف ، حتى لا يصلّى
الطائفون وقدة الأرض الملتهبة تحت أشعة الشمس ، ويؤدون عبادتهم
فى يسر ومتعة .

وسمكون المسجد سبع مآذن منها أربع ارتفاع كل منها ٩٠ متراً ،
وثلاث ارتفاع كل منها ٧٠ متراً . وسيكون له ٢٤ باباً منها ما يمكن
نقله وإصلاحه من الأبواب الحالية . ويحيط بالمسجد الحرام بعد
توسيعه وعمارته طريق عرضه ٢٠ متراً ، وأمام المسجد ميدان فسيح .
وقد رصد لتنفيذ هذا المشروع العظيم ، بما فى ذلك تعويضات
أصحاب المباني التى أدخلت فى الحرم ، خمسون مليوناً من الجنيهات .

وَلَمَّا يَعْزَمُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنَ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ،

وثائق واحصائيات

لم أرد أن أشغل القارئ في سياق هذه الرحلة الطويلة،
التي طوف معي في ارتياد معالمها وأحوالها، بالاستطراد في
إيراد بعض الوثائق التاريخية والسياسية والاجتماعية،
والاحصائيات المفصلة، عن جوانب الحياة في المملكة العربية
السعودية.

ولهذا آثرت أن ألتحق هذه الرحلة بأهم هذه الوثائق
والاحصائيات، لمن شاء أن يرجع إليها في استكمال
الصورة، على مزيد من الاحاطة والاستقراء...

توحيد المملكة

كانت المملكة العربية السعودية حتى يوم ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ تسمى المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها .

وهذه التسمية كانت عنوانا على طبيعة الفترة التي قامت فيها الدولة السعودية في عهدها الأول . وهي التي كانت تنقسم بملاح التجزئة في الوطن الواحد : الحجاز ، ونجد ، والملحقات .

وفي يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ صدرت أول وثيقة تحمل الاسم الذي يقرر وحدة هذه البلاد ، ووضع نظام للمملكة على هذا الأساس . . وفيما يلي نص هذه الوثيقة التاريخية :

أمر ملكي

بعد الاعتماد على الله ، وبناء على ما رفع من البرقيات من كافة رعايانا في مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ، ونزولا على رغبة الرأي العام في بلادنا ، وحبا في توحيد أجزاء هذه المملكة العربية ، أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى : يحول اسم « المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها » إلى اسم « المملكة العربية السعودية » ، ويصبح لقبنا الآن « ملك المملكة العربية السعودية » ،

المادة الثانية : يجرى مفعول هذا التحويل اعتباراً من تاريخ إعلانه.
المادة الثالثة : لا يكون لهذا التحويل أى تأثير على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات الدولية ، التى تبقى على قيمتها ومفعولها ، وكذلك لا يكون له تأثير على المقاولات والعقود الإفرادية بل تظل نافذة.
المادة الرابعة : سائر النظمات والتعليمات والأوامر السابقة والصادرة من قبلنا تظل نافذة المفعول بعد هذا التحويل .

المادة الخامسة : تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة ، سواء فى الحجاز ونجد وملحقاتها ، على حالها الحاضر مؤقتاً ، إلى أن يتم رفع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد .

المادة السادسة : على مجلس وكلائنا الحالى الشروع حالاً فى وضع نظام أساسى للمملكة ، ونظام لتوارث العرش ، ونظام لتشكيلات الحكومة ، وعرضها علينا لاستصدار أوامرنا فيها .

المادة السابعة : لرئيس مجلس وكلائنا أن يضم إلى أعضاء مجلس الوكلاء أى فرد أو أفراد من ذوى رأى ، حين وضع الأنظمة السالفة الذكر ، للاستفادة من آرائهم والاستئانة بمعلوماتهم .

المادة الثامنة : إننا نختار يوم الخميس الواقع فى ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ الموافق لليوم الأول من الميزان ، يوماً لإعلان توحيد هذه المملكة العربية ، ونسأل الله التوفيق .

صدر فى قصرنا فى الرياض فى هذا اليوم

السابع عشر من شهر جمادى الأولى عام ١٣٥١

التوقيع « عبد العزيز »

بأمر جلالة الملك نائب جلالتة

« فيصل »

أول خطاب للعرش

انعقد بالرياض أول مجلس للوزراء في المملكة العربية السعودية ، وكان ذلك برياسة الملك سعود ، يوم ٢ رجب سنة ١٣٧٣ الموافق ٧ مارس سنة ١٩٥٤ وألقى جلالة أول خطاب للعرش ، يوضح معالم الدولة الحديثة ، ويرسم خطوط سياستها .

وقد بدأ جلالة هذا الخطاب بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله . ثم تحدث عن انتقال الملك عبد العزيز إلى الرفيق الأعلى بعد أن أرسى دعائم الدولة ، وترك ميراثاً عظيماً من الأعمال الحميدة والتقاليد الصالحة . ثم قال جلالة :

● لقد كان همنا منذ تولينا مقاليد الأمور ، أن نعتصم بكتاب الله ونهتدي بهدى رسول الله وسنة خلفه من السلف الصالحين ، ثم نتبع سيرة والدنا العظيم في السياسة والادارة ، وفي كل مجال من مجالات الإصلاح سلك سبيله وفتح لنا طريقه ، لنتعهد ما شيد وتم ما بدأ فيه من أعمال ، ونقوم بكل ما نستطيعه لما فيه مصلحة بلادنا وشعبنا . لقد جعل الاسلام الامر شورى بين المسلمين ، فأول ما عقدنا العزم عليه هو أن نجعل منكم إخواننا وأبناءنا ووزراءنا موضع ثقتنا ومشورتنا

لنتعاون معكم على النهوض بأعباء الحكم في هذه البلاد ؛ فأنشأنا هذا المجلس « مجلس الوزراء » ليكون مصدراً لجميع أعمالنا التي نقوم بها في خدمة هذه الدولة ، وسيكون أى عمل في الدولة مصدره منكم وإليك ، على أساس ما يقوم به كل منكم من أعباء وكلنا الامر فيها إليه طبقاً للأظمة المقررة له ، وإننا لننتهز هذه الفرصة الاولى لافتتاح هذا المجلس المحقر ، لبرسم لكم ونبين المنهاج الذي سنسير عليه في حياتنا المقبلة بحول الله وقوته .

● إن أول ما يهمنا جميعاً هو الاعتصام بحبل الله المتين ، وأن تتخذ من الوسائل في داخل بلادنا ما يمكن روح التوحيد الخالص في قلوب أفراد الشعب كافة حتى يخلص لعبادة الله وحده . وسنسير في ذلك بهدى كتاب الله والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة في كل مجال وعلى الأخص في المدارس ، وسنحرص بحول الله على مراقبة ذلك وحث الناس على كل ما يأمر به الشرع الاسلامي ، ومنعهم عن كل ما ينهى عنه ، لأن في ذلك خير الدنيا والآخرة ؛ ولأنه ليس شيء من الخير إلا دعا له الاسلام وليس شيء من الشر إلا ونهى الاسلام عنه . .

● أما سياستنا الخارجية فإننا نترسم فيها خطى والدنا العظيم . وأول ما يهمنا فيها هو العمل على جمع كلمة العرب ، وتأيد مصالحهم في جامعتهم ضمن ميثاقها وضمن معاهدة الدفاع المشترك ، وقد أبلغنا الوفد الذي مثلنا في جامعة الدول العربية في أول اجتماع لها بعد استلامنا مقاليد الحكم ، أن يعلن عزمنا الاكيد على مناصرة العرب ، والتعاون معهم في أى

ميدان وفي أى مجال يمكن لمنع العدوان عنا جميعاً ، والتعاون على تحقيقها لما فيه الخير والمصلحة لنا جميعاً ، ونحن سندسّر بعون الله فى دعوة البلاد العربية كافة لجمع كلمتها وتوحيد قواها لما يجمع شمل العرب ، ويحفظ استقلالهم ويرد غائلة العدوان من أى جهة كانت .

● كلما يعلم ذلك السرطان الذى أنشأ فى جسم البلاد العربية فقام بأفزع ما عرفه التاريخ من الإجرام ، حيث قتل وشرّد ما يقرب من مليون عربى من فلسطين ، ذلك السرطان هو الصهيونيون من اليهود الذين عرف التاريخ إجرامهم منذ القدم حتى اليوم . وهم لم يكتفوا بما قاموا به من إجرام بل إنهم يعدّون العدة لعدوان جديد على البلاد العربية ، تمثله اعتداءاتهم المتكررة على حدود البلاد العربية المجاورة لهم ، وهم فى وضعهم الحاضر لا يهددون البلاد العربية المجاورة لهم فحسب بل يهددون العرب فى بلاد العالم كله ، ونستطيع أن نقول أكثر من ذلك فإنهم يهددون الاسلام والمسلمين فى أقطار الارض كافة . ونحن عاملون مع الدول العربية ومع من يتفق معنا من الدول الإسلامية للدفاع عن أنفسنا ضد هذا العدوان . والله ناصرنا بحوله وقوته .

● إن سياستنا العامة خارج نطاق الدول العربية ، هى السعى الدائم لتحسين علاقتنا السياسية مع الجميع ، ولنا بعون الله عاملون على تقوية هذه الصلات الودية مع كل الدول التى تظهر الصداقة وترغب فيها معنا . وإننا آسفون أن تكون هناك مشكلة بيننا وبين الحكومة البريطانية الصديقة ، لم نتمكن من الوصول إلى تسوية فيها حتى الآن ، ونحن

عاملون ما فيه الجهد للحفاظ على كيانتنا وسياستنا وحقوقنا الموروثة بالتفاوض مع الحكومة البريطانية لإنهاء المشكلة بالطرق السلمية ، ولنا وطيد الأمل بالوصول إلى حلها بصورة ودية إن شاء الله .

● لقد كان همتنا تقوية جيشنا لأنه عماد الدولة ، وعليه يعون الله يتوقف حفظ كيانتنا واستقلالنا في الداخل والخارج ، ولذا فإن الجيش سيخصص له قسم عظيم من الميزانية ، ونحن نعمل في كل ميدان لإكثار عدد الجنود وتدريبهم تدريباً فنياً والاستزادة من الأسلحة اللازمة لهم .

● اقم وجهنا عناية خاصة لما فيه خير شعبنا بمحاربة الجوع والفقر والمرض ، ولقد عانت بعض مناطق بلادنا متاعب اقتصادية بسبب انحباس الأمطار فعملنا على نقل قسم كبير من البادية إلى حواضر المدن وعملنا على تأمين حاجتهم ، ونحمد الله الذي حل هذه الأزمة بفضلها بما منّ علينا من الغيث الذي سيكون مساعداً لإزالة هذه الأزمة .

كما أننا اتخذنا الترتيبات لما يساعد على مساعدة الفقراء في تأمين معائشهم ، ونأمل أن المشاريع العمرانية التي سنقوم بها في البلاد ستوجد أعمالاً كثيرة تدر الخبز على البلاد ، وتوجد أعمالاً واسعة النطاق لساكن أفراد الشعب .

● ولقد وجهنا عنايتنا أيضاً لرفع المستوى الصحي في البلاد ، وقامت وزارة الصحة بإنشاء المستشفيات العامة والمستوصفات ، وستقوم بكل ما في استطاعتها لمعالجة المرضى ورفع المستوى الصحي ، وبناء مستشفيات ومستوصفات في سائر أنحاء المملكة .

ولقد أنشأنا وزارة المعارف للنهوض على تعليم الشعب أمر دينه
أولاً ثم ما ينفعه في دنياه ثانياً ، وسنخصص لها في الميزانية قسماً كبيراً
لنقوم بنشر العلم في أنحاء البلاد .

وكذلك أنشأنا وزارة الزراعة لتعمل على النهوض الزراعي في أنحاء
المملكة كافة ، ولدينا والله الحمد مناطق زراعية غنية لا تحتاج إلا إلى
المعاونة والتنظيم ، حتى تؤتي أكلها وثمرها حيث تغذي بلادنا ويمكنها
أن تعاون في تغذية بلاد أخرى بعد ذلك إن شاء الله .

ولقد أنشأنا وزارة للمواصلات وهي دائبة على العمل في النهوض
بما عهد إليها به ، وسيكون من مهامها تأمين المواصلات في أنحاء مملكتنا
الفسيجة الأرجاء ، ولقد تمت دراسة مد خط حديدي من الرياض ماراً
بالوشم فالقصيم فالمدينة المنورة فجدة ثم ينتهي في مكة المكرمة . وقد
وضعت التصاميم اللازمة لهذا المشروع وسيبشر العمل فيه لأهميته
الحيوية في أول فرصة ممكنة .

● ولقد كان أهم ما فكرنا فيه تأمين المواصلات بيننا وبين البلاد
العربية ، فاتصلنا بحكومة الأردن وسوريا الشقيقتين لإعادة سكة حديد
الحجاز فاستجابت الحكومتان لدعوتنا ، وعقد في الرياض مؤتمر تم
الاتفاق فيه على الأسس التي يقوم الخط بموجبها إلى سيرته الأولى ،
وبعثنا بهيئة فنية لدراسة الخط ووضع تقرير عن تكاليف إصلاحه ،
لنتعاون مع الدولتين الشقيقتين على إعادته . وسنضع برنامجاً تدريجياً
لافتتاح الطرق في مختلف أنحاء البلاد .

• إن العمود الفقرى للدولة لانتظام مصالحها ، والذي تقوم عليه الحياة العامة والخاصة هو المال ، وبغير تأمين موارد كافية للدولة ، وبغير تنظيم صرف الاموال لا يمكن أن يستقيم لنا أمر أو ننجح فى أى عمل عمرانى أو تجارى أو اقتصادى .

وكنا يعلم كيف تأسست وزارة المالية فى هذه الدولة وما هى الأعباء التى أرهقت كواهلها ، وقد مر علينا وقت كانت كل أعباء المشاريع العمرانية والاقتصادية والزراعية والصناعية وغيرها بل وحتى العسكرية أيضاً ، على عاتق وزارة المالية ، وهذا بالطبع أمر ينوء به أولو العصبية فضلاً عن فرد أو أفراد ؛ ولذلك أخذنا على عاتقنا تخفيف الأعباء عن هذه الوزارة وجعلها وزارة للمالية بالمعنى الصحيح ، بحيث تتولى جمع كل واردات الدولة كما تتولى صرفها ضمن الميزانية المعتمدة .

وما كان يجوز فى السابق لضيق الموارد وقلة المشاريع العمرانية التى كنا نضطلع بها ، لايجوز اليوم بعد اتساع الموارد وتعدد المشاريع العمرانية التى ينبغى النهوض بها ، لذلك أمرنا بأعداد ميزانية للدولة تعرض على مجلسكم لمناقشتها وإقرارها ، وأمرنا بجعلها ثلاثة أقسام : قسماً لموازنة دوائر الدولة ومصالحها ، وقسماً ثانياً يخصص للمشاريع الإصلاحية العمرانية التى ستعرض على مجلسكم لإقرارها ، وقسماً آخر للاحتياط والطوارئ .

وبالنظر لرغبتنا فى تعاون شعبنا معنا فى كل ما يتعلق بماله مصلحة

فيه، أمرنا أن يكون في كل بلدة من بلداننا مجلس ادارى يجتمع برئاسة أمير
البلدة وقاضيه مع رؤساء الدوائر ووجهاء البلدة، لبحث الأمور التي تتعلق
بمصلحة البلد نفسها ضمن نظام يخصص لذلك، كما أمرنا بتعميم تأسيس
مجالس بلدية تنظر في الشئون البلدية للهوض بكل بلدة بما يصلح شأنها
ويقوم عمرانها. وبالإضافة إلى ذلك فقد قررنا وضع برنامج مستقل موزع
على سنوات خمس للمشروعات الكبرى للإششاء والإصلاح والتعمير،
وسيعرض عليكم عند إعدادة للمناقشة والموافقة عليه إن شاء الله .

ولتأمين سير العمل بدقة أمرنا أن يؤسس بين دوائر هذا المجلس
ديوان للمحاسبة العامة وسيتولى أمر هذا الديوان مراقب عام
بصلاحيات نص عليها في نظام هذا المجلس، يراقب جميع واردات
الدولة ومصاريفها .

كما أمرنا بتشكيل ديوان تابع للمجلس سميناه ديوان المظالم،
وسنحيل إليه كل شكوى ترفع إلينا وكل مظلمة نراها أو يخبر عنها
ليقوم بالتفتيش والتحقيق في كل دائرة من دوائر الحكومة، لإعطاء
كل ذي حق حقه وليطمئن شعبنا بأفراده وقبائله أن بابنا مفتوح لسماع
شكواه وإنصاف مظلومه .

وقد أمرنا بالشاء شعبة في هذا المجلس للخبراء لمعاونة المجلس
في النواحي الفنية لنشاط الدولة . والذي نبتهل به إلى الله سبحانه وندعوه .
بخلصين ، هوان يمدنا بعونه وفضله وتوفيقه للوصول إلى أهدافه .
فيما يصلح أمرنا في دنيانا وآخرتنا، إنه تعالى سميع مجيب وهونعم المولى .
ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله .

أول ميزانية للدولة

في يوم الثلاثاء ١١ من ربيع الثاني عام ١٣٧٤ هـ . الموافق .
٨ ديسمبر سنة ١٩٥٤ ، صدر المرسوم الملكي رقم ٥٥٤/٣/١/٥
باصدار الميزانية العامة للمملكة في السنة المالية ١٣٧٤ — فكانت هذه
أول ميزانية توضع على أسس منظمة ، وتذاع تفاصيلها على الشعب . وهي
تصور معالم الدولة وملاحح المجتمع تصويراً تحدد الفصول والأرقام .
وفيما يلي نص مرسوم الميزانية :
بعون الله تعالى :

نحن سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية .
بعد الاطلاع على الكشوف الخاصة بإيرادات ونفقات الدولة
للسنة المالية ١٣٧٤ .
وبناء على ما عرضه وزير المالية .
أمرنا بما هو آت :

- ١ — تحدد نفقات الدولة للسنة المالية ١٣٧٤ بمبلغ ألف مليون
ومائة وثلاثة وأربعين مليوناً وعشرة آلاف وخمسمائة ريال عربي ،
وفقاً للكشوف المرفقة بأمرنا هذا .
- ٢ — تحدد إيرادات الدولة للسنة المالية ١٣٧٤ بمبلغ ألف مليون

ومائة وثلاثة وأربعين مليوناً وعشرة آلاف وخمسمائة ريال عربي ،
وفقاً للكشوف المرفقة بأمرنا هذا .

٣ — يؤخذ من الاحتياطي العام للدولة مبلغ مائتين وأحد عشر
مليوناً وتسعمائة وثمانين ألفاً وخمسمائة ريال عربي لشغطية بند النفقات .

٤ — يداوم على استيفاء الإيرادات وفق الأنظمة والتعليمات
المريعية ، وتدفع جميعها إلى مؤسسة النقد السعودية وفروعها لحساب
وزارة المالية .

٥ — تصرف النفقات وفق الميزانية والتعليمات الخاصة بها من
مؤسسة النقد السعودية .

٦ — لا يجوز نقل أى مبلغ من فصل لآخر إلا بأمر منا وعند
الضرورة فقط .

٧ — يحال إلى الاحتياطي العام للدولة ما يزيد في الإيرادات
وما يتوفر من النفقات عن المقرر في هذه الميزانية .

٨ — على رئيس مجلس الوزراء إنفاذ أمرنا هذا بإبلاغه لمن يلزم
لاعتقاد العمل بموجبه .

إيرادات الدولة

وفيما يلي بيان تفصيلي عن الإيرادات :

| الفصل | المورد | ريال عربي |
|-------|--------------------------------|----------------------|
| ١ | استثمار الزيت | ٢٧٤٣٧٤٥٠٠ |
| ٢ | ضريبة الدخل (الزكاة) | ٦٩٢٢٥٠٠٠٠ ٥١٥٠٠٠٠ |
| | زكاة الحبوب ١ — ٢٣٠٠٠٠٠٠ | |
| | زكاة العروض ب — ٢٤٠٠٠٠٠٠ | |
| ٣ | زكاة المواشي ح — ٤٥٠٠٠٠٠ | |
| ٤ | الجمارك | ٨٠٠٠٠٠٠٠ |
| ٥ | رسم المرافئ | ٣٠٠٠٠٠٠٠ |
| ٦ | د الموانئ | ٧٥٠٠٠٠٠٠ |
| ٧ | د المهاجرين | ٧٠٠٠٠٠٠٠ |
| ٨ | الضريبة العقارية | ٣٠٠٠٠٠٠٠ |
| ٩ | الخطوط الجوية السعودية | ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ |
| ١٠ | إيراد سكة الحديد وميناء الدمام | ٢٧٦٠٠٠٠٠٠ |
| ١١ | المعادن | ١٦٠٠٠٠٠٠٠ |
| ١٢ | حاصلات البرق | ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ |
| ١٣ | حاصلات البريد | ١٧٠٠٠٠٠٠٠ |
| ١٤ | حاصلات الهاتف | ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ |

| الفصل | المورد | ريال عربي |
|-------|-------------------------------------|------------|
| ١٥ | رخص الإقامة | ٧٠٠٠٠٠ |
| ١٦ | الجوازات | ٨٠٠٠٠٠ |
| ١٧ | ترقيم السيارات | ١٢٥٠٠٠٠ |
| ١٨ | رخص سياقة السيارات | ٣٧٠٠٠٠ |
| ١٩ | قيمة الطوابع | ٤٠٠٠٠٠٠ |
| ٢٠ | رسوم المطارات | ٥٠٠٠٠٠ |
| ٢١ | حفاظظ النفوس | ١٦٠٠٠ |
| ٢٢ | تسجيل الشركات | ٢٥٠٠٠ |
| ٢٣ | تحرير الشركات | ١٠٠٠٠ |
| ٢٤ | تصديق الصكوك | ١٥٠٠٠ |
| ٢٥ | كاتب العدل | ٨٠٠٠٠ |
| ٢٦ | أملاك الدولة ثمن وإيجار أراض ومزارع | ١١٠٠٠٠٠ |
| ٢٧ | مبيعات حكومية | ٥٠٠٠٠٠ |
| ٢٨ | الصرفيات المستوردة | ٢٥٠٠٠٠ |
| ٢٩ | حسميات التقاعد | ٣٠٠٠٠٠٠ |
| ٣٠ | واردات متنوعة | ١٠٠٠٠٠٠ |
| | مجموع الايرادات | ١١٤٣٠١ ٥٠٠ |
| | من الاحتياطي العام | ٢١١٩٨٩٥٠٠ |
| | المجموع الكلي | ١٣٥٥٠٠٠٠٠٠ |



فعالى الشيخ محمد سرور الصبان وزير المالية والاقتصاد
ومعالى الشيخ عبد الرحمن الطهيشي وزير الدولة

مصرفات الدولة

وفيما يلي بيان تفصيلي عن المصروفات :-

| المصرف | المصل | ريال عربي |
|--|-------|-----------|
| الخاصة الملكية | ١ | ٤٩٥٣٣١٢ |
| ريال عربي | | |
| ٤٤٥٣٣١٢ مخصصات جلالة الملك والعائلة المالكة | | |
| ٥٠٠٠٠٠٠ الديوان العالي | | |
| مجلس الوزراء | ٢ | ٥٤٨٨٠٠٠ |
| ريال عربي | | |
| ١٨٠٠٠٠٠ ديوان رئاسة مجلس الوزراء | | |
| ٦٨٨٠٠٠ الامانة العامة | | |
| ٥٠٠٠٠ ديوان المظالم | | |
| ١٥٠٠٠٠٠ ديوان المراقبة العامة | | |
| ١٠٠٠٠٠ مجلس الشورى | | |
| وزارة الخارجية | ٣ | ٢١٠٠٠٠٠ |
| وزارة الدفاع والطيران | ٤ | ٤٧٢٠١٤٧٩٢ |
| ريال عربي | | |
| ١٩٦٠٨١٧٠٨٤٧ (أ) وزارة الدفاع | | |
| ٣٣٠٣٧٧٥٧ (ب) سلاح الطيران | | |
| ٢٧٠٦٣٠٤٦ (ج) الخطوط الجوية السعودية | | |
| ٢٣٠٧٣٢٤٨ (د) الحرس الملكي | | |
| ١٩٢٠٢٢٨٩٤ (هـ) تشكيلات البادية والحرس الوطني | | |
| ٤٦٩٠١٤٧٩٢ | | |

| المصرف | الفصل | ريال عربي |
|--------------------------------------|-------|-----------|
| وزارة الداخلية | ٥ | ٨١٩٦٠٨٩٩ |
| ريال عربي | | |
| (١) الديوان العام ٢٩٦١٧٣٠ | | |
| (ب) الإمارات ٢٠٥١٧٧٠٠ | | |
| (ج) الأوقاف ٧٠٠٠٠٠٠ | | |
| (د) الأمن العام ٤٦٥١٩٠٣٠ | | |
| ريال عربي | | |
| الأمن العام ٣٨,٣٧٩,٣٥٠ | | |
| الجوازات والجنسية ٣٩١١٥٤٠ | | |
| فرق المطافئ ٤٢٢٨١٤٠ | | |
| (هـ) خفر السواحل ٤٧٩٨٦٧٠ | | |
| (و) أم القرى ١٦٣٧٦٩ | | |
| وزارة المعارف | ٦ | ٤٥٦٧١٥٩٢ |
| ريال عربي | | |
| (١) وزارة المعارف العمومية ٤٤٨٠٥٦٥٢ | | |
| (ب) المدرسة النموذجية بالطائف ٤٢٠٨٤٠ | | |
| (ج) مدارس الجنوب ٤٤٥١٠٠ | | |
| وزارة المواصلات | ٧ | ٩٧٢٢٧٨٦٠ |
| وزارة الزراعة | ٨ | ١٥٩٣٠٧٩٥ |
| وزارة المالية والاقتصاد الوطني | ٩ | ٣٣٨٢٠٥١٧ |
| وزارة الصحة | ١٠ | ٣٩٥٤٩٤٥٨ |
| وزارة التجارة | ١١ | ٢٨٢٤٠٠٠ |

| المصرف | الفصل | ريال عرى |
|--|-------|----------|
| رئاسة القضاة | ١٢ | ٦٨٠١٩٠٠ |
| ريال عرى | | |
| ٦٠٢٥٠٢٠ القضاء والمحاكم | | |
| ٦٣٢٨٨٠ كتاب العدل | | |
| ١٤٠٠٠٠ المحكمة التجارية | | |
| الافتاء والمعاهد العلمية | ١٣ | ٩٩٢٩٦٢٠ |
| ريال عرى | | |
| ٤٤٤٧٣٠ المفتى الاكبر والادارة العامة | | |
| ٧٤٩٤٨٩٠ المعاهد العلمية | | |
| ١٩٩٠٠٠٠ مباني المعاهد العلمية | | |
| الامر بالمعروف | ١٤ | ٩٨٤٨٨٣٢ |
| الاشغال العامة | ١٥ | ١٦٢٠٠٠٠٠ |
| مديرية الحج العامة | ١٦ | ٩٧٥٧٢٠ |
| مديرية الاذاعة العامة | ١٧ | ٢١٩٧٠٥٩ |
| مديرية مصلحة العمل | ١٨ | ١٩٦٨٤٩٠ |
| القواعد السنوية للرؤساء ومشايخ القبائل | ١٩ | ٢٦٠٣١٠٦٥ |
| الرواتب الشخصية الشهرية | ٢٠ | ٦٩٦٣٠٥٧ |
| معاشات التقاعد | ٢١ | ٨٠٠٠٠٠٠ |
| عوض التنسيق | ٢٢ | ٥٠٠٠٠٠٠ |
| الصدقات | ٢٣ | ٨٠٠٠٠٠٠ |

| المصرف | الفصل | ريال عربى |
|---|-------|------------|
| المساعدات والاعانات | ١٤ | ١٩١٠٠٠٠٠ |
| ريال عربى | | |
| ١٥٠٠٠٠٠ (أ) مساعدات عامة ملكية | | |
| ١٥٠٠٠٠٠ (ب) إعانة اللاجئين | | |
| ١٠٠٠٠٠٠ (ج) إعانة المؤسسات الخيرية والاهلية | | |
| ١١٠٠٠٠٠ (د) نفقات دور اليتامى | | |
| ٥٠٠٠٠٠٠ (هـ) إعانة المؤسسات الصناعية | | |
| قروض المزارعين | ٢٥ | ٥٠٠٠٠٠٠ |
| قيمة بيوت | ٢٦ | ١٠٠٠٠٠٠٠ |
| حفر أبار وإصلاح عيون | ٢٧ | ١٠٠٠٠٠٠٠ |
| نفقات الجبابة | ٢٨ | ١١٠٠٠٠٠٠ |
| مصاريف سرية | ٢٩ | ١٠٠٠٠٠٠٠٠ |
| قيمة كتب ومطبوعات | ٣٠ | ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ |
| ضيافات | ٣١ | ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ |
| التقليلات | ٣٢ | ٢١٠٠٠٠٠٠٠ |
| ريال عربى | | |
| ١٥٠٠٠٠٠٠ (أ) قيمة سيارات | | |
| ١٠٠٠٠٠٠٠ (ب) أجور سيارات | | |
| ٥٠٠٠٠٠٠٠ (ج) محروقات ولوازم وأدوات | | |
| نفقات الرحلات الملكية | ٣٣ | ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ |
| فرق عملة | ٣٤ | ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ |
| وديات من الواردات | ٣٥ | ٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ |

| المصرف | الفصل | ريال عرى |
|--|-------|-----------|
| مشروع الخرج الزراعى | ٣٦ | ٣٠٠٠٠٠٠ |
| اعانة البلديات وعين زبيدة والاسعاف | ٣٧ | ٨٤١٦٠٤٤ |
| مشتريات متنوعة | ٣٨ | ٦٠٠٠٠٠٠ |
| مصاريف غير منظورة | ٣٩ | ١٠١٥٧٠٣٢ |
| المشاريع العامة | ٤٠ | ١٦٠٠٠٠٠٠٠ |
| ريال عرى | | |
| ١٥٠٠٠٠٠٠ (١) عمارة الحرمين الشريفين | | |
| ٥٠٠٠٠٠٠٠ (ب) حساب السكة الحديد بالرياض | | |
| ١٥٠٠٠٠٠٠ (ج) مشاريع الحج والحجاج | | |
| ٣٠٠٠٠٠٠٠ (د) انشاءات ومباني الحكومة | | |
| ٤٠٠٠٠٠٠٠ (هـ) انشاء وتعمير مساجد | | |
| ٦٠٠٠٠٠٠٠ (و) انشاء طرق السيارات | | |
| ١٥٠٠٠٠٠٠ (ز) اصلاحات في طرق البادية | | |
| ١١٠٠٠٠٠٠ (ح) المياه | | |
| ريال عرى | | |
| ٢٤٠٠٠٠٠٠ في الرياض | | |
| ١٠٠٠٠٠٠٠ د ينبع | | |
| ١٣٥٠٠٠٠٠ د امالج | | |
| ١٣٥٠٠٠٠٠ د الوجه | | |
| ٨٠٠٠٠٠٠ د الليث | | |
| ١٠٠٠٠٠٠٠ د القنفذة | | |
| ٢٠٠٠٠٠٠٠ د جيزان | | |

| ريال عربي | الفصل | المصرف |
|------------|---------|-------------------------------------|
| | | ريال عربي |
| | | ٣٥٠٠٠٠٠ (ط) الموائىء |
| | | ريال عربي |
| | | ٢٠٠٠٠٠٠ جدة |
| | | ١٠٠٠٠٠٠ جيزان |
| | | ٥٠٠٠٠٠٠ القنفذة |
| | | المشروعات العامة |
| | | ٦٠٠٠٠٠٠ (ى) فى المنطقة الشرقية |
| | | مشروعات الجمارك |
| | | ٥٠٠٠٠٠٠ (ك) والمستودعات فى |
| | | المنطقة الشرقية |
| | | ٦٠٠٠٠٠٠ (ل) نزع ملكية |
| | | المصلحة العامة |
| | | ٣٠٠٠٠٠٠ (م) مشروعات المدينة المنورة |
| | | لحساب انشاء محطة |
| | | ٣٠٠٠٠٠٠ (ن) جديدة للاذاعة |
| | | ١٠٠٠٠٠٠٠ (س) لحساب مستشفى الناصرية |
| | | لحساب ديون السنين السابقة |
| ١٢٨٤٨٣٩٥٦ | ٤١ | |
| ١٣٥٥٠٠٠٠٠٠ | المجموع | |

في مناطق البترول

الإنتاج السنوي من الزيت الخام في مدى ١٩ سنة

| الاطنان | البراميل | السنة |
|----------|-----------|-------|
| ٧٥٦١٨ | ٤٩٥١٣٥ | ١٩٣٨ |
| ٥٢١٢١٤ | ٣٩٣٣٩٠٣ | ١٩٣٩ |
| ٦٧٢١٥٤ | ٥٠٧٤٨٣٨ | ١٩٤٠ |
| ٥٧٠٠٤٦ | ٤٣١٠١١٠ | ١٩٤١ |
| ٦٠٠٣٥١ | ٤٥٣٠٤٩٢ | ١٩٤٢ |
| ٦٤٥٨٦٠ | ٤٨٦٨١٨٤ | ١٩٤٣ |
| ١٠٣٤٦٠١ | ٧٧٩٤٤٢٠ | ١٩٤٤ |
| ٢٨٢٥٩٩٠ | ٢١٣١٠٩٩٦ | ١٩٤٥ |
| ٧٨٩٩٦٧٥ | ٥٩٩٤٣٧٦٦ | ١٩٤٦ |
| ١١٨١٣٦٦٨ | ٨٩٨٥١٦٤٦ | ١٩٤٧ |
| ١٨٧٥١٢٧٠ | ١٤٢٨٥٢٩٨٩ | ١٩٤٨ |
| ٢٢٨٢٥٧٨٣ | ١٧٤٠٠٨٦٢٩ | ١٩٤٩ |
| ٢٦١٩٦٨٥٢ | ١٩٩٥٤٦٦٣٨ | ١٩٥٠ |
| ٢٦٦٠٨٥٨٥ | ٢٧٧٩٦٢٦٠٥ | ١٩٥١ |
| ٣٩٨٧٠٨٠٥ | ٣٠١٨٦٠٨٨٥ | ١٩٥٢ |
| ٤٠٨٨٧٧٥٤ | ٣٠٨٢٩٤٢٤٥ | ١٩٥٣ |
| ٤٦١٢٦٥٨٣ | ٣٤٧٨٤٤٨٥٠ | ١٩٥٤ |
| ٤٦٧٨٤٦٩٣ | ٣٥٢٢٣٩٩١٢ | ١٩٥٥ |
| ٤٧٩٣٥٠٤١ | ٣٦٠٩٢٣٣٨٤ | ١٩٥٦ |

حالة الآبار في نهاية عام ١٩٥٦

| الحقل | منتجة | معطلة أو متوقفة | للمراقبة | للحقن | معطلة | مهجورة | يجري حفرها | المجموع |
|-----------|-------|-----------------|----------|-------|-------|--------|------------|---------|
| بقبق | ٤٢ | ٢٢ | ٢ | ٦ | ٠ | ١ | ١ | ٤٧ |
| أبو حدرية | ٠ | ١ | ١ | ٠ | ٠ | ٢ | ٠ | ٤ |
| العلاء | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ١ | ٠ | ١ |
| الجعوف | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ١ | ٠ | ١ |
| الدمام | ٢٩ | ١ | ١ | ٠ | ٠ | ١٠ | ١ | ٤٢ |
| الفاضلي | ٠ | ١ | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ١ |
| عين دار | ٤٤ | ٨ | ٢ | ٠ | ٠ | ١ | ١ | ٥٦ |
| شديم | ١١ | ٠ | ١ | ٠ | ٠ | ١ | ٠ | ١٣ |
| العثمانية | ٣٣ | ١٠ | ٣ | ٠ | ١ | ٢ | ٠ | ٤٩ |
| الحوية | ٠ | ١ | ١ | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ٢ |
| حرض | ٠ | ٧ | ١ | ٠ | ١ | ٠ | ٠ | ٩ |
| الخرسانية | ٠ | ١ | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ١ | ٢ |
| معقلا | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ٠ | ١ | ٠ | ١ |
| القطيف | ٨ | ٢ | ١ | ٠ | ١ | ١ | ٠ | ١٣ |
| السفانية | ٠ | ١٨ | ١ | ٠ | ٠ | ٠ | ١ | ٢٠ |
| المجموع | ١٦٧ | ٧٢ | ١٤ | ٦ | ٣ | ٢١ | ٥ | ٢٨٨ |

الاستهلاك المحلي للبترول ومشتقاته بالبراميل

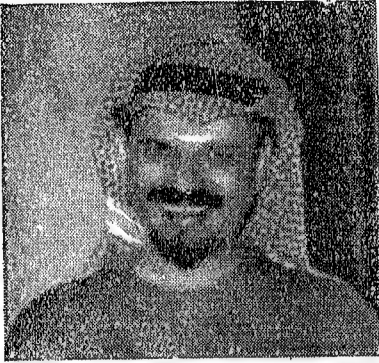
وفي هذه الأرقام بعض الدلالة على التطور الحضارى والاجتماعى والاقتصادى، الذى يقوم على أساس الحركة الآلية التى تعتمد على البترول ومشتقاته.

| المادة | ١٩٥٠ | ١٩٥١ | ١٩٥٢ | ١٩٥٣ | ١٩٥٤ | ١٩٥٥ | ١٩٥٦ |
|-------------|--------|--------|---------|---------|---------|---------|---------|
| بنزين | ٣٨٦٥٠٦ | ٥٠٣١٨٠ | ٦٧١٥٦٠ | ٨١١٤٥٤ | ٩٧٣٥٧٨ | ١١١٣٥٩٢ | ١٣٨٤٤٩٦ |
| وقود ديزل | ١٣١٦١٥ | ١٨١٣١٤ | ٢٦٩٨١١ | ٣٦١٥١٤ | ٤٢٩٩٨٧ | ٥١٠٠٤٥ | ٦٣٢٢٦٥ |
| كيروسين | ٢٣٥٨١ | ٥١٣٣٦ | ١٠٩١٧٢ | ١٥٥٦١٢ | ١٩٥٧٩٧ | ٢٥٢٧٧٩ | ٣٠٩٦١٨ |
| أسفلت | ١١٤٦ | ٣٥٥٥٧ | ٣٤١٠٣ | ١٠١٨٧٥ | ٩٥٦٥٢ | ١٣٨٢٠١ | ١٢٧٨٤٤ |
| غاز سائل | ٨٨ | ٤٠٦ | ٢٥١٤ | ٧٧٣٥ | ١٢١٠٣ | ١٢٤٥٢ | ١٧٦٠٦ |
| منتجات أخرى | ١١٧٢٢ | ١٢٤٩١ | ٢٦٦٥٥ | ٢٨٤٣٧ | ٤٢٥٢٩ | ٦٩٣٨١ | ١٣٤٠٧٣ |
| المجموع | ٥٥٤٦٥٨ | ٧٨٤٢٨٤ | ١١١٣٨١٥ | ١٤٦٦٦٢٧ | ١٧٥٠٦٥٦ | ٢٠٩٦٤٥٠ | ٢٦٠٥٩٠٢ |

عدد الأيدي العاملة وجنسياتهم
طبقاً لإحصاء عام ١٩٥٦

| الجنسية | العدد | النسبة المئوية |
|------------|-------|----------------|
| سعوديون | ١٣٢١٣ | ٦٧.٣ |
| أمريكيون | ٣٨٧٨ | ١٩.٧ |
| باكستانيون | ١٣٣٤ | ٦.٨ |
| هنود | ١٠٥٢ | ٥.٤ |
| فلسطينيون | ٤٨٩ | ٢.٤ |
| إيطاليون | ١٨٢ | ٠.٩ |
| عديون | ١٧٥ | ٠.٩ |
| سودانيون | ٨٣ | ٠.٤ |
| هولنديون | ٣٣ | ٠.٢ |
| آخرون | ١٩٣ | ١.٠ |
| المجموع | ١٩٦٣٢ | ١٠٠.٠ |

الميزان التجارى مع الدول العربية



تنحصر صادرات المملكة العربية السعودية في زيت النفط، الخام ومشتقاته، وخم الحطب، والجلود، والسيارات عن طريق الترانسيت.

أما وارداتها فهي المنسوجات القطنية والغزل والملابس والأحذية والأثاث والخردوات، والأسمدة ومواد البناء، والتبغ والسجائر، والصابون والورق، والمواد الغذائية، والأدوات الكهربائية، والآلات المختلفة والسيارات وقطع الغيار.

وأهم عملاء المملكة العربية السعودية الهند وأمريكا وبريطانيا والدول العربية. وفيما يلي المتوسط السنوى للصادرات والواردات مع مصر والعراق وسوريا والاردن :

| الأردن | سوريا | العراق | مصر | المملكة العربية السعودية |
|--------|----------|----------|---------|-----------------------------|
| دينار | ليرة | دينار | جنيه | صادرات إلى |
| ٤٠٠٠٠٠ | ١٤٠٠٠٠٠٠ | ١٠٠٠٠ | ٥٢٠٠٠٠٠ | واردات من |
| ١٢٠٠٠٠ | ١٣٠٠٠٠٠٠ | ١٢٠٠٠٠٠٠ | ٢٠٠٠٠٠٠ | |

الصادرات من المملكة السعودية إلى مصر

خلال عام ١٩٥٥

| القيمة بالجنيه المصري | المقدار بالطن | الصنف |
|-----------------------|---------------|-------------------------|
| ٣٣٣١٣١٠٢ | ٥٩٨٧٠٥٨ | زيوت بترول وزيوت معدنية |
| | | خام للتكرير |
| ١٠٧٦٨ | ٨١٩ | بنزين |
| ٤٦٠٣٦٠ | ٣٧٧٢٨٤ | كيروسين |
| ١٠١٣٦٤٠ | ١٦٦٧٤١٣ | زيت ماروت |
| ١٣١٨٠٢ | ١٣١٧٩ | زيت ديزل |
| ١٧٣٦٥٦ | ١٥٧٦٨٢ | زيت سولار |
| ٩٥١٧٦ | ٦٧٦٥ | فحم حطب |
| ٢٧٤١٩ | ٤٩ | سيارات ركاب |
| ٥٢٤١٩٤٩ | ٨٣٩٥٢٨ | الجلسة |

الواردات من مصر الى المملكة السعودية

| القيمة بالحيه المصري | المقدار بالطن | الصنف |
|----------------------|---------------|-----------------|
| ١٢٥٥٦٩ | ٢٢٩٠٠ | أسمنت |
| ١٩٣٦٦ | ١٣٠٩ | بطاطس |
| ١٩٩٨٤ | ٣٢ | جلود |
| ٣٧٨٢٦ | ٢٤٤ | جبن أبيض |
| ٤١٠١ | ٢٤٩ | طماطم |
| ٢٧٠١٩ | ٢٩٨٤ | بصل |
| ١٢٨٦٠ | ٢٥٥ | أرز مبيع |
| ٤٨٦٩ | ٦٤ | سمسم |
| ٢٠٩٤٧٣ | ٥٢٠٥ | سكر مكرر |
| ٢٤٤٠١ | ١٨٠ | مصنوعات سكرية |
| ١٢٧١٨ | ٩٩ | مستحضرات غذائية |
| ٣٨١٢٢ | ٣٩ | دهان مصنوع |
| ٣٨٨٦٤ | ٧٩٩٢ | جبس مكلس |
| ١٩٨٦٢ | ١٥١٠ | كوك وأسفلت |
| ١٩ ٨٩٥ | ٣٥ | أدوية مركبة |

الواردات من مصر الى المملكة السعودية

| القيمة بالجنيه المصرى | المقدار بالطن | الصنف |
|-----------------------|---------------|---------------------|
| ٢٠٠٣٦ | ٧١ | جلود مجهرة |
| ١٦١٠٢٤ | ١٠٦٦ | أبواب وشبابيك |
| ١٦٦٦٤١ | ٦٥٤ | أثاث |
| ٨٦٧٠٣ | ٢٨٨ | كتب |
| ٢٢٠٩٥ | ١١١ | حرائد ومحلات |
| ٤٩٠٤٢٧ | ٣٥ | ملابس صوفية |
| ٢٤٨٠٦٦٦ | ٥٢٤ | ملابس وبياضات قطنية |
| ٥٧٨٨٣ | ٦١ | أحذية |
| ٥٣٩١٦ | ٣٧١ | منشآت معدنية |
| ١٦٩٩٤ | ٧٧ | أثاث معدنى |
| ٢٣٩٤٣٥ | ٥١ | أجهزة اضاءة |
| ١٩٩١٨٢٢ | ٥٣٥٥٩ | الجملة |

ملاحق مصوّرة



الاتفاقية العسكرية بين مصر والمملكة العربية السعودية.
أول معول في بناء حلف بغداد، وحجر الأساس
في بناء الوحدة العربية، تم التوقيع عليها بالقاهرة يوم ١١
ربيع الأول ١٣٧٥ الموافق ٢٧ أكتوبر ١٩٥٥



ميثاق الأمن العربي بين مصر وسوريا والمملكة
العربية السعودية تم التوقيع عليه بالقاهرة يوم ٢٨
رجب ١٣٧٥ الموافق ١١ مارس ١٩٥٦

* * *

وفي يوم ٢١ أبريل ١٩٥٦ عقدت في جدة الاتفاقية
العسكرية بين مصر والمملكة العربية السعودية واليمن،
ووقع الاتفاقية الرئيس جمال عبد الناصر والملك
سعود والإمام أحمد.



اتفاقية التضامن العربي بين المملكة العربية السعودية وسوريا ومصر
والمملكة الاردنية الهاشمية ، بتقديم ١٢ مليوناً و ٥٠٠ ألف جنيه
للاردن لمدة عشر سنوات . تم التوقيع على الاتفاقية يوم ١٨ جمادى
الثانية ١٣٧٦ الموافق ١٩ يناير ١٩٥٧

* * *

وفي الفترة ما بين ٢٥ و ٢٧ رجب ١٣٧٦ (٢٥ و ٢٧ فبراير ١٩٥٧)
اجتمع في القاهرة الملك سعود والملك حسين والرئيس شكرى القوتلى
والرئيس جمال عبد الناصر . وعرض الملك سعود في هذا الاجتماع
نتائج رحلته إلى الولايات المتحدة ، وكانت بعض آثار العدوان الثلاثى
على مصر مازالت قائمة بامتناع إسرائيل عن الانسحاب إلى ما وراء خطوط
الهدنة في فلسطين . وصدر في هذا الاجتماع بيان مشترك بتأييد حقوق
مصر في جلاء العدو ، وسيادتها على القناة ، وتعويضها عما أصابها من جراء
هذا العدوان الغاشم ، والتمسك بالسياسة العربية المتحدة ، لتحقيق
أهداف الامة العربية في الحرية والوحدة .



... سياسة عربية موحدة ...



... وقيادة عسكرية مشتركة ...



أقامت السفارة المصرية بجدة حفلاً لتكريم القائِمقام أنور السادات ،
بمناسبة زيارته للمملكة العربية السعودية في مارس ١٩٥٥
وتحدثت مجلة « الرياض » ، إلى سيادته ، وكان وقتئذ وزيراً للدولة ،
قلت أسأله :

— ثبت أنك عسكري ناجح ، وصحافي ناجح ، وسياسي ناجح ...
فإذا خیرت بين أحد هذه الميادين ، فأيهما تختار ؟
فأجاب على الفور :

— أفضل الصحافة ، لأنها ميدان حر كبير ...
ولم تمض فترة طويلة ، حتى آثر السيد أنور السادات الصحافة
على الوزارة !

يوم إعلان الدستور المصري (١٦ يناير ١٩٥٦)
أقامت السفارة المصرية بحجة حفلا بهذه المناسبة .
ويرى الدكتور عبد الوهاب عزام السفير السابق
وإلى يمينه الأستاذ عبد العزيز سلامة رئيس البعثة
التعليمية المصرية ثم المؤلف ، وإلى يساره الأستاذ
إبراهيم الشورى مستشار الإذاعة السعودية وقتئذ .



الدكتور طه حسين في زيارة السفارة المصرية
بجدة . وإلى يساره المؤلف ، والاستاذ سعيد فهم
مدير الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، وإلى
يمينه السيد علي الدسوقي القائم بأعمال السفارة .

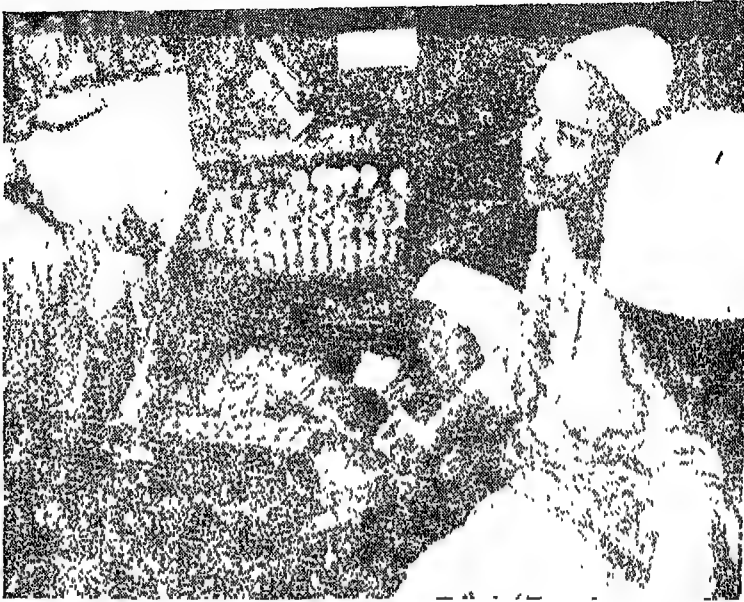




السيد محمد أحمد محجوب وزير خارجية السودان،
في الحفل الذي أقيم لتكريمه بجدة ، عند زيارته
للمملكة العربية السعودية في نوفمبر ١٩٥٤ ويرى
معالي الشيخ محمد سرور الصبان وإلى يمينه المؤلف
وإلى يسار معاليه الشيخ عبدالعزيز العبدالله السليمان
والاستاذ أحمد يوسف زينل والمحتفل به .

دكتور فون هنتج، كان من رجال السلك
الدبلوماسى الالمانى . عرف بصداقته للعرب
ومناهضته للصهيونية . قام برحلة فى البلاد العربية
بعد اعتزاله الخدمة . وفى جدة أقامت له السفارة
المصرية حفلة تكريم . ويرى المحتفل به وإلى يمينه
المؤلف، وإلى يساره السيد على الدسوقي القائم
بأعمال السفارة وقتئذ .





الصراف . . . شخصية هامة فى الاسواق المالية
والتجارية . لديه جميع أنواع العملة من مختلف أنحاء
العالم . وفى مثل هذا الدكان ، الصغير ، تخرج كثير من
كبار رجال المال وأصحاب المصارف الكبرى فى
المملكة العربية السعودية .



تألفت لجنة لإنشاء معاهد علمية في جدة . وكان الملك سعود قد تبرع بمبلغ ٢٠٠ ألف ريال ، وتبرع أفراد أسرته بمبلغ ١٠٠ ألف ريال . واجتمعت اللجنة برئاسة معالي الشيخ محمد رضا وزير التجارة يوم ١٤ جمادى الأولى عام ١٣٧٤ فافتتح قائمة التبرعات بمبلغ ٢٥ ألف ريال للتأسيس و ١٠ آلاف ريال سنوياً لتمويل المشروع ، وبلغت التبرعات الأولى التي نشرتها مجلة الرياض ١٨٢٠٦٨٠ ريالاً للتأسيس ٥٨٧٥٠ ريالاً لتمويل المشروع سنوياً .

ويرى في الصورة أعضاء اللجنة وهم من اليمين : الشيخ عبد الله بحيرى رئيس بلدية جدة ، والشيخ يونس سلامة ، والشيخ محمد الطويل . والسيد حسن كتيبي ، والاستاذ عبيد محمد ، والشيخ عبد المجيد شبكشى .

بأذن الله تعالى

المصادر

الخروج الفاسي

المسلك

الحسين بن علي

فهارس الكتاب

- ١ - فهرس الموضوعات
- ٢ - فهرس الصور
- ٣ - فهرس الأعلام
- ٤ - فهرس المراجع

فهرس لموضوعات

١ - مقدمة

- في مهاد العرب : ٩ - ١٣
مهاد الرسالة - أرض القبلة - منافع الحج - تجارب الرحلة
- حدود ومعال : ١٤ - ٢٠
جغرافية المملكة العربية السعودية : الحجاز - نجد - الأحساء - عسير .
- قيام دولة : ٢١ - ٣٣
مبدأ تاريخ الدولة - الدعوة الوهابية - محمد بن عبد الوهاب - خصائص العروبة - عناصر الحضارة في البلاد الإسلامية - الحضارة ورسالة التوحيد - الحروب بين ولاية مصر وآل سعود - معوقات الحركة الوهابية - الحرب بين الملك عبد العزيز وزعيم الإخوان - عبد الرحمن الفيصل في منفاه بالكويت - عبد العزيز بن عبد الرحمن يفتتح الرياض - صراع الملك عبد العزيز لإرساء قواعد الدولة .

● نظام الحكم : ٣٤ — ٤٠

النظام الملكي في المملكة العربية السعودية - التقاليد القبلية -
صور من العدل والمساواة - دروس من الملك عبد العزيز لأبنائه
ولأبناء الشعب - مناعة ضد طغيان الحاكم - السلطات في يد
مؤسس الدولة - التطور في توزيع مسئوليات الحكم - مجلس الوزراء -
دواوين تشريعية وتنفيذية .

٢ — الرحلة الأولى

دعوة من وراء الغيب

● لبسك اللهم لبسك : ٤٣ — ٥٠

دعوة إبراهيم - دراسة شعائر الحج - بين العلم والتطبيق - جواز
سفر على - التأهب للرحلة - الإحرام من البيت - ميقات
أهل المدينة - إحرام عثمان من نيسابور - في الطائرة لأول مرة -

● في الأرض الطيبة : ٥١ — ٥٩

النزول في جدة - نقلة روحية - رحلة إلى أعماق التاريخ - أمام
الكعبة - موجة الطواف - صبية المطوفين - طواف الرسول
في العمرة - عند الملتزم - مقام إبراهيم - شهيد زمزم -
تجرد ومساواة .

• أطباق الذكريات : ٦٠ - ٧٠

المعركة الرهيبة - في ظل الكعبة - مشكلة الحجر الأسود - بين محمد والمشركون - انهيار الوثنية - بين الصفا والمروة - محمد فوق الصفا - اختناق المسعى وإزالة عمر للمباني المحيطة بالحرم - هاجر وإسماعيل - آية الليل والنهار - الفجر في الحرم .

• جولة خاطفة في مكة ٧١ - ٧٦

وحدة العقيدة واللسان - المسلمون ولغة القرآن - البلبلة اللسانية - منازل المطوفين - بين مكة والفايكان - مدينة الحجاج .

• الموقف الأكبر : ٧٧ - ٩٣

الإحرام بالحج - حكمة المبيت في منى - حجة الوداع - الحج يوم الجمعة - فوق جبل الرحمة - ضلالة وإسراف - الحج عرفة - اندونيسيا وشروط الاستطاعة - بين الحقائق والاحلام - قصة المؤتمر الإسلامي .

• أيام التشريق : ٩٤ - ١٠٩

إلى المشعر الحرام - قصة التضحية والفداء - فلسفة الرجم - بيعة العقبة - التحلل من الاحرام - الهدى والظليان - في مسجد الخيف - علامة الحج المبرور - العرض العسكري في منى - الاخوان والعرضة النجدية

● أحاديث وأسمار : ١١٠-١١٥

النزول إلى مكة - الكاشاني ويوم عرفة - إلغاء رسوم الحج - تاريخ
فرض المكوس - مصارع الحجاج في العهد الماضي - صبيحة
شوقية .

● صور وتقاليده : ١١٦-١٢١

التوقيات العربي - على مائدة « الأمير ، سعود - تقاليد القهوة
العربية - على مائدة « أبو صياح » - قصة عن أشعب - حلبة
المبارزة - الرسول وأبودجانة

● في ظلال الحرم : ١٢٢-١٣٣

تاريخ بناء الكعبة - السدانة - في جوف الكعبة - اغتصاب الحجر
الأسود - يوم الفتح - بين محمد والآنصار - أستار الكعبة -
حدود المسجد الحرام - دار الندوة - المؤامرة الكبرى .

● معالم وذكريات : ١٣٤-١٥٧

إلى جبل ثور - الطريدان المنتصران - إلى غار حراء - فتنه المشاهد
الدينية - الوساطة بين الإنسان وربه - وحى السماء - في مقبرة
المعلاة - خديجة أم المؤمنين - أبو طالب ينتصر لمحمد - أسماء بنت
أبي بكر - عبد الله بن الزبير - دار الأرقم - لإسلام عمر - تقبيل
الحجر الأسود - صلاة الجمعة في الحرم - فلك الأسرار والأنوار

● إلى دار الهجرة : ١٥٨ - ١٧٧

مواكب أفرح قدسية - تحية السماء - ثمن الظل - طريق المدينة
- أنوار المدينة - وحى الذكرى - فى المسجد النبوى - أمام
المقام الشريف - محمد وأصحابه يقيمون المسجد - تطور عمارة
المسجد والحجرة النبوية - الفن الإسلامى فى العمارة - محمد فى حجراته
بين أمس واليوم - عمارة نور الدين بن زنسكى .

● فى مسرح الذكريات : ١٧٨ - ١٩١

من صور الماضى - دار أبى أيوب الأنصارى - سور المدينة - فى
جنة البقيع - أمام قبر عثمان - قبور أهل البيت والصحابة
والائمة - إلى جبل أحد - امرأة تدافع عن الرسول - سيد
الشهداء - مسجد القبيلتين - مسجد قباء - المدينة بين أمس
واليوم .

● فى طريق العودة : ١٩٢ - ٢٠٤

وداع المدينة - الوصول إلى جدة - مدينة عثمان بن عفان -
مشروع الميناء - مدائن الحج - الميناء - قبر حواء -
على مائدة ولى العهد - الحاج عبد الله فلبى - الجاسوسية البريطانية فى
البلاد الغربية - على الطائر الميمون - أيام الطور - كليم الله -
الوصول إلى مصر ..

٣ — الرحلة الثانية

نداء الوطن الأول

- استجابة ٢٠٧ - ٢٠٨
- في ميدان الصحافة ٢٠٩ - ٢٢٢
- مجلة الرياض — مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة — تاريخ الصحافة في هذه البلاد — مديرية الإذاعة والصحافة والنشر .
- هنا مكة المكرمة : ٢٢٣ - ٢٢٧
- أول كلمة تذاع من مكة — الإذاعة العربية السعودية — موجات الإذاعة وبرامجها .
- في موكب العلم والثقافة : ٢٢٨ - ٢٥٨
- الدورة التاسعة للجنة الثقافية لجامعة الدول العربية — حق أرض القبلة على العرب والمسلمين — الدكتور طه حسين رئيس اللجنة بين مختلف التيارات — خطاب الدكتور طه حسين — الدكتور طه حسين يؤدي العمرة — دعاء الدكتور طه حسين في الطواف — الشعر والشعراء في المملكة العربية السعودية — تطور النهضة العلمية والثقافية — معاهد التعليم — الإنتاج الأدبي والثقافي — المكتبات العامة .

● الجيش العربي السعودي : ٢٥٩ - ٢٦٥

مهرجان عسكري بالطائف - تاريخ الجيش العربي السعودي -
الوحدات والمعاهد والمستشفيات العسكرية .

● وإبكم في القصاص حياة : ٢٦٦ - ٢٨٩

تنفيذ حكم الإعدام - إقامة الحد - الأمن بين أمس واليوم
- فضائل العروبة وجرائم البدو - عصا تقطع الطريق -
التصديحة - مديرية الأمن العام - دار الأيتام بمكة .

● قضية البريمي : ٢٩٠ ٢٩٧

واحة البريمي - الخطط الاستعمارية البريطانية في الشرق -
البريمي جزء من المملكة العربية السعودية - الاعتداء البريطاني -
التحكيم الدولي .

● في الطائف : ٢٩٨ - ٣١٢

رحلة بالسيارة - محمد في الطائف - زيارة أبو الطائف
الأمير عبد العزيز بن معمر - مسجدان عباس - قصر شبرا
- جبل السكارى - وادى وج - معاهد التعليم - حفلة
قران - العودة إلى مكة - اليوم الاول من رمضان في
المسجد الحرام - العودة إلى مصر .

٤ — الرحلة الثالثة

العودة أحمد

● واستجاب الله لدعائى ٣١٥

● مع بعثة رجال التربية والتعليم : ٣١٦-٣٢٣

العودة أحمد — تدبير شئون الرحلة — وصول الفوج الأول
- تناوب الافواج الاخرى - حفاوة وتكريم - منافع دينية ودنيوية
- حادث تصادم — وزارة الصحة — جمعيات الإسعاف

● فى الرياض : ٣٢٤-٣٣٩

زيارة الملك فى الرياض — عاصمة عجيبة — معالم النهضة الحديثة
— فى المدرسة النموذجية — الكلية الحربية — المعهد الدينى
الكبير — المستشفى العسكرى — سكة حديد المنطقة الشرقية —
قصة التليفون الاوتوماتيكى

● معجزة البعث الجديد : ٣٤٠-٣٦٠

بداية القصة — البترول بدل الماء — تطور الإنتاج — مدن
صناعية — ميناء الدمام — خط الانابيب — حذر وإشفاق
— تمثل الحضارة الجديدة — تطوير الحياة الاجتماعية والاقتصادية
— مستقبل البترول بعد تفجير الذرة — قيمة الزيت للوقود

والصناعة - حقول البترول ميدان الصراع الدولي — أول ناقلة سعودية للبترول — الأسطول البحري التجارى — مناجم المعادن — استنباط المياه — إقامة السدود .

● فى طريق المدينة : ٣٦٦-٣٦٦
عند بدر — العدو الدنيا والعدو القصوى — الموقعة الخالدة — الملائكة تشترك فى القتال — بئر عروة — محطة سكة حديد المدينة .

● عمارة الحرم النبوى : ٣٦٧-٣٧٣
فى الحرم — بدء العمارة الجديدة — يوم رهيب — ليلة عيد — تاريخ عمارة المسجد منذ عهد عمر حتى الآن — فرصة العمل — كشف على — فن عربى إسلامى .

● فى وادى العقيق : ٣٧٤-٣٨٠
الوادى المبارك — قصر سعيد بن العاص — ميدان غزوة الأحزاب — تأليب قریش — الخندق — غدر اليهود — مبارزة الأبطال — نجدة السماء .

● عمارة المسجد الحرام : ٣٨١ - ٣٨٨
وضع حجر الأساس — أعمال الهدم والتوسعة — الكعبة فى الجاهلية — المساكن حول الكعبة — المطاف يتحول إلى مسجد — الزيادات والعمارات منذ عهد عمر حتى الآن — العمارة الحديثة .

٥ — ملاحق

- وثائق وإحصائيات ٣٨٩-٤١٧
- توحيد المملكة ٣٩٠-٣٩١
- أول خطاب للعرش : ٣٩٢-٣٩٨
- مجلس الوزراء الأول — دعوة التوحيد — السياسة الخارجية — فلسطين — الجديش — تحضير البدو — شؤون الصحة — التعليم — الزراعة — المواصلات — المالية — مجالس إدارية — ديوان المحاسبة — ديوان المظالم .
- أول ميزانية للدولة : ٣٩٩-٤٠٩
- مرسوم الميزانية — الإيرادات — المصروفات .
- في مناطق البترول : ٤١٠-٤١٣
- الإنتاج السنوى من الزيت الخام فى مدى ١٩ سنة — حالة الآبار فى نهاية عام ١٩٥٦ — الاستهلاك المحلى للبترول ومشتقاته — عدد الأيدي العاملة وجنسياتهم .
- الميزان التجارى مع الدول العربية : ٤١٤-٤١٧
- الصادرات والواردات — الميزان التجارى مع مصر والعراق وسوريا والأردن — الصادرات إلى مصر — الواردات من مصر .
- ملاحق مصورة (انظر فهرس الصور) ٤١٨-٤٢٨

فهرس الصور

| الصفحة | الصورة |
|--------|--|
| ٣ | الملك سعود والرئيس جمال عبد الناصر |
| ٥ | الرئيس جمال والامير فيصل |
| ١١ | المسجد الحرام |
| ١٥ | الملك سعود أمام خريطة المملكة العربية السعودية |
| ١٦ | مسكة المكرمة |
| ٢٠ | أبها : عاصمة عسير |
| ٣١ | الملك عبد العزيز آل سعود |
| ٣٣ | قصر عجلان بالرياض |
| ٣٩ | الملك سعود والامير عبد الله بن عبد الرحمن |
| ٤٨ | في مطار القاهرة الدولي |
| ٥٣ | المسجد الحرام |
| ٥٨ | بئر زمزم |
| ٦٥ | ربوة الصفا |
| ٧٦ | مدينة الحجاج بمكة |
| ٨٠ | جبل الرحمة في عرفات |

| الصفحة- | الصورة |
|---------------|---|
| ٨٩ . . . | الرئيس جمال بملابس الإحرام والامير فيصل |
| ٩١ . . . | الملك سعود والسيد غلام محمد في موسم الحج |
| ٩٣ | الملك سعود والسيد أنور السادات |
| ١٠٣ | مسجد الخيف في منى |
| ١٠٧ | الملك سعود في العرضة النجدية |
| ١٠٨ | الامير عبد الله الفيصل في العرضة |
| ١٠٩ | الامير محمد بن سعود يقود أحد ألوية الجهاد |
| ١٠٩ | الطبول والأعلام في العرضة |
| ١٢٦ | وانفتح باب السكعبة ... |
| ١٣٦ | غار ثور |
| ١٤١ | غار حراء |
| ١٥١ | الحجر الأسود |
| ١٥٤ | الصلاة في المسجد الحرام |
| ١٦٣ | القبة الخضراء ومنازة الحرم النبوى |
| ١٦٥ | باب السلام في الحرم النبوى |
| ١٦٧ | المقام النبوى الشريف |
| ١٩٠ | مسجد قباء |
| ١٩١ | محطة سكة حديد الحجاز بالمدينة المنورة |
| ١٩٥ | ميناء جدة |
| ٢٠٩ | الاستاذ أحمد قاسم جودة |

| الصفحة | الصورة |
|---------------|---|
| ٢١٠ | السيد أحمد عبيد |
| ٢١٠ | السيد مدني بن حمد رئيس تحرير مجلة الرياض |
| ٢١٣ | الأستاذ كامل صموئيل مسيحية : مترجم ذري |
| ٢١٣ | السيد سلامة حسين حمودة : عامل فدائي |
| ٢١٨ | مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة |
| ٢٢٠ | الأمير محمد بن عبد العزيز في دار مجلة صرخة العرب |
| ٢٢٠ | أسرة مجلة صرخة العرب في السفارة السعودية |
| ٢٢١ | عبد الله بلخير الوزير المفوض وسكرتير الملك |
| ٢٢٦ | الدكتور طه حسين في دار الإذاعة السعودية |
| ٢٢٦ | أجهزة الاستقبال في محطة الإذاعة السعودية |
| ٢٣٢ | الدكتور طه حسين والمؤلف في جدة |
| ٢٣٤ | الأمير فهد بن عبد العزيز يفتتح دورة اللجنة الثقافية |
| ٢٣٤ | الدكتور طه حسين يلقي كلمته في افتتاح الدورة |
| ٢٣٨ | الدكتور طه حسين يتحدث مع الأستاذ عبد الله عريف |
| ٢٣٩ | الدكتور طه حسين يتحدث مع الأستاذ كامل الشناوى |
| ٢٤٢ | الدكتور طه حسين في ملابس الإحرام |
| ٢٤٥ | الدكتور طه حسين مع الوفد السعودي في اللجنة الثقافية |
| ٢٤٥ | الأمير عبد الله الفيصل والشاعر بشارة الخورى |
| ٢٤٧ | وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية |
| ٢٤٨ | الأمير فهد وزير المعارف والمؤلف والسيد حسين عطاس |

| الصفحة | الصورة |
|--------|---|
| ٢٥٠ | الشيخ عبد العزيز آل الشيخ وكيل وزارة المعارف |
| ٢٥٠ | الاستاذ ناصر المنصور مدير التعليم العام |
| ٢٥١ | مبنى مدرسة الفلاح الثانوية بمجدة |
| ٢٥٢ | أحمد القصور الملكية التي أهديت لوزارة المعارف |
| ٢٥٣ | الأمير فهد يوزع الجوائز على التلاميذ |
| ٢٥٦ | الأمير مساعد بن عبد الرحمن |
| ٢٥٧ | الشيخ يوسف زينل عميد آل زينل |
| ٢٥٧ | الشيخ محمد نصيف كبير علماء وأعيان جدة |
| ٢٥٨ | السيد حسن الشريتي وزير الدولة |
| ٢٦٠ | أحمد معسكرات الجيش |
| ٢٦١ | وحدة ميكانيكية من وحدات الجيش |
| ٢٦٢ | الأمير فهد بن سعود وزير الدفاع |
| ٢٦٢ | الزعيم ابراهيم الطاسان رئيس أركان حرب الجيش |
| ٢٦٥ | الملك سعود يوزع الجوائز على أول فرقة للمظلات |
| ٢٦٥ | اللواء محمد ابراهيم وأعضاء بعثة الجيش السعودي |
| ٢٧٧ | اللواء طلعت وفا مدير الأمن العام والمؤلف |
| ٢٧٩ | الرئيس جمال يهدى للأمير عبد الله الفيصل نيشان الجمهورية |
| ٢٧٩ | الرئيس جمال والأمير عبد الله والسيد زكريا يحيى الدين |
| ٢٧٩ | والسيد أنور السادات والشيخ عبد الله آل ابراهيم الفضل |
| ٢٨١ | الجهاز الرهيب الذى يفضخ الكذب |

| الصفحة | الصورة |
|-----------------|--|
| ٢٨٤ | زيارة لمدرسة الكونستبلات بمكة . |
| ٢٨٤ | جندى المرور والإشارات الضوئية |
| ٢٨٩ | دار الأيتام بمكة |
| ٢٨٩ | أبناء الدار يؤدون الصلاة جماعة . |
| ٢٩١ | الأستاذ عبد الرحمن عزام والمؤلف |
| ٣٠٣ | الأمير عبد العزيز بن معمر والمؤلف |
| ٣٠٤ | الأمير ناصر بن معمر |
| ٣١٠ | حفلة قران الشيخ صالح بن حمد |
| ٣١٢ | أحد أغوات الحرم يقدم للشرطى جرعة من ماء زمزم |
| ٣١٨ { | الأستاذ أحمد زكي والأستاذ محي الدين أبو شاذى والمؤلف |
| | بملايس الإحرام |
| ٣٢٠ | الفوج الأول من بعثة وزارة التربية في منى |
| ٣٢٥ | الشيخ ابراهيم السليمان |
| ٣٢٥ | الشيخ عبد الله السعد |
| ٣٢٧ | قصر المربع بالرياض |
| ٣٢٨ | المستشفى العام بالرياض |
| ٣٢٩ | قصر الحمراء |
| ٣٣٢ | أعضاء الوفد في السكنية الحربية ^١ |
| ٣٣٢ | درس عملي في السكنية الحربية |
| ٣٣٤ | محطة سكة حديد الرياض |

| الصفحة | الصورة |
|--------|--|
| ٣٣٥ | عربة سكة حديد مكيفة الهواء |
| ٣٣٧ | الأمير سلطان بن عبد العزيز في القاهرة |
| ٣٤٢ | الأمير سعود بن جلوى |
| ٣٤٢ | الشيخ عبد الله السليمان |
| ٣٤٣ | أعضاء اللجنة الثقافية في زيارة رأس تنورة |
| ٣٤٤ | ميناء الدمام |
| ٣٤٥ | الأمير عبد العزيز بن سعود بن جلوى ورجال أرامكو |
| ٣٤٦ | مسجد حى الموظفين بالظهران |
| ٣٥٦ | ناقلة الدترول « سعود الأول » |
| ٣٥٩ | الشيخ عثمان باعشان |
| ٣٥٩ | توفير المياه في عرفات |
| ٣٦٠ | سد العاقول بالمدينة |
| ٣٦٩ | طالب يلتقى كلمة في افتتاح عمارة الحرم النبوى |
| ٣٧٣ | العمارة الجديدة للحرم النبوى |
| ٣٨٢ | الشيخ محمد بن لادن |
| ٣٨٢ | الشيخ محمد صالح قزاز |
| ٣٨٧ | تصميم العمارة الجديدة فى المسجد الحرام |
| ٤٠٣ | الشيخ محمد سرور الصبان والشيخ عبد الرحمن الطييشى |
| ٤١٤ | الشيخ محمد رضا وزير التجارة |
| ٤١٨ | الرئيس جمال والامير فيصل يوقعان الاتفاقية العسكرية |

| الصفحة | الصور |
|--------|--|
| ٤١٩ | الملك سعود والرئيس القوتلي والرئيس جمال عند توقيع اتفاقية الأمن العربي |
| ٤٢٠ | الملك سعود والرئيس جمال والملك حسين والسيد صبري العسلي يوقعون اتفاقية التضامن العربي |
| ٤٢١ | الأمير فيصل والسادة حسونة وفوزي وعزام |
| ٤٢١ | اللواء عبد الحكيم عامر والامير مشعل |
| ٤٢٢ | السيد أنور السادات في حفل تكريمه بجدة |
| ٤٢٣ | الاحتفال بإعلان الدستور المصري في السفارة المصرية بجدة |
| ٤٢٤ | الدكتور طه حسين والمؤايف في السفارة المصرية بجدة |
| ٤٢٥ | تكريم السيد محمد أحمد محبوب وزير خارجية السودان بجدة |
| ٤٢٦ | تكريم دكتور فون هنتيج بجدة |
| ٤٢٧ | الصراف |
| ٤٢٨ | لجنة لإنشاء معاهد التعليم بجدة |
| | خريطة المملكة العربية السعودية (بين ٤٢٨ و ٤٢٩) |

(استدراك)

ذكر اسم الملك سعود في السطر الثاني من صفحة ٣٤١
والضواب : الملك عبد العزيز ،

فهرس الأعلام

١ - أعلام جغرافية وتاريخية

| | |
|--|----------------------------|
| الاحساء ١٩ و ٢٢ و ٣٣ و ٣٥٩ | (١) |
| الأردن (المملكة الاردنية الهاشمية) ١٤ و ٢٠ و ٢٢٦ | أبها - صفحة ٢٠ |
| ٣٦٦ و ٣٩٦ و ٤٠٨ و ٤١٤ | أبو حدرية ٤١١ |
| ٤١٥ و ٤٢٠ | أبو عريش ٢٠ |
| الأزهر ٢٤٩ و ٣٠٨ و ٣٣٣ | أبو ظبي ٢٩٣ و ٢٩٥ |
| البحر الابيض المتوسط ٢٩٢ | أبيار على ٣٦٥ |
| البحر العربي ٢٢٥ | أحد ١٢١ و ١٨٦ و ١٧٨ و ٣٧٧ |
| البحر الاحمر ١٤ و ٤٩ و ٣٥٥ | أستراليا ٢٩٢ |
| البحرين ٢٨ و ٣٥٣ | إسرائيل ٢٤٠ |
| البدع ١٨ | آسيا ١٨٠ و ٢٩٢ |
| البريمي ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٣ | إفريقيا ٢١ و ٢٢ و ٤٧ و ١٦٠ |
| ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ | ١٨٥ و ٢٠١ و ٢٩٢ |
| البصرة ٢٢ | أفغانستان ٢٢ |
| | الأفلاق ١٩ |

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| ٣٥٥ و ٣٣٦ | البقيع ١٨٢ و ١٨١ |
| الخندق ٣٧٩ و ٣٧٧ | التمايز ٧٣ |
| الدرعية ١٧ | التسكية المصرية ٣٨١ |
| الدلم ١٨ | الجزائر ٨٥ |
| الدمام ٢٦٤ و ٣٣٤ و ٣٤٤ و ٢٠١ | الجعوف ٤١١ |
| ٤١١ و | الجوف ١٨ |
| الرس ١٨ | الحجاز ٢٦ و ٢٢ و ٢٠ و ١٥ و ١٤ |
| الرغامة ٢٧٣ | ٣٨ و ٧٤ و ١١١ و ١١٤ و ٢٧٦ |
| الروضة الشريفة ١٦٦ و ٣٦٧ | ٢٩٨ و ٣٥٩ و ٣٨٦ و ٣٩٠ |
| الرياض ١٧ و ٢٢ و ٢٩ و ٣٢ | الحجر الأسود ٥٥ و ٥٧ و ٦٢ |
| ٢١٧ و ٢٢٥ و ٢٤٧ و ٢٥٣ | ١٢٥ و ١٢٨ و ١٤٩ و ١٥٠ |
| ٢٥٦ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٨٨ | ٢٣٧ و ٣٨٦ |
| ٢٩٦ و ٣٠٥ و ٣٢٤ و ٣٢٥ | الحجون ١٣٢ و ١٤٣ |
| ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٣٠ | الحديبية ٥٧ و ٢٧٢ |
| ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ | الخطيم ١٣٤ |
| ٣٤٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٦ | الحوية ٢٥٩ و ٣٠٠ و ٤١١ |
| ٤٠٨ و | الحيرة ٦٠ |
| الزلفي ١٩ | الخبرا ١٨ |
| الزيماء ٢٩٩ | الخروج ١٨ و ٢٦٤ و ٣٥٨ و ٤٠٨ |
| السفانية ٤١١ | الخرسانية ٤١١ |
| السليمة ١٨ | الخليج العربي (الفارسي) ١٤ |
| السودان ٢١ و ٢٢ و ٨٥ و ٢٢٥ | ٢٩٠ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ |
| | ٤٤٨ |

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| العقبة ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٢٧٤ | السيل الصغير ٢٩٩ |
| ٢٦٣ و | السيل الكبير ٢٩٩ |
| العلا ٤١١ | الشام ١١٩ و ١٢٣ و ١٨٤ |
| العيون ١٩ | و ١٩١ و ٢٦٣ و ٣٦٦ |
| العينية ٢٢ | الشرايع ٢٩٨ |
| الغاط ١٩ | التسميسة ٢٧٢ |
| الفاتيكان ٧٥ | الصفا ٤٥ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ |
| الفاضلي ٤١١ | و ١٠٠ و ١٤٣ و ١٤٦ و ٣١٦ |
| الفرات ٨٦ | و ٣٨١ و ٣٨٨ |
| القاهرة ٤٩ و ٩٠ و ١٩٦ و ٢١٩ | الصين ٣٤١ |
| ٤١٩ و ٤١٨ و ٣٣٧ و ٣٣١ و | الطائف ١٥ و ٦٠ و ٢٤٧ و ٢٥٩ |
| ٤٢٠ و | و ٢٦٤ و ٢٩٨ و ٣٠٠ و ٣٠٥ |
| القصيم ١٨ و ٣٨٦ | و ٣٠٦ و ٣٠٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ |
| القطيف ٤١١ | ٤٠٥ و |
| القنطرة ٤٠٨ و ٤٠٩ | الطور ٢٠٢ و ٢٠٣ |
| الكعبة (أول بيت - البيت | الظهران ٢٥٦ و ٢٦٣ و ٣٣١ |
| العتيق) ٤٣ و ٤٥ و ٥٢ و ٥٤ | و ٣٤٠ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ |
| ٥٦ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ | و ٣٤٦ و ٣٤٩ |
| ٦٣ و ٦٦ و ٦٩ و ٧٠ و ٧٠ و ٨٩ | العارض ١٧ و ١٨ |
| ١٠٠ و ١١٤ و ١٢٢ و ١٢٣ | العثمانية ٤١١ |
| ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٧ و ١٢٨ | العدوة الدنيا ٣٦٤ |
| ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٤٩ | العدوة القصوى ٣٦٤ |
| ١٥٠ و ١٥٤ و ٢٠١ و ٢٠٢ | العراق ١٤ و ٨٦ و ٢٢٥ و ٣٥٣ |
| | و ٤١٤ و ٤١٥ |

٣٩٦ و ٣٧٩ و ٣٧٧ و ٢٧٥ و

٤٠٩ و ٤٠٨ و

المروة ٤٥ و ٤٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و

٦٨ و ١٠٠ و ٣١٦ و ٣٨١ و

٣٨٨ و

المسجد الأقصى ١٨٩

المسجد الحرام ٥٤ و ٦٦ و ٦٩ و

١١٤ و ١٣١ و ١٣٤ و ١٥٥ و

١٨٩ و ١٩٠ و ٢٦٦ و ٢٦٨ و

٣٨٢ و ٣٨١ و ٣١٢ و ٣١١ و

٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و

٣٨٧ و ٣٨٨ و

المسجد النبوي (الحرم النبوي)

١٦٢ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٨ و

١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٩٠ و

٢٤١ و ٣١٨ و ٣٢٠ و ٣٦٥ و

٢٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و

٢٧٢ و

المقام الشريف (الحجرة النبوية)

١٦٦ و ١٦٨ و ١٧١ و ١٧٢ و

١٧٥ و ١٧٧ و ٢٠١ و ٣٦٧ و

٢٢٣ و ٢٢٨ و ٢٣٧ و ٢٤١ و

٢٦٦ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٦ و

٣٢٠ و ٣٤٧ و ٣٨١ و ٣٨٣ و

٣٨٤ و ٣٨٦ و ٣٨٨ و

الكويت ٢٩ و ٣٢ و ٢٦٣ و ٣٥٣ و

الليث ٤٠٨

الجمعة ١٩ و ٣٣٣ و

المحميات ٢٩٣ و

المحيط الهندي ٢٩٢ و

المدينة المنورة (طيبة - يثرب)

١٥ و ٣٨ و ٤٨ و ٥٧ و ٩٨ و

١٣١ و ١٦٢ و ١٦٤ و ١٦٨ و

١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و

١٨٤ و ١٨٦ و ١٨٨ و ١٨٩ و

١٩٠ و ١٩١ و ١٩٤ و ٢١٧ و

٢٢٥ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٦ و

٢٤٧ و ٢٥٦ و ٢٦٤ و ٢٧٠ و

٢٧٦ و ٢٨٨ و ٣١٧ و ٣١٨ و

٣١٩ و ٣٣٦ و ٣٤٠ و ٣٥٩ و

٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٤ و

٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٨ و ٣٧٤ و

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| ٤١٤ و ٣٠٣ و ٢٩٢ و ٢٢٧ | المعللة ١٤٢ و ١٤٣ و ١٨٢ |
| الوجه ٢٠٢ و ٤٠٨ | الملايو ٢٩٢ |
| الوشم ١٩ و ٣٨٦ | الملتزم ٥٧ |
| النيامة ١٨ | المملكة العربية السعودية ١٢ |
| الين ١٤ و ٢٠ و ٦٠ و ٨٥ و ١٣٢ | ١٣ و ١٤ و ١٧ و ٣٤ و ٣٧ |
| ١٤٢ و ٢٢٥ و ٤١٩ | ٣٨ و ١١٥ و ١١٧ و ١١٨ |
| إمارات الخليج العربي (الفارسي) | ١٩٤ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٤ |
| ٢٠١ | ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ |
| أمريكا (الولايات المتحدة) | ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٣١ و ٢٣٧ |
| ٥٩ و ٢٤٩ و ٢٦٣ و ٣٣١ | ٢٤٣ و ٢٤٨ و ٢٦٣ و ٢٧٦ |
| ٤٢٠ و ٣٤١ و ٣٥٥ و ٤١٤ و ٤٢٠ | ٢٧٨ و ٢٩٠ و ٢٩٣ و ٢٩٤ |
| انجلترا (بريطانيا - الجزر) | ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠٨ و ٣٢٢ |
| البريطانية (٢٦٣ و ٢٩٠ و ٢٩١ | ٣٣٣ و ٣٣٧ و ٣٤٠ و ٣٤١ |
| و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٥ و ٢٩٦ | ٣٤٦ و ٣٤٨ و ٣٥١ و ٣٥٣ |
| و ٢٩٧ و ٣٥٧ و ٤١٤ | ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ |
| أمليج ٤٠٨ | ٣٥٩ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩٢ |
| إندونيسيا ٨٢ و ٢٢٧ | ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ |
| أوربا ١٨٥ و ٢١٨ و ٣٠٣ | ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢٢ |
| إيران ١١١ و ١٦٢ | ٤٢٥ |
| (ب) | المناصف ١٨ |
| باكستان ٨٥ و ٩٠ و ٢٢٧ | الهفوف ١٩ و ٢٥٧ |
| بحر الروم ١٨٥ | الهند ٢١ و ٢٢ و ٢٤ و ١٣٨ و ١٨٥ |

جبل ثور (غار ثور) ١٣٤

١٣٧ و ١٣٥

جبل موسى ٣٠٢

جبل هندي ٢٢٥

جدة ١٥ و ٥٠ و ٥٣ و ٧٥ و ١٥٨

١٦٢ و ١٩٢ و ١٩٤ و ١٩٥

١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠١ و ٢٠٩

٢١٥ و ٢١٨ و ٢٢٥ و ٢٤٦

٢٤٧ و ٢٥٢ و ٢٥٦ و ٢٥٨

٢٥٩ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤

٢٩٠ و ٢٩٨ و ٣٠٦ و ٣٠٩

٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢١

٣٢٥ و ٣٤٠ و ٣٥٢ و ٣٩٦

٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤٢٢ و ٤٢٣

٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٨

جزيرة العرب ٢١ و ٢٢ و ٢٧

جلاجل ١٩

جنوب الجزيرة العربية ٢٠١

٢٩٢ و ٢٩٣

جيزان ٢٠ و ٤٠٨ و ٤٠٩

١٨٧ و ٣٦١ و ٣٦٤

بريدة ١٨ و ٣٣٣

بريطانيا (انظر انجلترا)

بغداد ٤١٨

بهبق ٤١١

بيت المقدس ١٨٩

بئر عروة ٣٦٥ و ٣٦٦

بيروت ١٩٨

بيشة ٣٠

(ت)

تربة ٢٠

تركيا ٢٤ و ٢٦

تنيس ١٣١

(ج)

جبال شمر ١٨

جبل الرحمة (جبل لال) ٨٠

٨١ و ٨٤ و ٨٧

جبل السكارى ٣٠٥

جبل النور (غار حراء) ١٣٨

١٤٠ و ٢٩٨ و ٣٢٠

رأس تنورة ٣٤٣

(ز)

زوم ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ١٣٤

و ٣١١

(س)

ساحل الصالح العمانى ٣٩٥

سامطة ٣٣٣

سد العاقول ٣٦٠

سد عكرمة ٣٦٠

سدير ١٨

سوريا (الجمهورية السورية) ١٨

و ٢٢٥ و ٣٦٦ و ٣٩٦ و ٤١٤

و ٤١٥ و ٤١٩ و ٤٢٠

(ش)

شبرا ٣٠٥

شدم ٤١١

شعرا ٣٣٣

(ص)

صبيبا ٢٠

صبيدا ٣٤٤

(ط)

طرابلس ٧٥ و ١٠١

طيبة (انظر المدينة المنورة)

(ح)

حجر لسماعيل ١٣٤ و ٣٨٦

حرص ٤١١

حضر موت ١٤

حلوان ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٦٨

(خ)

خيبر ٣٧٥

(د)

دار أبى أيوب الانصارى ١٨٠

دار أبى بكر ١٨٠

دار الارقم ١٤٦ و ١٤٨

دار الحميدية ٢٦٨ و ٢٧٦ و ٣٨١

دار الخيزران ١٤٦

دار الندوة ١٣١ و ٣٨٣ و ٣٨٦

دار عثمان ١٨٠ و ١٨١

دجلة ٨٦

دمياط ١٣١

(ذ)

ذو المجاز ٢٤٢

ذو المجنة ٢٤٢

(ر)

رايغ ٤٣ و ١٦٠

رأس الخيمة ٢٩٣

قصر الحمراء ٣٢٩

قصر المربع ٣٢٨

قصر عروة ٣٦٥

قصور الناصرية ٣٣٠

قصبة ١٨

قطر ٣٥٣

قناة السويس ٢٩٢

(ك)

كربلاء ١٨٥

كنةكاكي ٣٣١

(ل)

لبنان ٢٢٥ و ٢٤٩ و ٢٥٥

لحريق ١٩

ليبيا ٧٥ و ٨٥

(م)

محايل ٢٠

مزدلفة ٩٤ و ٩٥ و ٣١٧

مسجد الخيف ١٠٢ و ١٠٣

مسجد الفتوح ٢٧٧

مسجد القبلة ١٨٨

مسجد قباء ١٧٩ و ١٩٠

مسقط ٢٩٣ و ٢٩٤

(ع)

عدن ٢٩٢

عرة (عرفات) ٧٧ و ٧٨ و ٨٠

٨١ و ٨٣ و ٨٨ و ٩٤ و ٩٥

١١١ و ١١٢ و ١٥٧ و ٢٢٣

٣١٧ و ٣٥٩

عسير ٢٠ و ٣٥٩

عكاظ ٢٤٢ و ٣٠٠

عمان (الإمارة) ١٤ و ٢٩٣ و ٢٩٤

عنيزة ١٨ و ٣٣٣

عين حنين ١٤

عين دار ٤١١

عين زبيدة ١٤

عيون فاطمة ١٤

(غ)

غار ثور (انظر جبل ثور)

غار حراء (انظر جبل النور)

(ف)

فارس ٢٢ و ٢٤ و ١٣٨

فرزان ١٨

فرنسا ٢٣٣

فلسطين ٣٩٤ و ٤٢٠

(ق)

قبا ١٨٩

هجر ١٢٨ (و)
 وادى الدواسر ١٩
 وادى العقيق ٣٦٥ و ٣٧٤
 ٣٧٧ و
 وادى وج ٣٠٥ و ٣٠٦
 (ى)
 يثرب (انظر المدينة المنورة)
 ينبع ٢٧٠ و ٤٠٨

٢ — أعلام الأشخاص والقبائل والأمم

(١)
 أبان بن عثمان بن عفان ١٧٣
 و ٣٧١ و ٣٧٢
 إبراهيم (ابن الرسول) ١٨٣
 إبراهيم بن معمر ٣٩
 إبراهيم (الخليل) ٤٣ و ٤٤
 و ٥٧ و ٥٨ و ٦٧ و ٧١
 و ٩٦ و ٩٧ و ١٠٢ و ١٢٢
 و ١٢٣ و ١٢٤
 إبراهيم السليمان بن عقيل ٣٢٤١
 و ٣٢٥ و ٣٣٧
 إبراهيم الشورى ٣١٩ و ٤٢٣
 إبراهيم العنقرى ٣٠٨
 إبراهيم الطاسان ٢٦٢
 إبراهيم رفعت (اللواء) ١١٣
 و ٢٧٠
 إبراهيم فوده ٢٢٥ و ٢٤٦
 و ٢٥٦
 أبرهة ٦٠ و ٦١
 إبليس ٩٧
 ابن الرشيد ٢٩ و ٣٣
 ابن القيم ٢٢
 ابن تيمية ٢٢
 ابن كثير ٢٢
 أبو أحمد الموفق بالله ٣٨٥
 أبو العلاملا ٢٥٧
 أبو أيوب الأنصارى ١٨٠
 أبو بكر (الصديق) ٦٣ و ٧٩

- أحمد عبد الحميد ٣١٩
 أحمد عبد الرحمن باعشن ٢٥٦
 أحمد عبد الغفور عطار ٢٢٦
 أحمد عبيد ٣٥ و ٢٠٩ و ٣١٨
 و ٢١٩
 أحمد فؤاد عثمان ٤٨
 أحمد قاسم جوده ٢٠٩
 أحمد قنديل ٢١٦
 أحمد ملا ٢٥٧
 أحمد يوسف زينل ٤٢٥
 أسماء بنت أبي بكر ١٤٥
 إسماعيل ٦٧ و ٩٦ و ٩٧ و ١٠٢
 و ٢٠٧
 أشجع (قبيلة) ٣٧٦
 أشعب ١٢٠
 الأتراك ٣٠٥ و ٣٨٦
 الأحزاب ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧
 و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠
 آل الرشيد ٣٢٧
 آل الزاهد ٢٥١
 آل الشيلي ١٢٥
 الانصار ١٢٩ و ١٦٤ و ١٧٨
 و ١٨٦ و ٣٦٣
 و ١٢٤ و ١٣٥ و ١٣٦
 و ١٣٧ و ١٦٤ و ١٦٧
 و ١٨٣ و ١٨٩ و ٣٦٧
 و ٣٨٤
 أبو جعفر المنصور ٣٨٥
 أبو جمل ١٤٥
 أبو دجاجة ١٢١
 أبو سعيد الخدري ١٨٦
 أبو سفيان ١٢٣ و ٣٦٢
 أبو صياح ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١
 أبو طالب ١٤٣ و ١٤٤
 أبو طاهر القرطبي ١٢٨
 أبو لهب ٦٤
 أبو مويبة ١٨٢
 إحسان عبد القدوس ٣٣٧
 أحمد إبراهيم الغزاوي ٢١٦ و ٢٤٦
 أحمد السباعي ٢١٦
 أحمد الفيض آبادي ٢٤٦
 أحمد (إمام الدين) ٤١٩
 أحمد خليفه ٢١٦
 أحمد زكي محمد ٣١٨ و ٣٢٥
 و ٣٣٠
 أحمد شوقي ١١٤

- الآل اوريون ٢٣٥
 الآلوس ١٧٨
 البتوني (محمد لييب) ١٩٨
 البساطي ٢٥٦
 البشير الابراهيمى ٨٥
 الحارث بن حلزة ١٧
 الحجاج ١١٥ و ١٢٤
 الحسن بن على بن أبى طالب ١٨٥
 الحسين (الإمام) ١٨٥
 الحسين بن على (الملك) ٢١٥
 و ٣٨٦
 الخزرج ٩٩ و ١٧٨
 الخيزران (أم هارون الرشيد)
 ١٤٦
 الروم ٣٧١ و ٣٧٢
 السديري ٣٩
 السرى بن عبدالرحمن الانصارى
 ٣٦٦
 آل سعود ٢٦ و ٢٩ و ٣٠ و ٢٩٤
 و ٣٢٧
 الطيب الساسى ٢١٥
 العباس بن عبد المطلب ٩٨
 و ١٨٦
 آل عبد القادر ٢٥٧
 ٤٥٨
- آل عبد اللطيف ٢٥٧
 العالقة ٣٨٣
 الغساسنة ٦٠
 الفرزدق ١٧
 الفرنسيون ٢٣٣
 القرامطة ١٢٨
 آل مبارك ٢٥٧
 المعتمد العباسى ٣٨٥
 المقتدر بالله ٣٨٦
 المقداد بن عمر ٣٦٢
 المهاجرون ١٢٩ و ١٦٤ و ١٧٨
 المهدي العباسى ١٣١ و ٣٧٠
 و ٣٨٥
 الوليد بن عبد الملك ١٧٣
 و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢
 و ٣٨٥
 اليهود (بنو اسرائيل) ١٨٩
 و ٣٦٣ و ٣٧٥ و ٣٧٦
 و ٣٧٨ و ٣٩٤
 أم أيوب (الانصارى) ١٨٠
 أمرو القيس ١٧
 أمريكيون ٤١٣
 أم عمارة الانصارية ١٨٧
 أم كلثوم (كوكب الشرق)

بنو قريظة ٣٧٥ و ٣٧٨

(ت)

تحسين العسكري ٢٦٣

تركي بن عطيشان ٢٩٤

ت. س. بارجر ٣٤٥

(ث)

تقيف ٣٠٠

(ج)

جرهم (قبيلة) ١٢ و ١٤٢ و ٣٨٣

جرير ١٧

جعفر الطيار ٢٦٣

جمال الحسيني ٣٩ و ٢٦٢

جمال الدين الموصلی ١٧٦

جمال عبد الناصر ٣ و ٨٩ و ٩٠

و ٢٧٩ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠

جواد ذكري ١٨٨

جون فلي (عبد الله فلي) ١٩٨

و ١٩٩ و ٢٠١

(ح)

حافظ عزيز السيد ٢٨٠ و ٢٨١

حامد الفقي ٨٦ و ٢١٥

حسن الشربتلي ٢٥٨

حسن ألفي ٣٨٥

١٥٩ و ١٦٠

أمين الحسيني ٣٣٧ و ٨٥

أمين الخولي ٢٤٥

أمين الريحاني ٣٠٤

أنور السادات ٩٠ و ٩٢ و ٢٧٩

و ٤٢٢

إيطاليون ٤١٣

آية الله السكاشاني ٨٥ و ١١٠

١١١ و ١١٢

(ب)

باكستانيون ٤١٣

برترام توماس ٢٩٤

بشارة الخوري (الاخلط الصغير)

٢٤٥

بشير أغا ٢٥٦

بشير السعداوي ٣٥ و ٤٣ و ٤٩

٨٥

بلال ٧٣ و ١٧٤ و ١٧٩

بنو اسرائيل (انظر اليهود)

بنو أمية ١٢٣ و ١٢٤ و ١٤٥

و ٣٧٤

بنو عبد مناف ١٣٣ و ١٤٧

بنو فزارة ٣٧٦

رشاد رمزي ٣١٧
رشاد فرعون ٣٢٢ و ٣٩
رشدی ملجس ٢١٥
ريدربولارد ٢٩٦

(ز)

زكريا محي الدين ٢٧٩ و ٢٧٨
زهير بن أبي سلمي ١٧
زين العابدين بن الحسين ١٨٥

(س)

سعد بن أبي وقاص ١٨٦
سعد بن معاذ ٣٦٣
سعود الكبير ١٨
سعود بن جلوي ٣٤٢
سعود بن عبد العزيز ٢٨ و ١٧

و ٢٧ و ٣٨ و ٤٠ و ٦٦ و ٩٠
و ٩١ و ٩٤ و ١٠٥ و ١٠٦
و ٠٧ و ١١ و ١٦ و ١١٧
و ١٩ و ١٩٤ و ١٩٨ و ٢٠٠
و ٢٠١ و ٢٠٨ و ٢١٧ و ٢١٨
و ٢٢٤ و ٢٣٣ و ٢٥٢ و ٢٥٦
و ٢٥٩ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣
و ٢٦٥ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٩٦

حسن عبدالله القرشي ٢٤٦
حسن قناديلي ٢٨٢ و ٢٨٤
حسين بن طلال ٤٢٠

حسنيين مخلوف ٨٦
حسين خازندار ٢١٦
حسين زقزوق ٢٨٠ و ٢٨٤
حسين عرب ٢١٦
حسين عطاس ٢٤٨
حسونة (الشيخ) ٢٥٨

حمد الجاسر ٢١٧
حمزة بن عبد المطلب ١٨٧ و ١٨٨
حواء ١٩٧ و ١٩٨
حي بن أخطب ٣٧٥ و ٣٧٨

(خ)

خالد أبو الوليد ٣٩
خالد خليفة ٣٣٠
خالد بن عبد العزيز آل سعود ٣٥
خديجة (أم المؤمنين) ١٤٢ و ١٤٤
خزاعة ١٤٣ و ٢٨٣
خير الدين الزركلي ٢٤٦

(ر)

ربيعة بن خلف ٧٩
رحمة الله الهندي ٢٤٦

(ش)

شارلس كراين ٣٤١
شكري القوتلي ٤٢٠
شكيب الاموي ٣٤٠ و ٣١٩
شيبه بن ربيعة ٣٠١

(ص)

صالح اسلام ٣٢٦
صالح فضائي ٣٢٥
صالح قزاز ٣٨٢ و ٣٦٧
صالح بن حمد ٣٠٩ و ٣١٠
صالح نصيف ٢١٥
صبري العسلي ٤٢٠
صلاح الدين الايوبي ١١٢
صلاح الشاهد ٤١٩
صهيب ٧٣

(ط)

طارق الافريقي ٢٦٣
طاهر زخشري ٢٤٦
طرفة ١٧
طلعت وفا ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٨٥
طليحة بن خويلد ٣١٠
طه حسين ٢٢٦ و ٢٣١ و ٢٣٢
٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦
٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤١

٤٦١

٣٢٩ و ٣٢٨ و ٣٢٤ و ٣١٧

٣٣٤ و ٣٦٦ و ٣٦٨ و ٣٧٠

٣٧٢ و ٣٧٤ و ٣٨٧ و ٣٩٢

٣٩٩ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢٨

سعوديون ٤١٣

سعيد العامودي ٢١٦ و ٢١٧

سعيد الغزي ٤١٩

سعيد بن العاص ٣٧٤

سعيد بن زيد ١٤٧

سعيد فهم ٤٢٤

سكينة بنت الحسين ٢٥٤

سلامة حسين حمودة ٢١٣ و ٢١٤

سلطان بن عبد العزيز آل سعود

٣٨ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢١

٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٩

سلمان الفارسي ٧٣ و ٣٧٧

سلميم (قبيلة) ٣٧٦

سلميم الثاني (السلطان) ٣٧١

سلمان حزين ٢

سلمان القانوني ١٨١ و ٣٨٦

سلميم خليل الدمياطي ٣٥٢

سودانيون ٤١٣

سويد الشكري ١٩٣

عبد الرزاق صدق ٢٣٧
 عبد السلام المريض ٤٨ و ١٠١
 عبد السلام غالى ١١٦ و ١١٧
 عبد العزيز آل الشيخ ٢٥٠ و ٣١٧
 عبد العزيز السالم ٣١٧ و ٣٢١
 عبد العزيز الربيع ٣١٩
 عبد العزيز آل سعود (ابن السعود)
 ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٣
 ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨
 ٤٠ و ٤٣ و ١٠٦ و ١١٢
 ١٢٥ و ١٩٤ و ٢٠٧ و ٢٢٣
 ٢٢٤ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٧١
 ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧
 ٢٨٧ و ٣٠٢ و ٣٢٧ و ٣٢٨
 ٣٣٦ و ٣٤١ و ٣٥٠ و ٣٦٧
 ٣٦٨ و ٣٨٦ و ٣٩١ و ٣٩٢
 عبد العزيز العبد الله السليمان
 ٤٢٥
 عبد العزيز العنقري ٣٠٨
 عبد العزيز بن سعود بن جلوى
 ٣٤٥
 عبد العزيز بن معمر ٢٩٨ و ٣٠٢
 ٣٠٣ و ٣٠٤
 عبد العزيز خان (السلطان) ٣٨٦

٢٤٢ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧
 طه خسيقاف ٢٨٢
 طيبة (انظر المدينة المنورة)
 (ع)
 عائشة (أم المؤمنين) ١٢٢
 ١٧٤ و ٢٥٣ و ٢٥٤
 عارف حكمت ٢٥٦
 عبد الحكيم عامر ٤٢١
 عبد الحميد السعداوى ١١٩
 عبد الحميد (السلطان) ٢٥٦
 عبد الحميد المشهدى ١١٠
 عبد الرزاق سعادة ٢٨٠
 عبد الرب نشتر ٨٥
 عبد الرحمن التونسي ٣١٩
 عبد الرحمن الحضراوى ٢٨٥
 عبد الرحمن الشيباني ٣٤٥
 عبد الرحمن الطيشى ٤٠٣
 عبد الرحمن الفيصل (ابن فيصل)
 ٣٠٧
 عبد الرحمن الكواكبي ٨٨
 عبد الرحمن بن عوف ١٨٦
 عبد الرحمن تاج ٢٣٧
 عبد الرحمن عزام ٢٩٠ و ٢٩١
 عبد الرحمن كامل حته ٢٤٣
 ٤٦٢

عبد الله بن صالح الفضل ٢٥٩

عبد الله بن عامر ٤٨

عبد الله بن عباس ٣٠٥

عبد الله بن عبد الرحمن ٣٩

عبد الله بن مسعود ١٨٦

عبد الله بنوقس ٣١٧ و ٣١٩

٣٢١ و ٣٢٢

عبد الله عريف ٢١٦ و ٢٣٧

عبد الله منيعي ٢٥١ و ٣١٨

عبد المجيد الثاني (السلطان)

٣٧٠ و ٣٨٦

عبد المجيد شبكشي ٤٢٨

عبد المطلب ٦٠ و ٦١ و ٦٢

١٤٣ و

عبد الملك بن مروان ٣٨٥

عبد الوهاب آشي ٢١٦

عبد الوهاب دهلوي ٢٥٥

عبد الوهاب عزام ٦٩ و ٢٥٣

٣١٩ و ٤٢٣

عتبة بن ربيعة ٣٠١

عثمان الصالح ٣٣١

عثمان باعثمان ٣٥٩

عثمان بن طلحة ١٢٥

عثمان بن عفان ٤٨ و ٦٢٦ و ٦٢٣

٤٦٣

عبد العزيز سلامة ٣١٦ و ٣١٧

٣١٩ و ٤٢٣

عبد العزيز فهمي ٣١٩

عبد القدوس الانصاري ٢٠٥

عبد الله الحسين ٣٠٢

عبد الله آل ابراهيم الفضل

٢٢٠ و ٢٧٩

عبد الله السعد ٣٢٤ و ٣٢٥

عبد الله السليمان ٣٨ و ٢٩٩

٣٤١ و ٣٤٢

عبد الله الفيصل ٣٨ و ٩٤ و ١٠٨

٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٧٨ و ٢٧٩

٣٠٥ و ٣١٧ و ٣٢٢

عبد الله الغاطي ٣١٧

عبد الله بحيري ٤٢٨

عبد الله برخارت ١٨٦

عبد الله بلخير ٩١ و ١٩٨ و ٢١٥

٢٢١ و

عبد الله بن الزبير ١٢٣ و ١٢٤

١٢٧ و ١٤٥ و ٣٨٥

عبد الله بن جلوي ٣٢

عبد الله بن خالد بن أسيد ٣٨٥

عمر بن عبد العزيز ١٧٢
 عمرو بن الحارث الجرهمي ١٤٢
 عمرو بن العاص ١٦٩
 عمرو بن عبد ود ٣٧٩
 عنبرة ١٧
 عون الرقيق ١٩٨
 عبيد محمد ٤٢٨
 (غ)
 غطمان ٣٧٨
 غلام محمد ٩٠ و ٩١
 (ف)
 فاطمة بنت الخطاب ٤٧
 فايز العوي ٢٨٥
 ف. ا. ديفين ٣٤٥
 فريد سندي ٢٦٦
 فلسطينيون ٤١٣
 فهد بن سعود ٣٨ و ٢٦٢
 فهد بن عبد العزيز ٢٨ و ٣٣
 و ٢٣٤ و ٢٤٨ و ٢٥٣ و ١٧
 فؤاد شاكرك ٢١٥ و ١٦
 ٢٤٦
 فوزي القاوجي ٢٦٣
 فون هنتيج ٤٢٦

١٦٩ و ١٧٠ و ١٧٣ و ١٨٣
 ١٨٤ و ١٨٥ و ١٩٤ و ٣٧٠
 ٣٨٤ و ٣٨٥
 عثمان حافظ ٢١٧
 عجلان ٢٩ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٢٦
 عداس ٣٠١ و ٣٠٢
 عديوني ٤١٣
 عروة بن الزبير ٣٦٥
 عضد الدولة ١٨١
 علي الدسوقي ٤٢٤
 علي بن أبي طالب ١٣٦ و ١٦٩
 ١٧٠ و ٣٧٩
 علي بن الحسين (الملك) ٢١٥
 علي جميل ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٤٢٠
 علي حافظ ٢١٧
 علي زين العابدين (القائد) ٣٣١
 علي صبري ٤١٩
 عمار بن ياسر ١٦٩ و ١٧٠
 عمر بن الخطاب ٦٦ و ١٤٦
 ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠
 و ١٦٧ و ١٨٦ و ٣٦٧ و ٣٧٠
 و ٣٧٤ و ٣٨٤ و ٣٨٥

كمال الدين حسين ٢١٧
كمبل (الكاتبين) ٢٩٤
(ل)

لوثرروب ستودارد ٢١
لورنس ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١
(م)

ماجد مدني ٣٢٦
مالك بن أنس ١٢٤ و ١٦٤
١٨٦

مجنون ليلى ١٧
محسن الخارثي ٢٦٣
محمد ابراهيم (اللوام) ٢٦٥
محمد بن ابراهيم (المفتي الأكبر)
٣٣٣ و ٤٠٦

محمد أحمد محبوب ٤٢٥
محمد الحناوي ٢٥٦
محمد الطويل ٤٢٨
محمد بن سعود ١٠٩ و ٣٨٣
محمد بن عبد الرحمن ٢٩
محمد بن عبد العزيز ٢٨ و ٢٢٠

فيصل الدويش ٢٨
فيصل بن عبد العزيز آل سعود
٢٢٤ و ٢٢٣ و ٨٦ و ٣٨ و ٥
٣٠٧ و ٢٣٣ و ٣٩١ و ٤١٨

(ق)

قايتباي (السلطان) ٣٧٠ و ٣٨٦
قريش ٦٠ و ٦٢ و ٦٤ و ١١٢
١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٥ و ١٢٨
١٢٩ و ١٣١ و ١٣٦ و ١٤٣
١٤٤ و ١٤٦ و ١٨٥ و ٣٠٠
٣١٥ و ٣٦٢ و ٣٦٤ و ٣٦٥
٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٨ و ٣٨٠
٣٨٣

قصي بن كلاب ٣٨٣

(ك)

كارل توتشل ٣٤١ و ٣٥٧
كامل الشناوي ٢٣٨ و ٢٣٩
٢٤٠ و ٢٤١
كامل صموئيل مسيحية ٢١٢ و ٢١٣
كعب بن أسد ٣٧٨

و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦

و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٣

و ١٥٨ و ١٦٠ و ١٦٢ و ١٦٤

و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩

و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٤ و ١٧٥

و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩

و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣

و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩

و ١٩٢ و ٢٢٤ و ٢٣٦ و ٢٥٣

و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٥

و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤

و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٥

و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٨٠

و ٣٨٣ و ٣٨٤

محمد رشاد خان (السلطان) ٣٨٦

محمد رشيد رضا ١٤٩

محمد رضا ٣٩ و ٢١٦ و ٤٢٨

محمد سرور الصبان ٣٩ و ٢١٦

و ٢٢٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٢٣

و ٤٠٣ و ٤٢٥

محمد سعيد العريان ٣١٥

محمد بن عبد الوهاب (الإمام)

١٨ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٥

٢٦ و ٢٧ و ٢٤٦ و ٣٣٣

٣٧٣

محمد بن علي السنوسي ٢٤٦

محمد بن لادن ٣٨٢

محمد حتا ٨٥

محمد حسن عواد ٢١٧ و ٢٤٦

محمد حسن فقي ٢١٦

محمد حسن كتيبي ٢١٦ و ٤٢٨

محمد خليل عناني ٢٥٦

محمد (رسول الله) ٤٤ و ٤٥ و ٤٧

٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٦١ و ٦٢

و ٦٣ و ٦٤ و ٧١ و ٧٢ و ٧٧

و ٧٨ و ٧٩ و ٨١ و ٩٧ و ٩٨

و ٩٩ و ١٠٠ و ١١٢ و ١٢١

و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥

و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١

و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦

و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٤٠ و ١٤٢

- محمد سعيد عبد المقصود ٢١٥
 محمد طاهر الجويني ٣٨٢
 محمد عبد الرحمن عطية ٣٢٥
 محمد علي (الكبير) ٢٧ و ٢٦
 محمد علي بدر الدين ٨٣
 محمد علي زينل ٢٤٦
 محمد علي مغربي ٢١٦
 محمد عوض محمد ٢
 محمد فتحي ٢٤٢ و ٢٤٥
 محمد فؤاد عثمان ٤٨
 محمد كامل حته (المؤلف) ١٣
 و ٤٨ و ٢٣٢ و ٢٤٨ و ٢٧٧
 و ٢٨١ و ٢٨٦ و ٢٩١ و ٣٠٣
 و ٣١٨ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٣٢
 و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥
 محمد محمود الصياد ٢
 محمد مختار شقير ٣٢٥
 محمد نصيف ٢٥٦ و ٢٥٧
 محمد هلال ٣٨٢
 محمود أبو العلا ٣٠٦ و ٣٠٧
 محمود (السلطان) ٢٥٦
 محي الدين أبو شادي ٣١٨ و ٣٢٥
 مدحت شبلق ٣١٩
 مدني بن حمد ٢١٠ و ٢١١
 مرادخان (السلطان) ١٢٥ و ٣٨٦
 مرة (قبيلة) ٣٧٦
 مساعد بن عبد الرحمن ٣٩ و ٢٥٦
 مشعل بن عبد العزيز ٣٩ و ٤٢١
 مصطفى السراج ٤٨ و ١٠١
 مصطفى الصباحي ٢٥٦
 مصطفى فهمي ٣٨٢
 مصعب بن عمير ٩٨
 معاوية ١٦٩ و ١٨٥
 مهدي بك ابن صالح ٢٨٧
 (ن)
 ناصر المنقور ٢٥٠ و ٣١٧
 ناصر بن عبد العزيز ٢٥
 ناصر بن معمر ٣٠٤
 نبيه العظم ٢٦٣

| | |
|----------------------------|-------------------------|
| هنود ٤١٣ | نجيب الراوى ٨٦ |
| هولنديون ٤١٣ | نيرون ١١٥ |
| (ى) | (هـ) |
| يزيد بن معاوية ١٣٣ | هاجر ٦٧ |
| يوسف ياسين ٣٩ و ٢١٥ و ١٩٩٤ | هارون الرشيد ١٢٤ |
| يونس بن متى ٣٠٢ | هاشم يوسف زواوى ٢١٧ |
| يونس سلامة ٤٢٨ | هند (زوج أبى سفيان) ١٨٧ |

فهرس المراجع

- ١ — القرآن الكريم
- ٢ — زاد المعاد فى هدى خير العباد : لابن القيم
- ٣ — سيرة النبي : لابن هشام
- ٤ — تاريخ السكعبة المعظمة : حسين عبد الله باسلامه
- ٥ — تاريخ عمارة المسجد الحرام : د د د
- ٦ — تاريخ مكة : أحمد السباعى
- ٧ — وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى : نور الدين على بن أحمد السهمودى
- ٨ — عمدة الاخبار فى مدينة المختار : أحمد بن عبد الحميد العباسى
- ٩ — الرحلة الحجازية : محمد لبيب البتانوفى
- ١٠ — مرآة الحرمين : اللواء ابراهيم رفعت
- ١١ — رحلة الحجاز : ابراهيم عبد القادر المازنى
- ١٢ — فى منزل الوحى : الدكتور محمد حسين هيكل
- ١٣ — جزيرة العرب فى القرن العشرين : حافظ وهبة
- ١٤ — حاضر العالم الاسلامى : لوثر وبستودارد - ترجمة عجاج نويض،
تعليق شكيب أرسلان
- ١٥ — المملكة العربية السعودية : كارل توتشل - ترجمة شكيب الاموى
- ١٦ — المملكة العربية السعودية : وزارة التجارة السعودية

- ١٧ - مشاهداتى فى جزيرة العرب : أحمد حسين
١٨ - رحلات : الدكتور عبد الوهاب عزام
١٩ - صور من الحجاز : محمد كامل حته
٢٠ - بناء العلم الحديث فى الحجاز : عبد القدوس الانصارى
٢١ - ضوء فى تاريخ التوحيد : أحمد صبرى شويمان
٢٢ - فلسفة الثورة : جمال عبد الناصر
٢٣ - دراسة عن الامة العربية ، وامكانياتها الاقتصادية :
يوسف فهمى الجزايرلى
٢٤ - تقارير شركة الزيت العربية الأمريكية
٢٥ - تقارير حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية
٢٦ - مجموعة صحف ومجلات : البلاد السعودية ، أم القرى ، المدينة المنورة ،
الحج ، المهمل ، الرياض ، صرخة العرب ،
الإذاعة السعودية ، قافلة الزيت .



للمؤلف

- محمد رسول الله .
- صور من الأدب الديني .
- صحائف مطوية من تاريخ النوبة .
- ذكرى المولد النبوي .
- تقويم التعليم الإلزامي .
- التعليم الإلزامي في البرلمان .
- الرسالة المحمدية .
- صور من الحجاز .
- تقديم وإعداد . قصة عيد الام .
- محمد سعيد العريان : الحلقة الأولى من معجم الأدباء المعاصرين .
- شهداء الصبيحة : الحلقة الأولى من سلسلة (مع الشهداء) .
- المعلنون في المعركة .

ويصدر قريباً . . .

- أسوان : في الماضي والحاضر والمستقبل .
- الجواهرى : حلقة من سلسلة (شعراء الحرية) .
- في بلاد النوبة : دراسات تاريخية واجتماعية لهذه المنطقة

ملتزم الطبع والنشر
اراكتابُ المصري

Bibliotheca Alexandrina



0356361